إجمال البيان

في مباحث من علوم القرآن

بقلم

أ. د. عبد الله أحمد أحميد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة المفتوحة - قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الفاتح - كلية الآداب - قسم اللغة العربية



الطبعة الثانية مزيدة ومحققة

1374و.ر - 2006م

القسمان

الأول و الثاني

إجمال البيان

في مباحث من علوم القرآن

بقلم:-

أ. د. عبد الله أحمد حميد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بالجامعة المفتوحة – قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الفاتح - كلية الآداب - قسم اللغة العربية

الطبعة الثانية مزيدة ومحققة

رقم الإيداع: 7197 / 2006 / دار الكتب الوطنية بنغازي
ردمك 4 - 035 - 33 - 9959 ISBN
الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازي ليبيا
هاتف: 9090509 - 9096379 - 9097074
بريد مصور: 9097073
البريد الإليكتروني: nat_lib_libya@hotmail.com

مراجعة لغوية: أ. محمد التركي التاجوري

الإهداء

إلى روح والدي ووالدتي اللذين وهباني إلى طلب العلم

وإلى أبنائي وأختهم ووالدتهم

أهدي هذا الجهد المتواضع

مذكراً بالحديث الشريف الصحيح

الذي رواه الإمام مسلم بسنده، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه:

"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" [1]

وطالباً من الأولاد الدعاء بالرحمة والغفران من الله تعالى.

---

(1) جـ ((ص 85)) كتاب الوصية باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدى للناس ورحمة للمؤمنين، ومصدقاً لما بين يديه من الكتب، ومهيمناً عليها إلى أفضل خلقه وخاتم أنبيائه ورسله سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وهادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه ربه بالدين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، اللهم صلِّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعى بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن من أهم الواجبات على المسلمين عموماً وعلى علمائهم خصوصاً هو الاهتمام بكتابهم المجيد حتى تتحقق به الهداية ويتم به الاسترشاد، ذلكم الكتاب القيم الحكيم الذي بهر العرب والناس جميعاً بما يشعّ من روح العدالة والتسامح، وما يمتاز به من بساطة في المنطق وروعة في البيان، وما يرشد إليه من هدايات ومعارف تصلح بها حياة الناس في دنياهم ويسعدون بها في أُخراهم.

استقام به أمر الرعيل الأول من الأمة الإسلامية وأرشدهم إلى النبع الصافي من الإيمان العميق والعمل الصالح السديد، وتوحدت به كلمة العرب واجتمع شملهم تحت رايته، وكان لهم مدرسة تخرّج منها رجال أقوياء بإيمانهم، أعزاء في أوطانهم، أناروا السبيل أمام الشعوب وأرسوا دعائم حضارة خالدة، عمّت البشرية قاطبة، وذلك لأن هذا الكتاب جاء متضمناً للعقائد السليمة والعظات البالغة والتوجيهات السامية والتشريعات

الحكيمة والآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة، قال الله تعالى في محكم الآيات: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1]. وقال: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2].

فهذه الآيات ومثيلاتها تدل في وضوح على أن القرآن أنزل ليكون هادياً للناس ومرشداً لهم إلى طريق الخير والسعادة في الدارين، هذا بالإضافة إلى كونه معجزة خالدة ناطقة بصدق من أنزل عليه في كل ما يخبر به عن ربه عز وجل، وليجعله المؤمنون قربة يتقربون بتلاوته وتدبره والعمل به إلى خالقهم سبحانه وتعالى.

هذا، وإن مما لا شك فيه أن هذه المقاصد التي ذكرتها وغير ها لا تتأتى ولا يمكن الحصول عليها كاملة بحيث تحقق السعادة للأفراد والجماعات بمجرد النظر في الكتاب العزيز، بل لا بد من استعمال الفكر والعقل ابتغاء التفسير والشرح والإيضاح لمعاني الخطاب الإلهي الكريم، ومن أهم مقومات التفسير السديد هي اعتماده على أسس متينة وقواعد ثابتة من علوم القرآن المختلفة حتى يكون أقرب إلى الصواب وأحرى بالقبول والرضى، وذلك لأن علوم القرآن عبارة عن مباحث هامة ومعلومات قيمة تتعلق بالقرآن الكريم من حيث الظروف والملابسات التي واكبت نزوله، ومن حيث العناية التامة التي أحاطه بها المسلمون الأولون من جمعه وحفظه وتجويده وتفسيره، وبيان أوجه إعجازه وإتقان قراءاته، وكيفية نزوله وتنـــزلاته، ودفع الشبه التي أثيرت حوله، وما إلى ذلك.

هذا، واعتقد كما اعتقد الكثيرون غيري أن ما أصاب المسلمين من تأخر وتخلف ما هو إلا بسبب بعدهم عن كتاب ربهم وزهدهم في علومه وهداياته المتنوعة وإرشاداته القيمة في جميع المجالات، ولن يرجع لهم مجدهم السالف وحضارتهم الغابرة إلا بالرجوع

1- الآية 9 من سورة الإسراء.

2- الآيتان 15-16 من سورة المائدة.

إليه والالتفاف حوله والعمل بتوجيهاته، وبالزحف متكاثفين على وجه الأرض لإعلاء كلمته.

وفي هذه الآونة، وفي عصرنا الحاضر، عصر الجماهير، الذي نعيد فيه بناء أمتنا من جديد على أسس متينة من العلوم النافعة والإيمان الصحيح بقيمنا ومقدساتنا، نرى أن الرجوع إلى القرآن هو أنجع دواء وأنفع علاج وأسهل وسيلة إلى تهذيب النفوس وإصلاحها وجذبها إلى طريق الحق والصواب.

وإسهاماً مني في هذا البناء، وشعوراً بالمسؤولية، وخدمة لكتاب الله تعالى، أقدم كتابي هذا للطبع بعنوان: ((**إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن**)).

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً، بلسان عربي مبين.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين الذين آووه ونصروه واتبعوا النور المترل عليه، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـــا بعـــــد،،،،

فإن الله تعالى نزل القرآن على قلب نبيه ورسوله محمد صـــلى الله عليه وسلم فيه هدى ونور وبشرى للمؤمنين، وهو السراج المنير والحبل المتين فمن تمسك به هدى إلى الصراط المستقيم.

وهو الحجة البالغة والشريعة العادلة، دعى إلى تلاوته وتدبره ويسره للذكر ووعد بالفضل الكثير والخير الجزيل على تعلمه وتعليمه وتلاوته والعمل به، وهذه أمور لا تتأتى إلا بمعرفة قواعد ومسائل تتعلق به وضعها علماؤنا رحمهم الله تعالى لفهم القرآن وإدراك معانيه على الوجه الصحيح وكيفية التعامل معه في مختلف العلوم الإسلامية، وهو ما يسمى بعلوم القرآن، وفي كتابي هذا بيان مجمل لمعظمه آملاً أن تتحقق به الأهداف المطلوبة من دراسته وهي كما يلي:-

1- أن يتعرف المسلم من خلاله على توثيق النص القرآني وصحة نقله إلينا من غير تحريف ولا تبديل.
2- أن يلمّ المسلم بكثير من المصطلحات المتداولة مما يتصل بالقرآن الكريم فيساعد ذلك الإلمام على فهم القرآن والعمل به.

3- أن يشعر المسلم بحاجته إلى المعرفة القرآنية فيجتهد في تحصيلها ليعرف من خلالها القرآن ومعانيه ومقاصده.

4- أن يعتز المسلم بالقرآن ويجعله محوراً لحياته فيحكّمه فيها ويدرك أهمية القرآن في ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها.

5- أن يتبين المسلم من خلال علوم القرآن أن القرآن كله وحي إلهي معجز يمتاز بخصائصه الكثيرة عما سواه من الكتب المترلة على الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام[1]، إلى غير ذلك من الأهداف والمقاصد مما يأتي إجماله في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

بداية فكرة تأليف هذا الإجمال:-

كل ما تم جمعه فيه هو في البداية محاضرات متعددة تم إلقاؤها بقسم أصول الدين بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية إحدى كليات جامعة قاريونس سابقاً وطبعت الجامعة القسم الأول منه سنة 1978ف، ثم أضفت إليه فيما بعد القسم الثاني وتم طبعهما معاً بالجامعة المفتوحة سنة 1996ف، والآن ولما قاربت نسخ هذه الطبعة على النفاذ قمت بعون الله تعالى وحسن توفيقه بتصحيح الكتاب بدقة وأضفت إليه بعض المباحث المهمة، وها أنا أقدمه إلى الطبعة الثانية، علماً بأن هذه الطبعة قد امتازت بدقة التصحيح وضبط الآيات القرآنية وتخريجها على رواية حفص بن سليمان عن عاصم الكوفي.

وبالأخـــذ بملاحظات بعض الزملاء الذين قاموا بتدريس مـــادة علوم القرآن من كـــتابي (**إجمال البيان**).

1- ينظر كتاب علوم القرآن أساسيات ومبادئ، د. أحمد محمد العليمي، ص11.

وأخص بالذكر من بينهم الأخ الدكتور عبد الحميد مختار الضبع الذي أبدى ملاحظات عديدة اعتبرتها بمثابة المراجعة العلمية للكتاب فله مني الشكر الجزيل راجياً من الله له السداد والتوفيق إلى كل خير، وأيضاً تمتاز هذه الطبعة بزيادة ثلاثة مباحث تهم طالب علوم القرآن، وهي: الوحي، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وموجز للقراءات والقراء، وبهذه الزيادة في القسم الأول يحصل التكافؤ والتماثل في عدد المباحث بين قسمي الكتاب.

وبوضع أسئلة تطبيقية في نهاية كل مبحث ليستعين بها الطلاب على الفهم والتحصيل وبخاصة بالنسبة لطلاب الجامعة المفتوحة.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من حملة القرآن ومن الداعين إلى هدايته، وأن يرحمنا به، وأن يجعله لنا هدى ونوراً ورحمة وأن يذكرنا منه ما نسينا، ويعلمنا منه ما جهلنا، ويرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أ.د. عبد الله أحميد

طرابلس الجمعة 10/ شوال

الموافق 11/11/ 1373 ور- 2005ف

القسم الأول

مقدمة

علوم القرآن

قبل الدخول في مباحث هذا العلم، ينبغي أن يسبق بمقدمة تشتمل على نقاط مهمة تعتبر مدخلاً له لأنها تعطي القارئ فكرة مبسطة عنه، وهي أربع:-

1- التعريف بعلوم القرآن كفنٍّ مدوَّنٍ وعلمٍ مستقلٍّ.

2- تحديد ميدان دراسته وبيان الموضوعات التي يتناولها.

3- بيان مدى حاجة الناس إليه وإبراز الهدف من دراسته.

4- أشهر المؤلفات فيه منذ نشأته وتطوره في العصور المختلفة حتى وقتنا الحاضر، وهذه النقاط هي بعض وأهم ما يُسمّى بمبادئ العلم التي يذكرها المؤلفون في مقدمات العلوم ويقولون: إنه يتوقف عليها الشروع في المقصود، وفيما يلي تفصيلها:-

أولاً:- التعريف بهذا العلم وبيان معناه

هذا اللفظ – علوم القرآن – مركب إضافي يحتوي على جزءين مضاف ومضاف إليه، وقبل توضيح معناه باعتباره اسماً موضوعاً لهذا العلم، أودّ أن أذكر نبذة توضح كلاًّ من جزءي هذا المركب، وهما علوم وقرآن. أما العلوم، فهي جمع علم: يطلق في اللغة على ما يرادف الفهم والمعرفة، وفي الاصطلاح: هو قوة في الذهن بها يقتدر على اكتساب المعلومات التصورية والتصديقية[1]. وقد جرت عادة الكاتبين في شتى العلوم أن يذكروا أسماء علومهم بلفظ الإفراد فيقولون مثلاً: علم الفقه وعلم الفرائض وعلم الأصول وعلم النحو وغير ذلك، وإنما جاء التعبير في هذا العلم بلفظ الجمع للدلالة على أنه خلاصة لعلوم

1- إدراك معاني المفردات يسمى تصوراً وإدراك النسب الخبرية يسمى تصديقاً مثال الأول: محمد، مكتب، ومثال الثاني: محمد رسول الله، العلم نافع.

كثيرة مختلفة كلها لها تعلّق بالقرآن الكريم وتخدمه من ناحية معينة، من هذه العلوم علم الرسم العثماني وعلم القراءات وعلم إعــجاز القرآن وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم التفسير وعلم إعراب القرآن وغريبه، وغــير ذلك.

وبالاختصار فإن جميع علوم اللغة العربية والدينية لها تعلّق بالقرآن الكريم، وتخدمه من ناحية واحدة أو من عدة نواح، وهناك من العلماء مثل الإمام جلال الدين السيوطي مَن توسَّع في عد علوم القرآن حتى أوصلها إلى 77450 علماً[1] على عدد كلمات القرآن مضروب في أربعة: الظهر والبطن والحد والمطلع[2]؛ وعد منها أيضاً علوماً ليس لها تعلق بالقرآن ولا تخدمه مثل علم الطب والهندسة والهيئة ونحوها. وغاية ما في الأمر أن القرآن حث على تعلمها والانتفاع بها، ولكن نحن لسنا بصدد بيان هذا ولا ذاك، والذي يعنينا إنما هو الكلام عن علوم القرآن المدونة والمجعولة فناً مدوناً وعلماً مستقلاً فلا تدخل حينئذ كلمات القرآن من حيث تلك الاعتبارات ولا تدخل تلك العلوم التي عدّد السيوطي بعضها.

وأما لفظ القرآن، فهو اسم علم على كتاب الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ وهو أشهر أسمائه، وله أسماء أخرى كثيرة أوصلها البعض إلى خمس وخمسين اسماً اشتهر منها خمسة وهي: القرآن والفرقان والذكر والتنزيل والكتاب[3]. أما القرآن في اللغة فقد اختلف

1 - الإتقان، جـــ2، ص128، والعدد الصحيح بعد ضرب عدد كلمات القرآن في أربعة هو، 309756.

2- قال الألوسي في روح المعاني: ((الظهر ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، والبطن أي الباطن ما تضمنته الآيات من أسرار أطلع الله أرباب الحقائق عليها، والمطلع هو ما يتوصل به إلى معرفة الغوامض، والحد المنتهي فيما أراده الله من معناه))، انتهى ج 1، ص 10.

3- سمي بالفرقان لقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾، وبالذكر لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ وبالتنزيل لقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وبالكتاب لقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾.

فيه العلماء على قولين: فقيل هو اسم علم جامد غير مشتق وغير مهموز وبه قرأ ابن كثير والإمام الشافعي، وقيل بل هو مشتق، ثم اختلف أصحاب هذا القول في تعيين المشتق منه على أقوال عديدة منها:

1- جاء عن اللحياني[1] أنه مصدر مهموز من قرأ يقرأ على وزن فعلان كالرجحان والغفران سمي به المقروء من باب تسمية اسم المفعول بالمصدر كالخلق بمعنى المخلوق في قوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾[2].

2- وقيل هو مشتق من القرن من قولك قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، سمي به كتاب الله تعالى نظراً لاقتران سوره وآياته وحروفه بعضها ببعض، وممن ذهب إلى هذا القول الإمام الأشعري رحمه الله تعالى.

3- وقال الزجاج[3]: هو مشتق من القرء بمعنى الجمع أخذاً من قولهم قرأت الماء في الحوض إذا جمعته فيه، سمي به الكتاب الكريم لجمعه كل ما في الكتب السماوية السابقة من المعاني والشرائع والهدايات المختلفة أو لجمع سوره وآياته وحروفه بعضها إلى بعض، وعلى هذا القول فهو مهموز، ومن قرأه بدون همز فهو من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها.

لمرجح من الأقوال:-

أرجح هذه الأقوال هو ما ذهب إليه اللحياني من أنه مصدر مشتق من القراءة ومهموز، رجّحه غير واحد من العلماء منهم الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان، وغيره.

---

1 – اللحياني من علماء اللغة العربية، توفي سنة 220 هـ، وهو أبو الحسن علي بن حازم.
2 – أية 11 من سورة لقمان.
3 – الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن السرى.

تعريف القرآن في الاصطلاح:-

اختلفت أقوال العلماء في تحديد معنى القرآن الاصطلاحي إلى أقوال عديدة حسب تخصصات المعرفين، والمختار منها هو أنه:-

كلام الله تعالى[1] المنزل على سيدنا محمد ﷺ المعجز المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف، فقولنا كلام الله تعالى كالجنس في التعريف يشمل جميع الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل وغيرها إلى جانب القرآن الكريم والحديث القدسي، وقولنا المعجز كالفصل يخرج به جميع المذكورات ما عدا المعرف وذلك لعدم وصفها بالإعجاز، وإلى هذا الحد يكمل التعريف، ويكون جامعاً مانعاً، وما ذكر بعد قيد الإعجاز فهي أوصاف القرآن الكريم زادها العلماء في التعريف للشرح والإيضاح فقط، ولا دخل لها في التعريف ومعنى الإعجاز المذكور هو إلحاق العجز وعدم القدرة على الإتيان بمثله بالمعارضين الذين تحداهم القرآن وأخرسهم بأمثال قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2].

والقرآن الكريم يوصف بالإعجاز من نواحٍ كثيرة، من ناحية فصاحته وبلاغته وأسلوبه ونظمه وبيانه، وغير ذلك من كل ما هو وصف ذاتي له ولازم لكل آية من آياته[3]. هذا، وبعد أن عرفنا معنى كل من جزءي المركب الإضافي – علوم القرآن – يجدر بنا أن نعرف معناه ككل فنقول هو: عبارة عن مباحث ومسائل تتعلق بالقرآن

---

1 – المراد الكلام اللفظي لا النفسي الذي هو صفة من صفاته تعالى منزهة عن الحروف والأصوات والتقديم والتأخير، ونحو ذلك.

2 – آية 23 من سورة البقرة.

3 – سيأتي الكلام مفصلاً في البحث الخاص به إن شاء الله تعالى.

الكريم من ناحية نزوله وجمعه وترتيبه وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه، وما إلى ذلك.

ثانياً:- موضوع دراسته

يمكننا تحديد موضوع علوم القرآن من خلال فهمنا لتعريفه فنقول: موضوع علوم القرآن هو: القرآن الكريم من الحيثيات المتقدمة في التعريف، أي من حيث نزوله وجمعه وترتيبه إلى آخر التعريف السابق.

ثالثاً:- بيان الحاجة إليه

لا يشك أي مسلم ولا يتردد في أننا في حاجة ماسّة وملحّة إلى دراسة علوم القرآن حتى يتسنى لنا الحصول على ثقافة قرآنية عامة قيِّمة استعداداً للدفاع عن القرآن وعن الدين، وتوسلاً للخوض في تفسير كلام الله الحكيم الخبير، فيتمكن المكلف من معرفة الخطاب الإلهي فيعمل بمقتضاه ويصل إلى سعادة الدارين، وهي أمنية عزيزة وعظيمة يجب أن يسعى إليها المسلم العاقل.

رابعاً:- أشهر المؤلفات فيه

كان النبي ﷺ وصحابته الكرام يعرفون عن القرآن الكريم وعلومه ما لا يعرفه أحد غيرهم ولكنهم لم يدونوا معارفهم في كتب للأسباب التالية:-

1- لعدم حاجتهم إلى التدوين والكتابة لوجود المنبع الأصلي لتلك العلوم وهو النبي ﷺ بينهم.

2- عدم تيسر أدوات الكتابة لديهم بالقدر الكافي لكتابة مختلف العلوم.

3- والأهم من هذا وذاك هو: أن النبي ﷺ كان قد حظر على المسلمين كتابة شيء عنه غير القرآن خوفاً من اختلاطه بغيره، فقال ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه:جـ18-ص129

"لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليبوأ مقعده من النار". واستمر الأمر على ذلك طوال خلافة أبي بكر وعمر من بعده، ولما جاء عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه وجمع القرآن الجمع الأخير وضع بعمله الجليل هذا حدّاً لاحتمال زيادة القرآن أو نقصانه، حيث جعله في مصحف ونسخ منه عدة نسخ بعث بها إلى الآفاق الإسلامية وأمر بحرق ما عداها من الصحف أو المصاحف، فيكون بهذا قد وضع أساساً لعلم رسم القرآن، وفي العهد الأموي أمر زيادة بن أبيه أبا الأسود الدؤلي بوضع شكل لألفاظ القرآن الكريم تفادياً لتسرب اللحن إليه، وهو ما عرف فيما بعد بعلم إعراب القرآن[1].

هذا كله كان في **القرن الأول** الهجري، أي في النصف الأول منه، أما في نصفه الثاني، وفي أول **القرن الثاني**، فقد كتب بعض التابعين في التفسير وأسباب النزول مثل شعبة بن الحجاج وسفيان ابن عيينة ووكيع بن الجراح، وغيرهم.

وفي القرن الثالث: ألّف الإمام علي بن المديني شيخ الإمام البخاري في أسباب النزول، وأبو عبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم.

وفي القرن الرابع: كتب أبو بكر السجستاني في غريب القرآن.

---

1 – وقيل إن المشير بما ذكر على أبي الأسود هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي القرن الخامس: ألّف علي بن سعيد الحوفي في إعراب القرآن وتفسيره.

وفي القرن السادس: جاء الإمام عبد الرحمن السهيلي وكتب في مبهمات القرآن.

وفي هذا القرن كان أول ظهور هذا العلم باصطلاحه المعروف (علوم القرآن) على يد العلامة ابن الجوزي، حيث ألّف كتابين أحدهما باسم (فنون الأفنان في علوم القرآن)، والثاني باسم (المجتبي في علوم تتعلق بالقرآن)، وقيل بل إن ظهوره كان قبل هذا القرن فكان في القرن الخامس على يد الحوفي المتقدم ذكره، فقد سمى كتابه السالف (البرهان في علوم القرآن) غير أن هذا الكتاب وجده من اطلع عليه أشبه ما يكون بكتب التفسير المعروف وليس له من علوم القرآن إلا الاسم[1]، أو ما يتكلم عليه من أنواع هذا العلم أثناء التفسير.

وفي القرن السابع: ألف علم الدين السخاوي في القراءات كتاباً سماه جمال القراء.

ثم أهلّ القرن الثامن: الذي أتحفنا فيه الإمام بدر الدين الزركشي بكتابه القيم (البرهان في علوم القرآن) وهو كتاب مطبوع في أربعة أجزاء وشامل لأغلب أنواع العلم.

وفي القرن التاسع: أكمل الإمام جلال الدين السيوطي ما أغفله سلفه الزركشي وأبدع وأتقن وأجاد في هذا العلم بتأليف كتابه الشهير (الإتقان في علوم القرآن)، وكتابه هذا لا يزال المرجع الأول للباحثين في علوم القرآن إلى عصرنا الحاضر، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم.

---

1 - والاسم أيضاً قد ذكره صاحب طبقات المفسرين باسم (البرهان في تفسير القرآن) والتسمية المذكورة أثبتها صاحب مناهل العرفان.

وبعد عصر السيوطي، فتر التأليف في هذا العلم على الطريقة المعروفة[1]، إلى أن قرر العلماء دراسته في الجامعات الإسلامية كمادة مستقلة عن التفسير، مثل كليات الجامعة الأزهرية بمصر وكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة قاريونس في ليبيا، وبهذا انفتح المجال أمام علماء العصر الحديث فألفوا فيه الكتب والمذكرات، وتوسعوا في الشرح والإيضاح، وأضافوا إليه كثيراً من المباحث القيمة، ومن أمثلة ما كتبوا (التبيان في علوم القرآن) للشيخ طاهر الجزائري، و (منهج الفرقان) لابن سلامة.

ومن أوفى ما كتب في علوم القرآن حديثاً وأسهله وأغزره علماً (مناهل العرفان في علوم القرآن) تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، وهو مطبوع في جزءين من الحجم المتوسط.

ويقرب من المناهل من حيث الشمول لأغلب مباحث العلم، إلا أنه أخصر وأسهل أسلوباً وأقرب منالاً كتاب (اللآلئ الحسان في علوم القرآن) للشيخ الدكتور موسى شاهين لاشين، وقد طبع سنة 1969م في مجلد وهو الذي اختير للتدريس بقسم أصول الدين بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية السالف ذكرها. هذا ولما أسند إليّ تدريس مادة علوم القرآن بهذا القسم، وجدت أن المنهج المقرر غير متمشٍّ مع الكتاب بالترتيب، ولاحظت عليه الاختصار في بعض الموضوعات وأيضاً، فإن نسخ هذا الكتاب لا توجد بالقدر الكافي، والغالبية من الطلاب لم يتحصلوا عليها، فمن أجل هذا كتبت ما ألقيته من محاضرات لتكون في أيدي أبنائي الطلاب يرجعون إليها متى شاءوا، وها هي الآن تقدم إلى الطبع ليعمّ النفع وتتيسر الإفادة، إن شاء الله تعالى.

---

1 - أعني أنه لم تؤلف كتب خاصة بعلوم القرآن، فلا ينافي أن بعض المفسرين كتبوا مباحث منه وجعلوها كمقدمات لتفاسيرهم مثل الألوسي والخروبي من المفسرين، في تلك الفترة من الزمن.

الأسئلة

س1- اذكر أهم مبادئ علوم القرآن وعرفه باعتباره علماً مستقلاً وفـنـاً مدوناً مبيناً معنى العلم في اللغة والاصطلاح؟ ولماذا جاء التعبير عن هذا العلم بلفظ الجمع دون الأفراد فقالوا علوم القرآن و لم يقولوا علم القرآن؟

س2- لفظ القرآن علّم على كتاب الله الخاتم اذكر أشهر أسمائه الأربعة الأخرى مستدلاً على تسميته بها من القرآن؟ ثم اذكر عدد أسمائه التي ذكرها بعض العلماء؟

س3- عرف القرآن في اللغة مبيناً هل هو مهموز أو غير مهموز؟ وهل هو جامد أو مشتق ومم اشتق على القول باشتقاقه؟ اذكر أرجح الآراء في هذا؟ ثم عرف القرآن في الاصطلاح واشرح التعريف مبيناً الفرق بينه وبين غيره من الكتب المترلة والحديث القدسي؟

س4- عرف علوم القرآن واذكر موضوعه؟ والهدف من دراسته وشدة الحاجة إليه مع التعليل؟

س5- كان النبي ﷺ وصحابته الكرام يعرفون عن القرآن وعلومه ما لا يعرفه غيرهم ولكنهم لم يدونوه في مؤلفات؟ اذكر أهم أسباب عدم تدوينهم لعلوم القرآن في ذلك العصر؟ ثم بين أسماء بعض من كان لهم السبق من التابعين أو أتباعهم في تدوين بعض علوم القرآن في بداية القرن الثاني الهجري وما بعده إلى السادس؟

س6- في القرن السادس الهجري ظهر كتابان يحملان عنوان علوم القرآن لمؤلف واحد، اذكر اسميهما واسم المؤلف، ثم تحدث عن تطور هذا العلم ونموه عبر العصور حتى تصل إلى العصر الحاضر، مبيناً أسماء الكتب المؤلفة في هذا العلم في القرون السابع

والثامن والتاسع، وما هو أوفى كتاب ظهر في العصر الحديث، ويوصف بأنه أسهل كتب علوم القرآن أسلوباً وأغزرها علماً والكتاب، الذي يليه في تلك الأوصاف؟ ولكنه أخصر منه؟

المبحث الأول

الوحــي

أهميته:-

ترجع أهمية مبحث الوحي إلى أنه هو: الطريق الوحيد الموصل إلى معرفة حقائق عالم الغيب[1]، وهو أيضاً الوسيلة التي بها يتلقى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن المولى عز وجل ما يكلفهم بتبليغه إلى الناس من أوامر ونواه وسائر التعاليم الإلهية السامية التي أنزلها لإنقاذ البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات الشرك والجهل والضلال إلى نور الإيمان والعلم والهداية إلى الصراط المستقيم.

فما معنى الوحي لغة؟ وما المراد من الوحي الإلهي؟ وما أنواعه؟ وما الدليل على ثبوته شرعاً وعقلاً؟

أولاً:- تعريف الوحي لغة

وهو في اللغة مصدر وَحَى يوحي وحياً، ويطلق ويراد به اسم المفعول وهو الكلام الموحَى به الذي أنزله الله تعالى على أي نبئ من أنبيائه أو أي رسول من رسله عليهم الصلاة والسلام.

ويطلق أيضاً ويراد به المعنى المصدري الذي هو الإيحاء أي الإعلام الخفي السريع، يقال: وَحَى الله كذا إلى أحد الأنبياء أي قذفه في قلبه وألهمه إياه، ويكون ذلك في اليقظة أو في المنام[2].

---

[1] – وذلك لأن العالم وهو ما سوى الله تعالى نوعان: عالم غيب، وعالم الشهادة، فعالم الغيب هو ما غاب عن الخلق فلا تقع عليه حواسهم، وعالم الشهادة عكسه، انظر مفردات الراغب الأصفهاني، ص366.

[2] – انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مج 2، ص831.

وله معانٍ أخرى كثيرة وردت في القرآن الكريم وكلها تتضمن[1] الإعلام خفي السريع الخاص بالموحّى إليه بحيث يخفي عن غيره[2]، وفيما يلي بيان هذه المعاني والتمثيل لها من القرآن الكريم وتوضيحها:-

أ- الإلهام الفطري للإنسان[3] ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي.. ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[5]، وفي المفردات للراغب: إن الوحي إلى الحوريين كان بواسطة نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام[6].

ب- الإلهام الغريزي للحيوان غير العاقل كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ... ﴾[7].

ج- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء وحُمل عليه قوله تعالى حكاية عن نبيه زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن

---

1 - من هذه المعاني الرمز والكتابة والإشارة والرسالة.

2 - انظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص23 وقارن.

3 - الإلهام وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب منها من غير شعور منها من أين يأتي وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور، انظر مناع القطان في مباحث من علوم القرآن، ص33.

4 - الآية 7 من سورة القصص.

5 - الآية 111 من سورة المائدة.

6 - المفردات في غريب ألفاظ القرآن، ص516.

7 - الآيتان 68-69 من سورة النحل.

سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[1]، والمعروف في تفسيرها أنه عليه السلام أومأ إليهم وأشار إشارة و لم يتكلم كما نقل على الفراء[2].

د- وجاء أيضاً التعبير بالوحي في القرآن عن وسوسة الشياطين وتزيينها خواطر الشر للإنسان قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[3]، وقال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[4].

هـ- وعبر القرآن بالوحي على ما يلقيه الله تعالى إلى الملائكة ويأمرهم به ليفعلوه من فورهم[5]، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[6].

هذه أشهر المعاني اللغوية للوحي، وجاء أيضاً لمعان أخرى كثيرة غير أن أغلبها مرادف أو شديد الصلة بما يتحمله النبيء الموحي إليه من الملك ليبلغه إلى قومه المرسل إليهم، ومن هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[7]، وقوله : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا

---

1 - الآية 11 من سورة مريم.
2 - انظر لسان العرب لابن منظور، ج20، ص258.
3 - الآية 112 من سورة الأنعام.
4 - الآية121 من سورة الأنعام.
5 - وهذه الآية ونحوها تدل على أن الله تعالى يكلم الملائكة دون واسطة بكلام يفهمونه، انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص34.
6 - الآية 12 من سورة الأنفال.
7 - الآيات 1-4 من سورة النجم.

أَوْحَى﴾[1]، وقوله: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[2]. وفي هذه الآية دلالة على أن الوحي إلى النبي محمد ﷺ هو كالوحي إلى من سبقه من الأنبياء والرسل في اللفظ والمعنى على حد سواء والمعنى التي تدل عليه هذه الآيات ونحوها هو المعنى الاصطلاحي للوحي كما نرى في النقطة التالية:-

ثانياً:- تعريف الوحي في الاصطلاح

عند التأمل في نصوص القرآن الوارد فيها لفظ الوحي الذي تقدم بعضها نستطيع أن نعرفه بأنه: **إعلام الله تعالى من أختارهم من خلقه بما يشاء من كلام أو معنى يتضمن الهداية بطريقة خفية تفيده العلم اليقيني بما أعلمه الله به من هداية وإرشاد.**

ومن الملاحظ على هذا التعريف أنه شامل لعناصر مهمة منها ما يلي، وهي بمثابة شرح وتوضيح له:-

1- إنه إعلام من الله تعالى المحيط بكل شيء علماً لا من أحد سواه، وأن هناك ذاتاً إلهية كاملة الإرادة فيما تُوحى، وأن النبي الموحَى إليه له شخصية مستقلة متلقية مأمورة بما يوحي به إليها.

2- إن الرسول أو النبي يتلقى ما يوحى إليه وهو مستجمع لقواه الفكرية وشعوره كاملاً عندما يتلقى ما يوحى إليه من جانب الله تعالى من هداية وتوجيه وإرشاد.

---

[1] - الآية 10 من سورة النجم.

[2] - الآية 163 من سورة النساء.

3- إن ما يلقي إلى الرسول أو النبي من كلام أو معنى يحتل من ذاته مركز العلم اليقيني ويتأكد من صحته وأنه من الله تعالى دون شك أو تردد.

4- إن الوحي هو الطريق الوحيد للعلوم الإلهية الموجهة إلى جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى محمد ﷺ والوحي فضل من الله تعالى يختص به من يشاء من عباده، قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا ﴾[3].

ثالثاً:- أنواع الوحي

المراد من الوحي هنا والمنقسم إلى الأنواع الآتية، ما هو أعم ليشمل تكليم الله تعالى بعض أنبيائه ورسله المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[4]، وغيره إذ أن هذه الآية تفيد أن الوحي يأتي على أوجه وهيئات ثلاث، وهي:-

الأولى:- الوحي وهو الإلهام الذي يقع في النفس أو رؤيا صادقة مع التيقن في كل منهما أنه من الله تعالى كما تقدم في التعريف السالف.

---

1 - الآية 86 من سورة القصص.
2 - الآية 124 من سورة الأنعام.
3 - الآية 52 من سورة الشورى.
4 - الآية 51 من سورة الشورى.

الثانية:- التكليم من وراء الحجاب بأن يسمع الموحَى إليه كلام الله تعالى من غير أن يراه كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام.

الثالثة:- ما يكون عن طريق رسول من الملائكة وهو جبريل عليه السلام[1]، وهذه عامة للأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام والثانية خاصة بموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام[2].

وأما الأولى فتكون للأنبياء والأولياء كثيراً[3]، غير أن إلهام الأولياء قد يختلط بوسوسة الشيطان لأنهم غير معصومين بخلاف الأنبياء فإلهامهم محفوظ منه[4]، وفيما يلي تفصيل جميع أنواع الوحي ما دلت عليه الآية وغيرها:-

النوع الأول:-

إلقاء المعنى الموحَى به في قلب النبي الموحَى إليه، وهو المعبر عنه في الحديث الشريف بالنفث في الروع[5]، وهو الإلهام يدل عليه في الآية لفظ وحياً، وقد فسره العلماء بقولهم: وذلك بأن يخلق الله تعالى في قلب الموحَى إليه علماً ضرورياً بأنه من عند الله تعالى، كما روى عن سيدنا محمد ﷺ أنه قال: ((إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب))[6].

---

1 - انظر: تفسير النسفي، جـ4، ص111-112.

2 - فإن الله تعالى كلم نبيه محمداً ليلة الإسراء والمعراج.

3 - التسهيل لعلوم التنزيل، ص614.

4 - نقله الشيخ الصابوني في صفوة التفاسير عن الصاوي، جـ3، ص146، من الصفوة.

5 - الروع بضم الراء القلب، أو موضع الفزع منه والنفث النفخ بدون ريق.

6 - الحديث رواه أبو نعيم في الحلية بسند صحيح، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص40.

النوع الثاني:-

أن يسمع الرسول كلام الله تعالى من وراء حجاب من غير أن يرى السامع من يكلمه، والمراد أن السامع محجوب عن الرؤيا في الدنيا، وليس المراد حجب الله تعالى لأنه لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام من الحجاب[1]، وهذا النوع قد وقع لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، فناداه ربه بالواد المقدس طوى من جانب الطور الأيمن، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[4].

ومن هذا النوع أيضاً ما وقع لسيدنا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج حين فرض الله تعالى عليه وعلى أمته الصلاة في السموات العلي كما ثبت في الحديث الصحيح عنه ﷺ[5].

1 - من تفسير النسفي بتصرف، جـ4، ص112.

2 - الآيات من 11-14 من سورة طه.

3 - الآية 30 من سورة القصص.

4 - الآية 164 من سورة النساء.

5 - في أحاديث متعددة منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: فرضت على النبي ﷺ ليلة أسرى به الصلوات خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمساً ثم نودي يا محمد أنه لا يبدل القول لدى وإن لك بهذه الخمس خمسين، أي أجر الخمسين التي فرضت أولاً، رواه الخمسة منهم البخاري ومسلم وغيرهما، انظر التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول، جـ1، ص153.

النوع الثالث:-

ما كان بواسطة ملك الوحي – جبريل عليه السلام-: تُرى صورته ويُسمع صوته ويفهم كلامه فَيُعْلم النبي ﷺ بما أرسله الله به، وهذا النوع هو الغالب والكثير في الوحي لرسول الله محمد ﷺ وخصوصاً بالنسبة للقرآن الكريم، قال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني مشيراً إلى هذا النوع من الوحي: وذلك النوع هو أشهر الأنواع وأكثرها، ووحي القرآن كله من هذا القبيل وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي[1]، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[2]، وقال: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

ولهذا النوع من الوحي حالتان:-

الأولى:-

أن يأتي الملك في صورته الأصلية الملكية وهي أشد حالات الوحي على النبي ﷺ، فيسمع للوحي في هذه الحالة صوت يشبه صلصلة الجرس أو دوي النحل ولعل الحكمة في وقوعه ليكون كمقدمة لما سيلقى على النبي فيتهيأ فيستعد لتلقي الوحي ويستجمع قواه لذلك.

الثانية:-

أن يتمثل الملك في صورة رجل من البشر فيكلم الرسول ويملي عليه ما أراده الله من العلم والهداية، وهذه الحالة أخف على الرسول من سابقتها للتناسب بين المتكلم

---

[1] - مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص64.

[2] - الآيات 192-195 من سورة الشعراء.

[3] - الآية 94 من سورة البقرة.

والسامع، جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه: ((سئل فقيل له: كيف يأتيك الوحي يا رسول الله؟ فقال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده على فيفصم[1] عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني[*] فأعي ما يقول))[2]، في هذا الحديث أن النبي ﷺ يصرح بأنه يعي ما أوحى به إليه في الحالتين فيقول في الأولى: فيفصم عني وقد وعيت ما قال، ويقـــول في الثانـــية: فيكلمني فأعي ما يقول فأثبت لنفسه ﷺ الوعـــي الكامـــل قـــبل الوحي وبعده وفي أثنـــائه سواء أخفت وطأة الوحي عليه أم اشتدت[3].

النوع الرابع:–

ما كان عن طريق الرؤيا المنامية الصادقة وهو بلا واسطة بين الموحي والموحَى إليه ويدخل في النوع الأول من الأنواع التي تضمنتها آية الشورى المتقدمة المعبر عنها بتكليم الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام[4].

وهذه الطريق جاء بها الوحي إلى رسول الله محمد ﷺ في بداية البعثة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما ورد في الصحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، قالت: إن أول ما بدأ الوحي إليه ﷺ كان عن طريق الرؤيا المنامية

---

1 – ينكشف وينجلي.

* – روى أن جبريل كان يأتي إلى النبي ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي.

2 – الحديث رواه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

3 – انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، ص28.

4 – انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص516.

الصادقة[1]، ولعل وقوع الوحي في البداية كان بهذه الطريقة تمهيداً له ﷺ ومقدمة للوحي إليه يقظة.

وقد دل القرآن الكريم على أن الوحي إلى أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كان يأتي إليه مناماً وهو ما جاء في قصته عليه السلام من رؤيا ذبحه لولده إسماعيل عليه السلام[2]، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، ويؤكد هذه الطريقة ويؤيدها قوله ﷺ في الحديث الصحيح: ((نحن معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولا تنام عقولنا))[4].

رابعاً:- إثبات الوحي شرعاً وعقلاً

أما إثباته شرعاً فقد جاء في الأدلة النقلية الكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي تدل على وقوعه للنبي محمد ﷺ وللأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن

---

1 - نص الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بدئ الوحي له صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" متفق عليه.

2 - على القول الصحيح من أن الذبيح إسماعيل وليس إسحاق كما يدعي اليهود.

3 - الآيات من 101-107 من سورة الصافات.

4 - الحديث رواه البخاري في صحيحه.

رَبِّي﴾[1]، وقد تقدمت الآية التي تصرح بأن الوحي ثابت للأنبياء السابقين، وهي قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ... ﴾[2].

وأما إثباته عقلاً فلإنه من الأمور الممكنة عقلاً وأخبر بوقوعه الصادق وكل ممكن أخبر بوقوعه الصادق فهو حق لا شك فيه ولا ريب، إذاً الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابت وهو المطلوب، والدليل على صدق الرسل ما أيدهم الله به من المعجزات[3] التي ظهرت على أيديهم فهي قائمة مقام قوله عز وجل صدق عبدي فيما يبلغ عني[*]، ومنه أنه يوحى إليه وهو المطلوب هذا مع العلم بأن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين اصطفاهم الله تعالى ونزههم عن السيئات وعصمهم[4] من المعاصي كبيرها وصغيرها وحلاهم بالأخلاق العظيمة والصفات السامية من الصدق والأمانة والتفاني في الحق وإقامة الدين الذي ارتضاه الله تعالى[5].

---

1 – الآية 203 من سورة الأعراف.

2 – الآية 163 من سورة النساء.

3 – المعجزات جمع معجزة، وهي تعجز العقل عن تفسيرها كما تعجز القدرة الإنسانية عن الإتيان بمثلها وهي الآيات والعلامات التي أيد الله تعالى بها أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام تدل دلالة قطعية على انه مُرسل من عند الله تعالى، ولا بد أن تكون خارجة عن مقدور البشر وعلومهم ومعارفهم ومخالفة أيضاً للسنن المادية الطبيعية، ومن هنا سماها العلماء بالمعجزات وعرفوها بأنها: أمور خارقة للعادة يظهرها الله تعالى على يدي نبي مرسل ليقيم بها الدليل القاطع على صدق نبوته ورسالته وهي من الأمور الممكنة في ذاتها والعقل لا يمنعها والعلم لا ينفيها والواقع يؤيدها؛ العقائد الإسلامية للسيد سابق، ص208.

– انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم البيجوري، ص121.

4 – هي أنهم لا يتركون واجبا ولا يفعلون محرماً ولا يقترفون ما يتنافى مع الخلق الكريم أو هي حفظ الله تعالى للمكلف من الذنب.

5 – انظر العقائد الإسلامية، ص180، وشرح البيجوري على جوهرة التوحيد، ص123.

خامساً:- شبهات أثيرت حول الوحي وإبطالها

أورد أعداء الديانات والملاحدة شبهات حول هذا الموضوع منها:-

الشبهة الأولى: يقولون منكرين الوحي لسيدنا محمد ﷺ: إن محمداً كان عصبياً حاد المزاج وكان مريضاً بما يسمونه (الهستيريا) فالوحي الذي كان يزعمه ما هو إلا أعراض لتلك الحالة التي أصيب بها[1].

جواب الشبهة وإبطالها: أقول إن ما يقولونه في شأن سيدنا محمد ﷺ ما هو إلا فرية وكذب محض يدل على جهل هؤلاء القائلين بحياة محمد ﷺ بل المعروف عنه بشهادة الواقع والتاريخ الصحيح والأدلة القاطعة أنه كان سليم الجسم وديعاً حليماً صبوراً بل كان عظيم الصبر واسع الحلم، حتى وسع الناس جميعاً بحلمه وخلقه وكان شجاعاً مقداماً يثبت في الميدان حين يفر الشجعان كما هو معلوم في سيرته عليه الصلاة والسلام[2].

الشبهة الثانية يقولون: لو كان الوحي ممكناً لأوحى الله لأفراد البشر عامة ولم يخص به شرذمة قليلين يجعلهم واسطة بينه وبين خلقه.

الجواب: أقول، إن عامة البشر ليس لديهم استعداد لتلقي الوحي عن الله لا مباشرة ولا بواسطة الملك حتى لو جاءهم ملك لم يستطيعوا رؤيته إلا إذا ظهر في صورة إنسان وحينئذ يعود اللبس ويبقى الأشكال فاقتضت الحكمة أن يجعل الله من بني الإنسان طائفة مختارة لها استعداد خاص يؤهلها لأن تتلقى عن الله الوحي ثم تؤديه في أمانة إلى العامة من

---

1 - إن الهستيريا التي يصمون بها سيدنا محمداً ﷺ كذباً وافتراء مرض عصبي عضال أكثر أصابته النساء، ومن أعراضه شذوذ في الخلق وضيق في التنفس واضطراب في الهضم..، وقد يصل إلى هذيان مصحوب بحركة واضطراب في اليدين والرجلين، من المناهل، جـ1، ص81.

2 - من مناهل العرفان للزرقاني بتصرف واختصار، جـ1، ص81.

إخوانهم بعد أن جعل الله لهم ما يؤيدهم من الآيات والمعجزات الخارقة للعادة التي تدل على تصديقهم فيما يدعون إليه وهو المطلوب[1].

الشبهة الثالثة: يقولون إن الوحي الذي تدّعونه وتدَّعون تنجيمه جاء بقرآن غير مرتب ولا منظم فلم يفرد كل غرض منه بفصل أو باب شأنه شأن سائر الكتب المنظمة بل مزجت أغراضه مزجاً غير مراعي فيه نظام التأليف فيبعد أن يكون وحياً من الله.

الجواب: وفيه أقول: إن مخالفة القرآن لأنظمة الكتب المؤلفة لا يعد عيباً فيه ولا في وحيه وموحيه، بل هي على العكس دليل مادي على أنه ليس بكتاب وضعي بشري يجعل واضعه لكل طائفة من معلوماته المتناسقة فصلاً ولكل فصل من فصوله المتناسبة باباً، بل هو مجموع إشراقات من الوحي الإلهي الأعلى اقتضتها الحكمة ودعت إليها المصلحة كما سيأتي تفصيله في بيان أسرار تنجيم نزول القرآن[2].

بل إن المعروف عن القرآن أنه يقوم بين جمله وآياته وسوره تناسب بارع وارتباط محكم وائتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصاً إذا لاحظنا أن نزوله كان منجماً في الأيام والليالي والشهور والسنين في نحو ثلاث وعشرين سنة.

---

1 - من مناهل العرفان بتصرف واختصار، جـ1، ص77-78.

2 - نفس المصدر السالف، ص80.

الأسئلة

س1- تحدث عن أهمية الوحي على أي شيء بنيت؟ واذكر النقاط الواردة فيه بجملة؟ ثم عرف الوحي في اللغة مبيناً إطلاقاته المتعددة ومعانيه الواردة في القرآن مع بيان ما يشهد لكل معنى منها من الآيات القرآنية؟

س2- عرف الوحي في الاصطلاح؟ واشرح التعريف ببيان الملاحظات التي لوحظت عليه؟

س3- اذكر أنواع الوحي من حيث هو أعم ليشمل جميع المعاني الواردة في قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه ..﴾ الآية مفصلاً كل نوع على حدة ومستدلاً له بالآيات التي تؤيده وتوضحه؟

س4- يعبر بعض العلماء عن الوحي بالقرآن إلى النبي محمد ﷺ بالوحي الجلي، وبين أن له نوعين، اذكرهما مستدلاً عليهما بما يحضرك من الحديث الصحيح؟

س5- تحدث عن إثبات الوحي عقلاً وبالاستدلال عليه سمعاً مبيناً معنى المعجزة لغة وشرعاً؟ وكيف يثبت بها الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

س6- أورد الملاحدة وأعداء الأديان شبهات حول الوحي، اذكر هذه الشبه؟ وأجب عنها بما يبطلها؟

المبحث الثاني

نزول القرآن

مدخل المبحث وأهميته:-

من المعلوم أن القرآن الكريم كلام الله تعالى بمعناه ولفظه العربي، وليس لجبريل عليه السلام إلا نقله وحكايته، ولا لمحمد ﷺ إلا تبليغه للناس بلفظه الذي نقله عن جبريل عليه السلام، ثم بيانه لهم بالقول والعمل، لذلك تكلم العلماء في معنى نزول القرآن وجهاته ومراته، واعتبروه من المباحث المهمة، لأن العلم بنزول القرآن من عند الله تعالى أساس للإيمان بالقرآن وللتصديق برسالة سيدنا محمد ﷺ، وقد وصف بعض العلماء [1] هذا المبحث فقال: (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي..).

وسيتناول الكلام هنا النقاط التالية: معنى النزول لغة والمراد به بالنسبة لنزول القرآن- مرات نزول القرآن، حكم تنجيم نزول القرآن على النبي ﷺ، المكي والمدني من القرآن ومميزات كل منهما وفوائد العلم بهما.

وإليكم التفصيل:-

1- معنى النزول

يطلق النزول لغة، ويراد منه أحد المعنيين:-

أولهما: الحلول والأويّ في المكان، مثاله نزل الأمير المدينة، ومن المتعدي قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[2]

وثانيهمـــا: الانحـــدار من مكان عالٍ إلى أسفل، كقولك نزلت من الجبل، ومن المتعدي قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾[3].

---

[1] - هو أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) نقله السيوطي في الإتقان، جـ1، ص8، ط حم.

[2] - الآية 29 من سورة المؤمنين.

[3] - الآية 48 من سورة الفرقان.

ومن الواضح أن كلاً من المعنيين لا يصح إرادته بالنسبة لإنزال القرآن أو نزوله - يلزم على ذلك من المكانية والجسمية، والنازل الذي هو القرآن ليس بجسم، ومنزله وهو الله سبحانه وتعالى منـــزه عن المكانية والجهة، إذاً، لا بد من صرف هذا اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي مناسب، لا سيما وقد جاء التعبير به في القـــرآن الكـــريم والحديث النبوي الشريف، قال تعالى:﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَـــقِّ نَزَلَ﴾[1]، وقـــال ﷺ: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف))[2]. ولعل أنسب المعاني لإنزال القرآن في جميع إطلاقاته[3] وتنـــزلاته، هو الإعلام[4] من إطلاق اللفظ وإرادة لازمه على طريقة المجاز المرسل؛ لأن إنزال شيء إلى شيء يلزم منه إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء به.

ولعل السر في التعبير عن إعلام النبي ﷺ بالقرآن بلفظ النزول أو الإنزال هو: الدلالة على علو منزلة هذا الكتاب الحكيم والتنويه بشرفه، نظراً لما تشير إليه مادة النـــزول من علو صاحب الكتاب علواً كبيراً.

2- تنـــزلات القرآن، أو مرات نـــزوله

من الثابت تاريخياً، وفي السنّة النبوية الشريفة، أن الله تعالى قد شرف كتابه المعجز – القرآن الكريم- وجعل له ثلاث تنـــزلات مبالغة في نفي الشك عنه وتأكيداً لمزيد الثقة فيه، وهي مع أدلتها وبيان الحكمة منها، كما يلي:-

---

1 - الآية 105 من سورة الإسراء.

2 - مناهل العرفان، جـــ1، ص140، والحديث رواه الشيخان.

3 - إي إطلاقات القرآن لأنه كما يطلق على اللفظ العربي المعجز الذي نقرؤه كذلك يطلق على الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى الدالة على القرآن.

4 - وذلك لأن المقصود من إثبات القرآن في اللوح وفي السماء الدنيا وفي قلبه ﷺ هو إعلام الخلق في العالمين العلوي والسفلي بما شاء الله دلالتهم عليه من الحق.

أ – التنـــزل الأول إلى اللوح المحفوظ

بمعنى إثباته ووجوده فيه من غير ملاحظة علو أو سفل، وفي وقت وبكيفية يعلمهما المولى عز وجل، ومن أطلعه على غيبه من خلقه، ونـــزوله في هذه المرة جملة لا مفرقاً لأنه الظاهر من اللفظ ولا صارف يـــصرفه عنه، ولأن حكم التنجيم الآتية لا تتحـــقق فيه[1].

دليله:– قوله تعالى في سورة البروج:﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[2]

وأما الحكمة من إثباته في اللوح: فترجع إلى الحكمة العامة من وجود اللوح نفسه وهي: كونه سجلاً جامعاً لما كان وما سيكون من العوالم، ومظهراً رائعاً من مظاهر قدرة الله تعالى. قال عزَّ شأنه:﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[3] .

ب– التنـــزل الثاني من اللوح إلى السماء الدنيا

كان النـــزول الثاني للقرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا[4]، وهو على الصحيح كان جملة لا مفرقاً، حكى القرطبي الإجماع على ذلك دليله، قوله تبارك وتعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[5]، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي

---

1 – مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، جـ1، ص43.

2 – الأيتان 21– 22 من سورة البروج.

3 – الآيتان 22–23 من سورة الحديد.

4 – جاء التعبير في حديث النـــزول في طرقه المختلفة بلفظ السماء الدنيا، وبلفظ سماء الدنيا فيفهم منه أن المعنى واحد والله أعلم.

5 – الآية 185 من سورة.

لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾، وقوله:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ فهذه الآيات الكريمة الثلاث تدل جميعها، كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، والحسن وابن جبير[1]، على أن القرآن أنـــزل في ليلة واحدة تسمى ليلة القدر، وموصوفة بأنها مباركة وأنها من ليالي شهر رمضان، بدليل قوله ﷺ في شأن ليلة القدر، وأنها في رمضان: ((تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان))، رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها. هذا، ومن المقطوع به أن القرآن الكريم نـــزل على النبي ﷺ مفرقاً في الليالي والشهور والسنين حسب المناسبات والوقائع، فتعين أن يكون النـــزول المذكور في هذه الآيات غير النـــزول على النبي ﷺ، فيكون المراد نـــزوله من اللوح إلى السماء الدنيا، وهو ما صرحت به الروايات الكثيرة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[2]، منها ما أخرجه الحاكم عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينـــزل به على النبي ﷺ[3].

حكمته: وأما الحكمة من وقوع هذا التنـــزيل، فهي: ما ذكرها الإمام السيوطي فقال: (هي تفخيم أمره وأمر من أنزل عليه وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا هو آخر الكتب المنـــزلة على خـــاتم الرســـل لأشـــرف الأمم قد قربناه إليهم لننـــزله عليهم)، أ.هـــ[4].

---

1 – وعن ابن إسحاق أن معناها ابتداء نزوله في رمضان في ليلة القدر، وعلى هذا لا يكون المراد به الإنزال إلى السماء الدنيا، وإنما مراده إنزاله إلى النبي ﷺ، وهو التنـــزل الثالث كما سيأتي.

2 – رواه ابن عباس وأخرجه الحاكم وابن أبي حاتم والبيهقي وابن أبي شيبة والنسائي والطبراني والبزار.

3 – الإتقان للسيوطي، جـــ1، ص40.

4 – المصدر السالف نفسه.

جـ- التنــزل الثالث

هذه هي المرحلة لأخيرة لنزول القرآن الكريم التي أضاء نورها العالم وبددت شمسها دياجير الشرك وظلمات الجاهلية، ووصلت بها هداية الله العظمى لخلقه، وقعت بواسطة أمين الوحي – جبريل – عليه السلام، نــزل بالقرآن على قلب نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله ﷺ.

دليله: قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً النبي ﷺ: بقوله تعالى:﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[1]

كيف تلقى جبريل القرآن عن المولى عز وجل:-

اختلف العلماء في الكيفية التي أخذ بها جبريل القرآن عن الله تعالى على قولين:-

أولهما وأولاهما: أنه عليه السلام أخذ القرآن سماعاً من الله تعالى، يدل له حديث النواس ابن سمعان رضي الله عنه فيما أخرجه الطبراني عنه، مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: ((إذا تكلّم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله عز وجل، فإذا سمع أهل السماء صعقوا وخروا سجّداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل ويكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به إلى الملائكة، فكلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا؟ قال الحق فينتهي به حيث أمر))[2].

وثانيهما: أن جبريل عليه السلام يقرأ من اللوح المحفوظ ما قدر له أن ينــزل به فيحفظه ويلقيه إلى النبي ﷺ، وقد علمت أن الأول أولى بالقبول، وذلك لأن القرآن نــزل على النبي ﷺ نجوماً مفرقاً حسب الوقائع والمناسبات، وهي قبل وقوعها أمور غيبية لا يعلمها

---

[1] – الآيات 193-195 من سورة الشعراء.

[2] – مناهل العرفان، جـ1، ص41.

إلا المولى عز وجل علاوة على ما في السماع من زيادة الثقة، وأيضاً قد استند الأول إلى الرواية المرفوعة إلى النبي ﷺ كما تقدم، وهذا ليس كذلك.

هذا وليس ببعيد أن يكون الوحي بالقرآن جاء بالطريقتين –طريقة السماع وطريقة القراءة– فبعض النجوم جاءت بهذه وبعضها الآخر جاء بتلك، ويجوز أن يكون الملك جمع بينهما في كل نجم من نجوم القرآن تأكيداً للثقة ونفياً للشك – والله أعلم–.

كيف تلقى النبي ﷺ القرآن؟

المعروف أن النبي ﷺ كان يأخذ القرآن بإحدى طريقتين:

إحداهما: أن يتغير النبيﷺ عن صورته الطبيعية ويظهر له الملك بصورته الملكية ويوحى إليه بما شاء الله أن يبلغه إياه، وفي هذه الحالة يظهر أثر الوحي على جسمه الشريف ﷺ فيتغير لونه ويثقل جسمه ويشتد عليه العرق في اليوم الشديد البرد، ويسمع للوحي في هذه الحالة صوت يشبه صلصلة الجرس أو دوي النحل، وربما يسمعه بعض الحاضرين ولكنهم لا يفهمون شيئاً، أما النبي ﷺ فإنه يسمع ويعي ويعلم علماً ضرورياً أنه وحي الله وكلامه دون لبس أو خفاء. يدل لهذا، الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعلى عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس[1]– وهو أشده عليّ– فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً

---

[1] – في الإتقان، قال الخطابي، والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد.. والحكمة من تقدمه أن يفرغ سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره، أ.هـ، جـ1، ص44.

فيكلمني فأعي ما يقول)) قالت عائشة: (ولقد رأيته ينـــزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتصبب عرقاً)[1].

ثانيتهما: أن يتحول الملك من صورته الملكية إلى صورة بشر ويكلم الرسول ﷺ مشافهة بما يريد.

كانت الحالة الأولى أشد على جسم النبي ﷺ كما صرح بهذا في الحديث السالف.

ما الذي ينـــزل به جبريل عليه السلام:-

الحق الذي لا محيد عنه أن ألفاظ القرآن المعجزة ومعانيه السامية كلها – من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس- من عند الله تبارك وتعالى لا دخل لجبريل عليه السلام ولا لمحمد ﷺ في إنشائها ولا في ترتيبها، فليس لجبريل فيها سوى الحكاية والنقل والتبليغ، ولا لمحمد سوى الحفظ والفهم والتبليغ والتفسير ثم التطبيق والتنفيذ، وأما ما قيل من أن المنـــزل من عند الله هو المعنى فقط، وأما اللفظ العربي فهو إما من محمد ﷺ أو من جبريل – عليه السلام- فقول بعيد عن الصواب مصادم لصريح القرآن والسنّة، بل قال الشيخ عبد العظيم الزرقاني في المناهل: إنه مدسوس على المسلمين في كتبهم، وإلا فكيف يكون القرآن معجزاً واللفظ من عند محمد أو جبريل، ثم كيف تصح نسبته إلى الله في قوله عز من قائل:﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ﴾[2]

[1] – مناهل العرفان، جـ1، ص58.
2 – الأية 6 من سورة التوبة.

تنجيم نـــزول القرآن والحكمة منه

من الثابت أن القرآن نزل على النبي محمد ﷺ مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة ابتداءً من بلوغ النبي ﷺ سن الأربعين[1] حتى قرب وفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى[2].

فكانت الآيات تـــنزل جواباً لمستخبر أو إثر حادثة وقعت، فالأول كقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[3] والثاني كقوله تعالى:﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾[4] والمقصود من التنجيم المذكور هو: تفريق آيات القرآن الكريم وتقسيمها حال نزولها على النبي ﷺ إلى نوبات وأقسام مختلفة طولاً وقصراً من سورة بأكملها[5] إلى عدة آيات، قد تكثر حتى تصل إلى العشر، وقد تقلّ حتى تصل إلى آية واحدة أو بعض آية[6].

دليل التنجيم: قوله تعالى:﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[7] وسُمِّي المقدار النازل من القرآن في النوبة الواحدة نجماً تشبيهاً له بنجوم السماء في الرفعة والإضاءة، وتنزيهاً لكلام الله تعالى من الوصف بالتفريق ولو في اللفظ والعبارة.

---

1 – في 17 من رمضان سنة 41 من مولده ﷺ.
2 – في 9 من ذي الحجة سنة 63 من مولده عليه الصلاة والسلام.
3 – نزلت حين سأل المسلمون رسول ﷺ في شأن غنائم بدر: كيف تقسم ولمن الحكم فيها أهي للمهاجرين أم للأنصار، أم لهم جميعاً.
4 – نزلت إثر حادثة وقوف النبي ﷺ: على الصفا وقوله للمشركين إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وقول أبي لهب: تباً لك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة.
5 – كسورة الفاتحة والعشرة كالآيات التي نزلت في شأن حادثة الإفك.
6 – روى أن قوله تعالى:﴿ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾ نزل مستقلا وهو بعض آية 95 من سورة النساء.
7 – الآية 106 من سورة الإسراء.

حِكَم التنجيم وأسراره:-

علمنا فيما سلف أن القرآن الكريم نزل من عند الله تعالى جملة واحدة، وكذلك نزل إلى السماء الدنيا موافقة للكتب السماوية السابقة، وأما نزوله على النبي ﷺ فقد كان مفرقاً وموزعاً حسب الحوادث والمناسبات، فأثار هذا اعتراض الكفرة من يهود ومشركين، وهو ما حكاه الله عنهم وأجاب عنه وأبان الحكمة من نزوله منجماً، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1] هذا وقد أسهب بعض العلماء في بيان حكم هذا التنجيم وأسراره، وفي الأسطر التالية بيان مجمل لهذه الحكم والأسرار:-

1- تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه وإشعاره بأن الله دائماً في جانبه ويتجلى هذا في الآتي:-

أ – لما في التنجيم من تجديد للوحي وتكرير لنزول الملك، وفي هذا تسلية له ﷺ وإدخال السرور على قلبه الشريف، وإزالة لما يلحقه من الأذى من صدود المشركين وعنادهم، فكلما اشتد عليه هذا الأذى سلاه ربه وخفف عنه، تارة بقصص إخوانه الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى:﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[2] وطوراً بوعده بالنصر والتأييد، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾[3]

---

1 - الآيتان 32 و 33 من سورة الفرقان.
2 - الآية 120 من سورة هود.
3 - الآيتان 171-172 من سورة الصافات.

وقوله:﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[1]، وأحياناً بالوعيد لأعدائه الكفرة بالهزيمة والخذلان، بمثل قوله تعالى:﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[2]

ب- لما في التنجيم من تيسير حفظ القرآن وتسهيل فهمه له ﷺ، وفي كل مرة من مرات نزول القرآن معجزة جديدة تؤيده، وتشد من أزره وتصدقه في كل ما جاء به عن ربه من هداية وإرشاد.

2- التدرج في تربية الأمة الإسلامية الناشئة علماً وعملاً، زيادة على تثبيتهم وشد أزرهم وإشعارهم بالنصر والتأييد، ويمكن توضيح هذه الحكمة بالنقاط التالية:-

أ – بتنجيم نزول القرآن يتيسر حفظه ويسهل فهمه على أفراد الأمة، خصوصاً وهم في أول أمرهم تغلب عليهم الأمية وليست لديهم أدوات الكتابة والتسجيل بالقدر الكافي.

ب- التمهيد لتخليهم عن الرذائل والعادات الممقوتة، فكلما نجح القرآن في هدم باطل من أباطيل المشركين انتقل إلى آخر، وهكذا حتى طهّر الأمة الإسلامية من أرجاس الجاهلية والناس لا يشعرون بإرهاق أو ملل، وهذا هو الطريق السديد في تربية أمة عنيدة تتعصب لموروثاتها من العادات والتقاليد.

جـ- التدرج في تحليتهم بالفضائل وغرس العقائد الحقة والعبادات الصحيحة في قلوبهم، فالتشريعات الجديدة المخالفة لما عليه الناس، والتدرج في إلزامها لهم حتى تتقبلها النفوس بقبول حسن.

ففي القرآن الكريم، تشريعات كثيرة نزلت في فترات نفسية مناسبة لتتمشى مع عادات البشر وطبائعهم[3]، فلو أنها نزلت دفعة واحدة لشعر الناس بثقلها، فالمصلح لا ينبغي أن يظهر تشريعات حتى يهيئ الجو لها، كما وقع في القرآن الكريم.

---

1 - الآية 48 من سورة الطور.
2 - الآية 45 من سورة القمر.
3 - أي من حيث تدرجها في النزول لا في الحكم.

3- مسايرة الحوادث في تجددها والمناسبات في تعاقبها، فكلما جد جديد من الحوادث والمشاكل جاءت الآيات الكريمة بالحل المناسب، فكثيراً ما نجد في القرآن إفحاماً للمشركين في جدالهم مع النبي ﷺ وإجابة للمسلمين عن أسئلتهم وبياناً لحكم الله تعالى في قضايا ووقائع حدثت في حينها كما في حادثة فداء أسرى بدر، وحادثة مظاهرة أوس بن الصامت من زوجته خولة بنت ثعلبة، ونحو ذلك.

4- الإشارة إلى مصدر القرآن الكريم، فالتنجيم يدل على أنه من عند الله تعالى، وذلك لأنه مع نزوله مفرقاً تجده متناسق الألفاظ، محكم الأسلوب، منسجم النظم والتركيب، معجزاً للخلق أجمعين من هذه الناحية[1]، فلو كان من عند غير الله – وجاء مفرقاً– لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، ولا يتحقق هذا النوع من الإعجاز لو نزل القرآن جملة.

5- تحقق النسخ بين آيات القرآن الكريم، فقد شاءت حكمة الله أن تنسخ تلاوة بعض الآيات أو حكمها أو هما معاً، تسهيلاً على الأمة أو تدرجاً بهم من السهولة إلى الصعوبة، وهذه الحكمة لا تتأتى لو نزل القرآن جملة واحدة.

المكي والمدني من القرآن ومميزات كل منهما وفوائد العلم بهما:–

من المباحث المهمة في علوم القرآن معرفة المكي والمدني من القرآن الكريم وإدراك الفرق بينهما، وفائدتها[2] يجدر بطالب التفسير الاطلاع عليها والأخذ بها، إذ هي من الوسائل التي تعينه على فهم الآيات فهماً صحيحاً متمشياً مع ظروف نزولها وملابساته ومع معرفة المخاطبين بها إبان نزولها، وتوصف السورة بكونها مكية أو مدنية تبعاً لنزول

---

[1] – أي زيادة على ما له من نواحي الإعجاز الأخرى المعروفة.

[2] – أي فائدة معرفة المكي والمدني.

أغلبية ما ذكر فيها من آيات أو لفاتحتها، فقد ورد أن فاتحة السورة إذا نزلت في مكة أو قبل الهجرة كتبت تلك السورة مكية وإن تخللتها آيات مدنية، وكذلك إذا نزلت فاتحة السورة في المدينة أو بعد الهجرة كتبت مدنية وإن تخللتها آيات مكية، ثم تستثنى[1] تلك الآيات المخالفة للأغلبية أو للفاتحة فيقال مثلاً: سورة كذا مكية إلا آية كذا وكذا، هذا ولعلماء هذا الفن اصطلاحات في التعريف بالمكي والمدني من القرآن، نجملها فيما يلي:-

اصطلاحات العلماء في المراد بالمكي والمدني:-

وضع العلماء اصطلاحات ثلاثة للتعريف بهذين الوصفين ولبيان الفرق بينهما، وذلك باعتبارات مختلفة، فبينما جعله بعضهم باعتبار المكان، اعتبره آخرون بحسب الزمان، وقال فريق ثالث: أنه باعتبار المخاطب أو أسلوب الخطاب، وإليكم التفصيل:-

أ – الاصطلاح الأول

أن المكي ما نــزل من القرآن بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نــزل في المدينة، ويدخل في مكة ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها كبدر وأحد وسلع[2].

وهذا الاصطلاح على الرغم من أنه المتبادر إلى الذهن من اللفظ، إلا أن العلماء لاحظوا عليه وانتقدوه بأنه غير شامل وتثبت بمقتضاه الواسطة، إذ أن هناك من الآيات ما لم تنــزل في مكة ولا في المدينة ولا في ضواحيهما[3] كالنازلة في الأسفار وببيت المقدس

---

1 – أغلب السور لم يقع فيها استثناء ووقع في البعض وهو حوالي بضع وأربعين سورة وأغلبه آيات مدنية جعلت في سورة مكية، وأما عكسه وهو: آيات مكية جعلت في سورة مدنية فقليل.

2 – سَلع بفتح السين المهملة: جبل بسوق المدينة المنورة.

3 – وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾، آية 13 من سورة محمد، نزلت في الطريق أثناء الهجرة، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ

وتبوك، وهو أيضاً مخالف للحديث الذي رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة، مكة والمدينة والشام[1].

ب- الاصطلاح الثاني

أما الذين اعتبروه بحسب الأسلوب فقالوا: إن المكي ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني: ما كان خطاباً لأهل المدينة ولعله مأخوذ من الحديث المروي عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه والذي يقول: كل شيء نزل فيه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فهو بمكة – وذلك لأن الكفر غالب فيهم[2] – وكل شيء نزل فيه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ فهو بالمدينة، وذلك لأن الإيمان غالب فيهم، وهذا الرأي أيضاً كسابقه تلزمه الواسطة فلا يكون شاملاً بل هي هنا أكثر، فإن العديد من السور لم تصدَّر بهاتين الآيتين ولم تكن خطاباً خاصاً بأهل المدينة ولا مكة، كما يرد عليه أيضاً أن من السور المكية ما ورد فيها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ مثل سورة الحج[3]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا... ﴾ الآية[4]، وإن من السور المدنية ما ورد فيها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ مثل سورة البقرة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ... ﴾[5].

كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾، آية 42 من سورة التوبة، نزلت في تبوك، وقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ، آية 45 الزخرف، نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء.

1 – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ1، ص23.

2 – حديث مرسل، وفي بعض الروايات أسند إلى سيدنا عبد الله بن مسعود، رواه الحاكم في المستدرك.

3 – هذا على غير المشهور، وأما على المشهور فإن سورة الحج مدنية وصدرت بيآيها الناس.

4 – الآية 77.

5 – الآية 21.

جـ- الاصطلاح الثالث

وهو القائل بأن الفرق بين النوعين بحسب الزمان، وعليه فالمكي: ما نزل من القرآن قبل الهجرة وإن كان نزوله خارج مكة وضواحيها كالآية التي نزلت ببيت المقدس.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن وقع نزوله بمكة أو منى أو عرفات، وتحدّ الهجرة، بوصوله ﷺ إلى المدينة في غرة ربيع الأول سنة 54 من مولده عليه الصلاة والسلام[1]، وهـــذا الرأي هو أشمل الآراء وأصـــحها، فيكون هو المناسب وقد أخذ به كثير من العلماء ورجّحوه.

مميزات المكي والمدني من القرآن:-

من المعلوم أن الهجرة النبوية الشريفة تعتبر تاريخياً حداً فاصلاً بين عهدين متمايزين، كذلك هي أيضاً تعتبر بالنسبة للقرآن الكريم حداً فاصلاً بين أسلوبين متمايزين يمكن للقارئ المتدبر إدراك الفرق بينهما، وذلك لأن القرآن أنزل لمخاطبة الناس الملتفين حول الرسول ﷺ سواء في مكة أو المدينة أولاً وبالذات وإن كانت خطاباته في النهاية عامة شاملة، فبينما كانت الآيات الكريمة في مكة تخاطب أناساً اشتهروا بالشرك وعبادة الأوثان والتشبث بالتقاليد والعادات الموروثة، نجدها في المدينة تنزل على قوم لهم حظ من الكتاب الأول مع ملاحظة انتشار الإسلام بين ربوع المدينة واستقرار أمره هناك، فمن

---

1 - وكان خروجه ﷺ من مكة يوم 17 صفر سنة 54 من ميلاده، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في 9 من ذي الحجة سنة 63 من ميلاده عليه الصلاة والسلام الموافق سنة 10 من الهجرة، وقد علمنا أن بدء الوحي كان في 17 من رمضان سنة 41 من ميلاده عليه الصلاة والسلام، فتكون مدة العهد المكي 12 سنة وخمسة شهور و13 يوما، ومدة العهد المدني 9 سنين و9 شهور و 9 أيام، ومجموع ما نزل في مكة من الآيات: 4780 في 91 سورة، ومجموع ما نزل بالمدينة من الآيات: 1456 في 23 سورة أ.هـ. من مناهل العرفان، جـ1، ص45 فتكون آيات القرآن جميعا 6236 آية، وهو عد الكوفيين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الطبيعي إذاً أن يتغير أسلوب القرآن وتظهر له أهداف أخرى وموضوعات جديدة. هذا مع العلم بأن معرفة المكي والمدني لم ينقل فيها عن النبي ﷺ شيء، وإنما المعول عليه فيها هو النقل عن الصحابة والتابعين، وقد وقع خلاف بينهم في بعضها وخصوصاً في المكي[1]، لذلك أضاف علماء هذا الفن إلى النقل ضوابط ومميزات يمكن عن طريقها معرفة الفرق بين المكي والمدني، وهي بمثابة قياس تعرض عليه الآيات القرآنية فيتبين به الفرق بين النوعين، وفي الأسطر التالية بيان مجمل لهذه المميزات.

أ – **مميزات المكي**، فهو يمتاز بما يلي:-

1- ببيان أصول العقائد من الدعوة إلى توحيد الله تعالى بالعبادة واختصاصه بالألوهية، وإلى الإقرار بالرسالة والبعث والجزاء والحث على مكارم الأخلاق.

2- بقصر السور والآيات غالباً، لأن الإيجاز يناسب أهل مكة المشهورين بالفصاحة والبلاغة، فبينما نجد مثلاً الجزء الثلاثين المكي تبلغ آياته 550 آية نجد مثله في المدني، وهو الجزء الثامن والعشرون لا تبلغ آياته إلا 136 آية.

3- بمناقشة المشركين في عقائدهم، وإبطالها وذمها مثل عبادتهم للأوثان وادعائهم لله ولداً ووأدهم البنات، ونحو ذلك.

4- بالتحدث عن الأمم الماضية والأنبياء والرسل السابقين، وما لحقهم في سبيل دعواتهم من الأذى والعنت، بما في ذلك ما جاء عن قصة آدم وإبليس سوى سورة البقرة.

5- بالافتتاح بحروف التهجي المقطعة[2] سوى سورتي البقرة وآل عمران.

---

[1]– السور المدنية باتفاق عشرون، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والجمعة والمنافقون والطلاق والتحريم والنصر، والسور المختلف فيها اثنتا عشرة سورة، وهي: الفاتحة والرعد والحج والرحمن والصف والتغابن والمطففين والقدر، ولم يكن والإخلاص والمعوذتان، والباقي وهو اثنتان وثمانون سورة مكية باتفاق.

[2] – أي المفردة التي ينطق بأسمائها لا مسمياتها.

6- جميع السور المبدوءة بالقسم.
7- كل السور المشتملة على سجدة من سجود التلاوة.
8- كل سورة فيها (كلا).
9- أغلب سور المفصل.

ب- مميزات المدني، وأما المدني فيمتاز بالآتي:-
1- بالبحث في المجالات العملية كالعبادات والحدود والفرائض.
2- بالإطناب في الخطاب وطول السور والآيات غالباً.
3- بذكر النفاق والمنافقين ومناقشتهم وإرشاد النبي ﷺ إلى دسائسهم ضد الإسلام والمسلمين.
4- بمجادلة أهل الكتاب وإرشادهم إلى محاسن الإسلام وسماحته والنعي عليهم تحريفهم لكتب الله السالفة.

الفائدة من العلم بالمكي والمدني:-

لمعرفة المكي والمدني من القرآن الكريم والتمييز بينهما فائدة عظيمة وغاية جليلة سامية، ذلك لأنها:-

أ. تعيننا على فهم النصوص القرآنية فهماً صحيحاً، فمن طريقها نستطيع تمييز الناسخ والمنسوخ، وذلك فيما إذا وجدنا آيتين في حكم واحد، وكانت إحداهما تخالف الأخرى في بيانه، حكمنا بأن المدنية ناسخة للمكية، مع مراعاة شروط معينة.
ب. من معرفة المكي من المدني نفهم من هم المخاطبون بالآيات القرآنية الكريمة إبّان نزولها، ونتبين البيئة والظروف المصاحبة لهذا النزول.

ج. ما نلمسه من خلال معرفتنا بالمكي والمدني من عناية الله الفائقة بالأمة الإسلامية ولطفه بها، حيث لم يترل عليهم التكاليف دفعة واحدة، وإنما أنزلها في فترات من الزمن، الأمر الذي يظهر لنا سمو السياسة الإسلامية ويسرها وسهولة الأخذ بها.

د. وأخيراً، نرى ضمن ما عرفناه في هذا الموضوع مدى عناية المسلمين الفائقة في الصدر الأول ومثابرتهم على حفظ القرآن الكريم، حتى أنهم ليعرفون ويتناقلون ما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة، وما نزل في الطريق بينهما وفي غيرهما، وما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل سفراً وما نزل حضراً، وما نزل في الصيف أو في الشتاء، وما نزل ليلاً أو نهاراً، إلى غير ذلك، ويكفينا في هذا ما نقل عن سيدنا عبد الله بن مسعود من قوله: (والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، وما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه). وروى ما يقرب من هذا عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الأسئلة

س1- لماذا اعتبر العلماء مبحث نزول القرآن وجهاته من المباحث المهمة؟ مؤيداً إجابتك بكلام بعض العلماء مبيناً معنى التزول لغة؟ والمراد به بالنسبة لتزول القرآن؟ وما الحكمة من التعبير عن الإعلام بالقرآن بلفظ التزول؟

س2- اذكر تترلات القرآن أو مرات نزوله مبيناً الحكمة من كل تترل ودليله من القرآن؟ وكيف تلقى جبريل عليه السلام القرآن عن المولى عز وجل؟ وكيف أخذه النبي ﷺ عن جبريل؟ وهل الذي نزل به جبريل اللفظ أو المعنى أو هما معاً مستدلاً على ما تذكر؟

س3- ما المقصود من تنجيم نزول القرآن؟ وما دليله من الآيات القرآنية؟ وكم المدة التي تم فيها نزول جميع آيات القرآن؟ وما الحكمة من تنجيم نزول القرآن على الرسول ﷺ مبيناً كيفية تثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام بالتنجيم في صورتيها؟ والحكمة الثانية وهي تربية الأمة بصورها الثلاث؟

س4- ما أهمية معرفة المكي والمدني من القرآن؟ ومتى توصف السورة من القرآن بأنها مكية أو مدنية مبيناً اصطلاحات العلماء في المراد من المكي والمدني وأي الاصطلاحات أرجح في ذلك؟

س5- يمتاز القرآن المكي عن المدني بخصائص ينفرد بها وعلامات تدل عليه، أذكر هذه الخصائص والعلامات؟

س6- ينفرد القرآن المدني بخصائص وعلامات تميزه عن المكي، أذكر هذه الخصائص ثم بين الفائدة من معرفة المكي والمدني من القرآن؟

المبحث الثالث

نزول القرآن على سبعة أحرف

تمهيد في أهمية المبحث:-

ترجع أهميته إلى أنه يرينا مظهراً رائعاً من مظاهر رحمة الله تعالى وتخفيفه عمى عباده وتيسيره لكتابه الخاتم على كافة القبائل العربية بل على جميع شعوب الأمة الإسلامية[1].

فقد كان للعرب قبل نزول القرآن لهجات متعددة تنبع من طبيعة فطرتهم تعرضت لها كتب الأدب بالبيان والمقارنة وكان لكل قبيلة منهم من اللحن بالقول في كثير من الكلمات ما ليس للآخرين، وتختلف في كيفية النطق وطرق الأداء من تفخيم وترقيق وإمالة وإدغام وإظهار إلى غير ذلك من أوجه الاختلاف، وقد نشأت هذه اللهجات نتيجة انعزال تلك القبائل بعضها عن بعض وتمسُّك كل قبيلة بتقاليدها وعاداتها، ونشوب الغارات فيما بينها، مما أدى إلى تباعدها وتفرقها، وكانت للغة قريش ولهجاتها الصدارة بين بقية فروع اللغة العربية ولهجاتها لما لها من جوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ولغتها، أي لغة قريش هي التي تواضع عليها العرب وألفوها وصارت اللغة النموذجية في الأمور الجدية ولغة الشعر والخطابة، وهي اللغة التي نشأت في مكة بلد البيت الحرام المعظم عند جميع قبائل العرب إلى جوار اللغات الأخرى الشائعة بين العرب في مختلف قبائلهم، لذا كان من الطبيعي أن ينزل القرآن بلغة قريش على الرسول القرشي ويتسع في نزوله ليشتمل على سبعة أحرف تأليفاً للعرب وتحقيقاً للإعجاز فيسمح أن يقرأ بما يتمشى مع معظم تلك اللهجات المتعددة والمتفاوتة في تأدية المعنى الواحد أو المعاني بوجه من وجوه التفاوت الموجودة في القرآن العربي الموحي به إلى الرسول العربي محمد ﷺ ويكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعاً بحروفه وأوجه قراءاته للخالص من تلك

[1] - مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص137.

اللهجات، وذلك مما ييسر على العرب جميعاً القراءة والحفظ والفهم للقرآن الكريم[1]، وهذا كله يتحقق بتروله مشتملاً على الأحرف السبعة المنوه بها، وسأتناول في هذا المبحث النقاط التالية:-

1- معنى الحرف لغة وبيان إطلاقاته والمراد منه في علوم القرآن.

2- أهم أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف.

3- بيان المراد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وخلاف العلماء فيه، وبيان المرجح من الأقوال وأرجحها ودليل ترجيحه.

4- هل المراد من السبعة في الحديث حقيقة العدد أو المراد التَوْسِعَة على الأمة والعدد لا مفهوم له؟

5- بيان الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف.

6- هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن باقية إلى الآن أو لا؟

وفيما يلي تفصيل لهذه النقاط:-

أولاً:- معنى الحرف لغة وإطلاقاته المختلفة

يطلق الحرف في اللغة العربية، ويراد منه عدة معان منها:-

أ – أحد حروف الهجاء التي أولها الألف وآخرها الياء، قال في اللسان الحرف في الأصل الطرف والجانب، وبه سمى الحرف من حروف الهجاء[2].

---

[1] – من مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص156 بتصرف.

[2] – لسان العرب لأبن منظور، جـ10، ص386.

ب- الكلمة عند النحويين قسيمة الاسم والفعل، وهذا المعنى هو الذي عناه صاحب اللسان بالأداة، فقال: والحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كعن وعلى[1].

ج- طرف الشيء وحافته، قال: صاحب القاموس الحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحدّه ومن الجبل أعلاه[2].

د – يطلق الحرف ويراد منه المعنى والجهة أو القراءة، والوجه أما الأول فقد نقله الزركشي في البرهان عن أبي جعفر محمد بن سعدون النحوي[3] فقال: والحرف أيضاً المعنى والجهة، وأما الثاني فقد حكاه عن الخليل بن أحمد قائلاً: والحرف ها هنا القراءة[4] وفي اللسان: وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً تقول هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود[5] ابن سيده: والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه.

ومن هذا البيان يمكن أن أقول: إن الحرف مشترك لفظي[6] لا يتعين معناه المراد هنا إلا بقرينة تعينه، ومن المستبعد إرادة أحد حروف الهجاء أو الكلمة لتعددها كثيراً في القرآن، وكذلك لا يسوغ أن يكون بمعنى طرف الشيء وحافته لبعده عن المعنى المقصود في الأحاديث المروية، وإذا انتفت هذه الاحتمالات الثلاثة يتعين أن يكون المراد هو المعنى

---

1 – نفس المصدر السابق، ص385.

2 – القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، جـ3، ص130، والبصائر، جـ1، ص453.

3 – هو أحد القراء وكان يقرأ بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة نسبت إليه، توفي سنة 231هـ، البرهان للزركشي، جـ1، ص213 هامش (2).

4 – البرهان للزركشي، جـ1، ص214.

5 – جـ 10، ص385.

6 – انظر روح المعاني للألوسي، جـ1، ص20، وهامش (2) فيها.

الرابع والأخير، وهو الوجه أو القراءة وهو أنسبها وأقربها إلى المعنى الاصطلاحي الآتي بيانه في الفقرة الثالثة من التفصيل والإيضاح.

ثانياً:- أهم أدلة نـــزول القرآن على سبعة أحرف

لا سبيل إلى إثبات هذه القضية والاستدلال عليها إلا بما يصح نقله عن رسول الله ﷺ ، وقد وردت أحاديث كثيرة رواها الثقاة عن واحد وعشرين من الصحابة[1]، حتى قال بعض العلماء[2] بأن حديث نـــزول القرآن على سبعة أحرف متواتر، وفيما يلي ذكر لأهم الأحاديث الصحيحة في هذه المسألة:-

1- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[3].

2- إن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فانتظرت حتى سلم ثم لببته بردائه أو بردائي فقلت من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت له كذبت، فوالله أن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها فانطلقت أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على

---

1 - وهم عمر وعثمان وابن عباس وابن مسعود وأنس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص وأبو هريرة وهشام بن حكيم ومعاذ بن جبل وأبو بكر وأبو جهم وأبو سعيد الخدري وأبو طلحة الأنصاري وأم أيوب وحذيفة وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وسلمان بن صرد وعمر بن أبي سلمة رضي الله عنهم أجميعن، روح المعاني، ج1، ص20، هامش (1).

2 - وهو أبو عبيدة القاسم بن سلام وهو تواتر معنوي كما بينه السيوطي في تدريب الراوي، ص374، ط1، بالمكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

3 - رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر. اقرأ يا هشام، فقرأ هشام هذه القراءة التي سمعته يقرأها، قال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنـــزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه[1].

3- عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان عند أضاة[2] بني غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على حرفين، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته، وأن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[3].

4- عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقرآ فحسن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب [4]، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأي رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً وكأنما انظر إلى الله عز وجل فرقاً، فقال لي: يا أبي أرسل

---

1 – رواه مسلم والبخاري، واللفظ له، جـــ6، ص239.

2 – الأضاة كحصاة بفتح الهمزة الغدير الصغير أو مسيل الماء إليه موضع قريب من مكة فوق سرف، وغفار قبيلة من كنانه القرطبي، ج1، ص41 أهـــ.

3 – رواه مسلم بسنده في صحيحه.

4 – أي أن الشيطان ألقى إليه من وساوس ما شوش عليه حاله حين رأي النبي ﷺ حسّن القراءتين وصوبهما على ما بينهما من اختلاف وهما في سورة واحدة، هـــ المناهل، جـــ1، ص 141.

إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلى الثانية أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلى الثالثة أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ [1].

5- عن أبي كعب قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المروة قال: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام، فقال: فمرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف[2].

هذه الأحاديث الخمسة تعتبر من أصح ما روى في أدلة نـــزول القرآن على سبعة أحرف ذكرها الزرقاني في المناهل وزاد عليها ستة أخرى[3]، وأورد الإمام أبو جعفر الطبري أحاديث أخرى في تفسيره جامع البيان[4] كلها صريحة في هذا المعنى بقي علينا أن نعرف المعنى المراد من الأحرف السبعة التي نـــزل بها القرآن وهو ما تكفلت ببيانه الفقرة التالية:-

ثالثاً:- بيان المراد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وخلاف العلماء فيه

هذه أطول الفقرات في هذا الموضوع وأدقها وأصعبها لكثرة ما حدث فيها من خلاف وأقوال للعلماء حتى وصلت في بيان المراد من الأحرف إلى ما يقرب من 40

1 - رواه الإمام مسلم في صحيحه.
2 - رواه الإمام الترمذي وقال حسن صحيح.
3 - مناهل العرفان، جـ1، ص139 وما بعدها.
4 - جامع البيان للطبري، جـ1، ص18-19.

أربعين قولاً[1]، ولهذا فإنني سأقتصر على ذكر أهم الآراء المرجحة عند بعض العلماء وقبل بيانها أحب أن أقدم أصولاً خمسة تعين على فهم المراد، وهي مأخوذة من مجموع الأحاديث المروية، وينبغي أخذها بعين الاعتبار عند تقدير كل قول من الأقوال الآتية والحكم عليه بالقبول وترجيحه، وهذه الأصول، هي:-

1- أن الإلزام بقراءة القرآن على حرف واحد في أول الأمر فيه حرج ومشقة على الأمة لاختلاف لهجاتها ولغاتها كما سلف، ولضعف مرونة ألسنتها لكونها أمة أمية وفيها العجوز الذي لا يقدر على النطق بما لا يعهد وفيها الجارية والغلام.

2- أن المقصود من الزيادة إلى سبعة أحرف هو تيسير القراءة وتسهيل النطق والفهم.

3- أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف من هذه الأحرف السبعة غير ملزمة بحرف خاص منها.

4- أن الصحابة كانوا يقرأون قراءات مختلفة حتى استنكر بعضهم قراءة البعض الآخر واحتكموا إلى رسول الله ﷺ.

5- أن النبي ﷺ صوّب قراءة كل منهم وأقرهم على قراءاتهم، وأنه هو الذي أقرأهم إياها، وأن كل قراءة منـــزلة من عند الله تعالى[2].

وبعد بيان هذه الأصول اذكر الآراء المرجحة في المراد بالأحرف السبعة في الحديث، فأقول:-

---

[1] - ذكرها السيوطي في الإتقان، جـــ1، ص45.

[2] - انظر: اللآلىء الحسان في علوم القرآن للشيخ موسى شاهين، ص126.

الرأي الأول:-

مروي عن شيخ المفسرين الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره، وهو: أن المراد بالأحرف لغات سبع في كلمة واحدة ومعنى واحد أو معان متفقة أو متقاربة عبر عنها[1] بألفاظ مختلفة كقولك في التعبير عن طلب الإقبال هلمّ وأقبل وتعال، و إليّ وقصدي ونحوي وقربي واختلف القائلون بهذا الرأي في تحديد اللغات السبع التي نزل بها القرآن، فقيل هي لغات قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن، وقيل: نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر.

وأختار هذا الرأي الطحاوي[2]، وابن عبد البر وابن العربي، وبعض أهل الفقه والحديث منهم سفيان بن عيينة وابن وهب، ورجحه الشيخ مناع القطان[3]، وقال الشيخ موسى شاهين بعد ذكر هذا الرأي: ويستدل له بقراءة أبي بن كعب إذْ كان يقرأ[4] ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾[5] مرُّوا فيه – سعوا فيه. وبما جاء في قراءة ابن مسعود ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[6]، أمهلونا – أخرونا – ارقبونا ﴿بدلاً من انظرونا﴾ ثم قال: ويلزم أصحاب هذا الرأي أن يقولوا عن

---

1 – بمعنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد أو المعاني المتقاربة أو المتفقة، وحيث لا يكون هناك اختلاف يأتي بلفظ واحد، أ. هـ. مناع القطان، ص158 في مباحثه.

2 – هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، فقيه حنفي انتهت إليه رئاسة الفقه الحنفي بمصر في زمنه، توفي سنة 321 أ.هـ، شذرات الذهب، جـ2، ص288.

3 – انظر مباحث في علوم القرآن له، ص162.

4 – والمقصود قبل العرضة الأخيرة كما يأتي.

5 – البقرة، آية 20.

6 – الآية 13، من سورة الحديد.

هذه الأوجه: إنما كانت جائزة في أول الأمر ثم نسخت إلا وجها وهو الثابت في العرضة الأخيرة، وهي التي كتب عليها عثمان مصاحفه[1].

وقال الطحاوي معلقاً على هذا الرأي: وإنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة واتقان الحفظ ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ[2]، وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بعد ذكره لهذا الرأي والقائلين به ومصرحاً بنسخ الأحاديث ونسخها ما نصه، قالوا: وكان ذلك رخصة في صدر الإسلام أباح الله للعرب أن يقرأوا القرآن بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها، ثم نسخ ذلك بحمل الناس على لغة قريش، لأنها التي بها نزل القرآن وزوال العذر لكثرة الحفظ وتيسير الكتابة، وقال ابن العربي: دامت الرخصة مدة حياة النبي عليه السلام، وظاهر كلامه أن ذلك نسخ بعد وفاة رسول الله ﷺ.

فإما نُسخ بإجماع الصحابة أو بوصاية من النبي ﷺ.

واستدلوا على ذلك:-

أ. **بقول عمر: القرآن نزل بلغة قريش**

ب. **بنهيه عبد الله بن مسعود أن يقرأ: فتول عنهم عتّي حين، وهي لغة هذيل في حتى.**

ج. **وبقول عثمان لكتاب المصاحف: فإذا اختلفتم في حرف فاكتبوه بلغة قريش فإنما نزل بلسانهم[3].**

---

[1] - اللآلئ الحسان، ص130.
[2] - الإتقان للسيوطي، جـ1، ص134-135.
[3] - التحرير والتنوير، جـ1، ص50، والإتقان، جـ1، ص169.

الرأي الثاني:-

قال به أبو عبيدة القاسم بن سلام، وهو أن المراد بالأحرف سبعة لغات من لغات العرب متفرقة في القرآن كله نزل بها في جملته بحيث لا يخرج عن سبع لغات من لغات أفصح العرب بمعنى أن بعض معاني القرآن عُبر عنه بلفظ من لغة قريش وبعضها عُبر عنه بلغة اليمن، وبعضها بلغة هذيل، وهكذا حسب الأفصح والأوجز في اللفظ، وهذا لا يمنع من كون القرآن نزل بلغة قريش[1]، لأن أغلبه وأكثره نزل بلغة قريش والألفاظ الممثلة للغات أهم القبائل العربية الأخرى قليلة جداً[2].

وهذا الرأي مختلف عن الذي قبله لأنه يعني أن الأحرف السبعة إنما هي أحرف أي لغات سبعة متفرقة في سور القرآن لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتفاق المعاني، كما في الأول قال أبو عبيدة: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه[3].

وهذا الرأي، أعني الثاني اختاره الأزهري في التهذيب وابن عطية في تفسيره، وصححه البيهقي في الشعب[4].

الرأي الثالث:-أن المراد من الأحرف السبعة الأوجه التي يقع أو وقع بها الاختلاف والتغاير بين أفصح لغات العرب، وهو منسوب إلى عدد من العلماء

---

1 - لما روى عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه من قوله للقرشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فلأنه إنما أنزل بلسانهم، الإتقان، جـ1، ص169.

2 - اللآلئ الحسان، ص128.

3 - الإتقان للسيوطي، جـ1، ص135.

4 - المصدر السابق، ونفس الصفحة.

5- هو الإمام ابن شاذان الرازي المتوفي في حدود سنة 290 هـ، (النشر 1 / 179)، صبحي الصالح، ص115.

منهم:أبوالفضل الرازي[1]، وابن قتيبة[2]، وابن الجزري، والقاضي أبو بكر بن الطيب[3]. على اختلاف بينهم في التعبير عنه[4]، وتلك الأوجه التي ذكروها وهي على سبيل الإجمال كما يلي:-

1- اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.

2- اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ إلى مضارع إلى أمر.

3- اختلاف وجوه الإعراب من رفع إلى نصب إلى خفض إلى جزم.

4- الاختلاف بالنقص أو الزيادة.

5- الاختلاف بالتقديم والتأخير.

6- الاختلاف بالإبدال.

7- اختلاف اللغات أي اللهجات بالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام، ونحو ذلك، وقد ذكر القائلون بهذا الرأي أمثلة من القرآن الكريم لكل وجه منها، وهي كما يلي:-

المثال الأول:-

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[5]، قرئ لأمانتهم بالإفراد.

1- هو الإمام ابن شاذان الرازي المتوفي في حدود سنة 290 هـ، (النشر 1 / 179)، صبحي الصالح، ص115.

2- هو عبد الله بن مسلم الدينوري من المصنفين المكثرين، توفي سنة 276، هـ الإعلام، جـ4، ص137.

3 - هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني من كبار علماء الكلام ومؤلف إعجاز القرآن، توفي سنة 403هـ، الإعلام جـ6، ص176.

4 - انظر مناهل العرفان، جـ1، ص158.

5 - سورة المؤمنون، الآية 8، وقد رسمت في المصحف بالإفراد بدون ألف بعد الميم والنون.

المثال الثاني:-

قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[1]، بصيغة الدعاء في الفعل باعد وقرئ بصيغة الماضي المضاعف بعّد.

المثال الثالث:-

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ ﴾[2]، بفتح الراء، وقرئ بضمها: ولا يضارُّ.

المثال الرابع:-

قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ ﴾[3]، قرئ بزيادة من قبل الظرف أي تجري من تحتها الأنهار.

المثال الخامس:-

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[4]، قرئ بتقديم الفعل المبني للمجهول أي فَيُقتَلونَ ويَقتُلون.

المثال السادس:-

قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾[5]، قرئ: كالصوف المنفوش.

---

1 - سورة سبأ، الآية 19، وقراءتها بالماضي المضاعف وبصيغة الخبر ليعقوب.

2 - سورة البقرة، أية 282.

3 - سورة التوبة، الآية 100، والقراءتان في هذه الآية متواترتان.

4 - سورة التوبة، الآية111، فالقراءة الأولى تفيد أن المؤمنين يسرعون إلى قتل الأعداء، والثانية تفيد أنهم يتلهفون إلى ساحة المعركة لعل الله يمنحهم الشهادة.

5 - سورة القارعة، الآية5، وفي القراءتين تقارب في المخارج بين الكلمتين يسمح بالتناوب بينهما.

المثال السابع:-

قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[2] قرأت الآيتان بإمالة أتى وموسى وبلى نحو الكسر، وقوله تعالى: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ بترقيق الرائين، وقوله تعالى: ﴿الصلاة والطلاق ﴾ بتفخيم اللامين فيهما في جميع القرآن.

هذه الأوجه السبعة التي ذكرها أصحاب الرأي الأخير هي المرادة في الحديث، وهي التي وسع الله بها على الأمة فبأي وجه منها قرأ القارئ أصاب، ولقد كاد النبي ﷺ يصرح بها كل التصريح في الحديث الأول الذي رواه البخاري[3]، وفيه يقول ﷺ: أقرأني جبريل على حرف فلم أزل استزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

أرجح الآراء في المراد من الأحرف:-

من هنا وبناء على ما تقدم في بداية هذه الفقرة والتي قبلها من الأحاديث والأصول الخمسة التي صدرت بها يمكنني أن أقول: إن هذا الرأي وهو الأخير هو أرجح الآراء وأصوبها وأولاها بالقبول، وقد علمنا من رجحه من العلماء الأقدمين، ورجحه أيضاً من المحدثين والمعاصرين الشيخ محمد الزرقاني في المناهل[4]، والشيخ موسى شاهين في اللآلئ[5]، والشيخ صبحي الصالح[6] في مباحثه.

---

1 – سورة طـه، الآية 9.
2 – سورة القيامة، الآية 4.
3 – جـ1، ص185.
4 – جـ1، ص153-157.
5 – ص131.
6 – ص 108.

ثم إن هذه الآراء الثلاثة التي ذكرتها[1]، وبينت أن كل واحد منها رجحه بعض العلماء، وأن أرجحها ثالثها بقي أن نعرف أنها كلها مبنية على أن العدد سبعة المذكور في الأحاديث مقصود به حقيقة العدد المحدد بين الستة والثمانية دون غيره حسب ما فهمه الأكثرون من العلماء، قال ابن حبان البستي[2]: الأكثر على أنه أي العدد محصور في سبعة[3]، والذين يستبعدون الحصر يغالون ويبالغون في هجران النصوص البالغة حد التواتر كما تقدم هذا ، وعلى الرغم من ترجيح الرأي الأخير من الآراء المبنية على أن العدد سبعة مقصود به حقيقة العدد فإن من العلماء من قال غير ذلك، وهو ما نراه في الفقرة الموالية.

رابعاً:- هل المراد من السبعة في الحديث حقيقة العدد أو المراد التوسعة على الأمة والعدد لا مفهوم له

هذا استفهام في بداية هذه الفقرة يحتوي على جانبين الجانب الأول منهما تكلفت ببيانه الفقرة السالفة كما علمنا بقي الجانب الثاني، وهو أن العدد سبعة الوارد في الأحاديث ليس المقصود منه حقيقة العدد وأنه لا مفهوم له بل هو رمز دال على الكثرة في الأوجه والكمال في العدد جرياً على عادة العرب، وما ألفوه في هذا العدد من الآحاد

---

1 - بقي رأي رابع وهو أن المراد من الأحرف سبع قراءات وهي التي تنسب إلى القراء السبعة ذكره السيوطي في الإتقان، جـ1، ص135، ينبغي التنبيه عليه لئلا يغتر به من لا علم له بالقراءات، وهو ضعيف من وجهين: أولهما عدم وجود كلمات في القرآن تقرأ بسبعة قراءات إلا نادراً كما في أفٍ وعبد الطاغوت.
وثانيهما: أن القراءات السبعة لم تعرف وتشتهر إلا في وقت متأخر على رأس المائتين من الهجرة فلا تعقل إدارتها في الحديث الشريف، انظر تفسير القرطبي، جـ1، ص46، والإتقان للسيوطي جـ1، ص132- 141.

2 - هو الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البستي، من كبار المحدثين، توفي سنة 354 هـ.

3 - البرهان للزركشي، جـ1، ص212.

كالسبعين في العشرات والسبعمائة في المئين[1]، فالمراد السبعة الأحرف الكثرة. وما تتحقق به التوسعة على الأمة في قراءة القرآن على سبعة أحرف أو أقل أو أكثر، وهذا الرأي قد قال به من الأقدمين القاضي عياض[2] من المالكية واختاره الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره، وصدر به كلامه في بيان المراد من السبعة أحرف قائلاً بعد ذكره لهذا الرأي: والأظهر ما ذكرنا من إرادة الكثرة من السبعة لا التحديد فيشمل ما ذكره ابن قتيبة وغيره من تغير بإدغام أو إظهار أو تفخيم أو إشمام أو غيره[3].

خامساً: ما الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف؟

مما تقدم من الأحاديث النبوية وما ذكر في الفقرتين السابقتين يمكنني تلخيص الحكم فيما يلي:-

أ. التيسير وتسهيل قراءة القرآن على الأمة الإسلامية عموماً[4]، وعلى العرب الذين شوفهوا بالقرآن إبان نزوله على وجه الخصوص مراعاة للاختلاف الواقع بين قبائلهم في اللهجات وطريقة النطق في أول الأمر، وفي عهد النبي ﷺ.

ب. جمع شمل الأمة الإسلامية وتوحيدها على لسان واحد وهو لسان قريش وهو لغتهم ولهجتهم التي نزل بها القرآن، وهي تتضمن معظم وأهم اللهجات العربية، وهي

1- ومثل هذا في القرآن قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾، وقوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، الآية الأولى من سورة البقرة، رقم 216، والثانية من التوبة رقم 80.

2- وهو عياض بن موسى البحصبي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته من أشهر مؤلفاته الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، الإعلام، جـ2، ص749.

3 - تفسير القاسمي محاسن التأويل، جـ1، ص287.

4 -هناك من العلماء من يقول: إن التوسعة ليست مقصورة على اللهجات العربية، وإنما هي شاملة لجميع لهجات الشعوب الإسلامية حتى غير العرب، فإذا قرأ الهندي أو التركي المسلم القرآن ببعض الخلافات الصوتية في نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته فهي غاية جهده ولا يقدر على غيرها.

المقصودة من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ذلك لمكانة قريش بين العرب لكونهم حماة البيت الحرام وعماره ورعاة الحجيج الوافدين إلى البيت من كل صوب وفي كل عام.

ج. دلالة تعدد الحروف على حكمين شرعيين في حالتين مختلفتين كما في قوله تعالى: ﴿فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾[1] قرئت هذه الآية بنصب لفظ أرجلكم وجرها، فالنصب يعني العطف على لفظ الوجوه وهو يفيد وجوب غسل الرجلين، وأما الجر فيعني العطف على لفظ رؤوسكم ويفيد طلب المسح لكونه معطوفاً على الممسوح، وجاءت السنة النبوية فبينت أن المسح يكون للابس الخف والغسل يجب على من لم يكن لابساً له.

د. دفع توهم ما ليس بمراد من الآية كما في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2]، وفي القراءة الأخرى في هذه الآية: ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ فالذي تفيده القراءة الأولى من الذهاب إلى الصلاة بسرعة وهو المعبر عنه بالسعي دفعته القراءة الثانية وبينت أن المراد مطلق التوجه إلى الصلاة وهو المعبر عنه في الحديث النبوي بالسكينة والوقار.

هـ. بيان بعض الألفاظ المبهمة الغريبة عن بعض القبائل العربية، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾[3]، فسرتها القراءة الأخرى: ﴿وتكون الجبال كالصوف المنفوش﴾[4]، ستأتي زيادة بيان وتوضيح لهذه الحكم في مبحث القراءات عند الكلام عن حكمة الاختلاف بينها إن شاء الله تعالى.

---

[1] – الآية 6 من سورة المائدة.
[2] – الآية 9 من سورة الجمعة.
[3] – الآية 5 من سورة القارعة.
[4] – مناهل العرفان، جـ1، ص148.

سادساً:- هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن باقية إلى الآن يقرأ بها أو لا؟

هذه الفقرة أيضاً استهلت باستفهام وفي الإجابة عنه ثلاثة احتمالات:-

- أولها: عدم وجود شيء من الأحرف السبعة في القرآن الآن.
- ثانيها: وجودها كلها فيه.
- ثالثها: وجود بعضها فيه.

أما الاحتمال الأول فهو باطل و لم يقل به أحد من العلماء ولا من غيرهم، لأننا نقطع وبدون شك ولا ريب أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن موجودة فيه ولو بعضها يقرأ بها المسلمون منذ نزوله وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله تعالى، بقي الاحتمالان الثاني والثالث، وقع فيهما خلاف بين العلماء على قولين أولهما: اختيار الثاني وذهب إليه جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين وهو بقاء الأحرف السبعة كلها في القرآن وأنها موجودة فيه كتبت بها المصاحف العثمانية المنقولة من الصحف التي كتبت في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأجمع عليها الصحابة، قال الإمام السيوطي:-

وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك[1]، واحتج أصحاب هذا القول بأنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف ما دام القرآن نزل بها[2]، وذهب إلى الاحتمال الثالث وهو أن الباقي من الأحرف السبعة بعضها الجماهير من السلف والخلف وأئمة المسلمين، وقالوا إن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمنة لها وأختار هذا الرأي ابن

---

[1] - الإتقان للسيوطي، جـ1، ص142.

[2] - المصدر السابق، ص141.

الجزري فقال مشيراً إليه: وهذا هو الذي يظهر صوابه[1] وصححه القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلاني فقال: والصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطها عنه الأئمة وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف وأخبروا بصحتها وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواتراً[2].

وأجاب هؤلاء عن احتجاج الأولين بأن الأمة لم تكن ملزمة بالقراءة بالسبعة الأحرف وإنما هي مخيرة[3] من جانب الرسول ﷺ في القراءة بأي واحد منها لقوله في الحديث فأي ذلك قرأتـم أصبتهم[4] وقوله في حديث آخر: فأقرأوا ما تيسر منها[5]، وكانت تلك الحروف للتوسعة التي دعت إليها حاجة المسلمين في أول أمرهم ولما زالت تلك الحاجة ووقع خلاف بين المسلمين بسبب انتشار القراءة بجميع تلك الحروف اختار الأمام عثمان بن عفان حرفاً واحداً[6]، أو البعض الذي يحتمله رسم المصحف وأهمل الباقي دفعاً للخلاف ودرءاً للفتنة.

وأجمعت الأمة على هذا الاختيار الموفق وبهذا يكون الأمام عثمان قد وُفقّ إلى أمر عظيم رفع الاختلاف وجمع الكلمة وأراح الأمة، رضي الله عنه وأرضاه.

---

1 - المصدر السابق.

2 - البرهان في علوم القرآن، جـ1، ص231.

3 - مناهل العرفان، جـ1، ص168، وفيه أن ابن جرير الطبري اختار هذا الرأي أيضاً ونكر أن المصاحف العثمانية لن تشتمل إلا على حرف واحد فقط من الحروف السبعة، جامع البيان، جـ1، ص19.

4 - رواه مسلم بهذا المعنى.

5 - رواه البخاري ومسلم.

6 - وهذا على رأي ابن جرير الطبري في تفسيره ونسبه القرطبي إلى الداودي وكثير من العلماء، انظر جامع البيان، ص20، جـ1، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، جـ1، ص46.

الأسئلة

س1- تحدث عن أهمية نزول القرآن على سبعة أحرف وإلى أي شيء ترجع تلك الأهمية مبيناً كيفية نشأة لهجات اللغة العربية في القبائل المختلفة، ثم اذكر نقاط المبحث بالإجمال؟

س2- بين معنى الحرف لغة مع ذكر إطلاقاته المتعددة عند علماء اللغة مستشهداً لما تذكر من كلامهم؟ ومبيناً أقرب تلك المعاني وأنسبها إلى المعنى الاصطلاحي؟

س3- اكتب ما يحضرك من أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف، مبيناً درجة تلك الأدلة من الصحة؟ وبحيث لا يقل ما تذكره منها عن أربعة أدلة؟

س4- اذكر عدد الأقوال التي ذكرها بعض العلماء في بيان المراد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن؟ مبيناً الثلاثة المرجحة من بينها؟ وما هي الأصول الخمسة المأخوذة من مجموع الأحاديث التي تعين على فهم المراد من الأحرف؟

س5- الرأيان الأول والثاني من الآراء المرجحة يذكران الأحرف هي اللغات، بين الفرق بينهما واذكر من قال بكل منهما، أو أختاره من العلماء؟ وما هي أهم القبائل التي نسبت إليها اللغات التي ذكرها أصحاب الرأي الأول؟

س6- ذكر أصحاب الرأي الثالث أن المراد من الأحرف الأوجه التي وقع بها التغاير والاختلاف في القراءة، اذكر تلك الأوجه السبعة مع التمثيل لها مبيناً من قال بهذا الرأي أو اختاره من العلماء؟

س7- اذكر أرجح الآراء في المراد من الأحرف السبعة، وما الدليل على أرجحيته؟ وهل المراد من السبعة في الأحاديث حقيقة العدد المعلوم أو المراد التوسعة والعدد لا مفهوم له؟ وضح الخلاف في هذه المسألة مبيناً ما يترجح به أحد الاحتمالين في هذا الاستفهام؟ مع ذكر من قال بالاحتمال الثاني أو اختاره من العلماء؟

س8- بين الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف بأوجهها الخمسة، مع التمثيل لما يمكن التمثيل له من الآيات؟ وهل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن باقية كلها في المصاحف في العصر الحاضر أو لا؟ موضحاً الاحتمالات الثلاثة في الاستفهام واذكر من قال بكل احتمال منها، أو اختاره من العلماء؟ واذكر الراجح منها ودليل ترجيحه؟

المبحث الرابع

أسباب النزول

التعريف بالموضوع، والعمدة في معرفة أسباب الترول:-

تطلق أسباب الترول ويراد منها تلك الوقائع والظروف والمناسبات التي لابست نزول شيء من القرآن الكريم، وتحدث عنها النازل أو أشار إليها، والعمدة في معرفتها هو: النقل الصحيح عن الصحابة والتابعين لا غير، ولا يجوز القول فيها بالرأي والاجتهاد، لذلك نجد أغلب الآيات لم يذكر المفسرون أسباباً خاصة لترولها، فتكون داخلة تحت السبب العام الذي نزل القرآن الكريم من أجله، وهو: الهداية إلى ما فيه سعادة الدارين، لهذا لا يستغرب المطلع على كتب التفسير عدم ذكر مؤلفيها أسباباً خاصة لجميع الآيات، هذا مع العلم بأن العلماء قد قرروا بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

أهمية العلم بأسباب الترول وفائدته:-

أصبح من المعروف أن من أهم مباحث علوم القرآن معرفة أسباب الترول لأنه يساعد على فهم الآية أو الآيات فهماً صحيحاً مطابقاً للمراد منها، إذا العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[2]، قال الإمام الشاطبي: (معرفة أسباب الترول لازمة لمن أراد علم القرآن).

ولأهمية هذا المبحث، اختصه بعض المفسرين بعناية فائقة حتى أفردوه بالتأليف، مثل شيخ الإمام البخاري (علي بن المديني) والواحدي والسيوطي، وغيرهم.

1- مثل آية الظهار وآية اللعان، فإن الأولى نزلت في شأن أوس بن الصامت، والثانية نزلت في حادثة هلال بن أمية، مع أن العلماء أجمعوا على تعدية حكمهما إلى غير هذين الرجلين وعمومه.

2- تتوقف المطابقة وعدمها على مدى صحة نقل السبب المساعد على الفهم، الإتقان، جـ1، ص83.

قال الزركشي في البرهان: (لقد أخطا من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك..)[1] ثم ذكر له فوائد كثيرة، نلخص منها ما يلي:-

1- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

2- الوقوف على المعنى وفهمه فهماً صحيحاً، قال الإمام أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز.

3- تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

4- دفع توهم الحصر، ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا.. ﴾[2]، فإن الكفار حرّموا ما أحلّ الله، وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحادة جاءت هذه الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أُهِلَّ لغير الله به، و لم يقصد حل ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل.

5- إزالة الإشكال، ففي الصحيح عن مروان بن الحكم أنه بعث إلى ابن عباس يسأله لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ثم تلا: ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾[3]، إلى قوله: ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾[4].

1- البرهان للزركشي، جـ1، ص22.

2 - جـ1، ص22، أية145، من سورة الأنعام، وتمامها: ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

3 - آية 187 من سورة آل عمران.

4 - آية 188 من سورة آل عمران.

وذلك لأن أهل الكتاب من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه[1]، وفرحوا بما أوتوا من كتمانه، ومن أمثلة هذه الفائدة تفسير النبي ﷺ الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ..﴾[2] الآية، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ومثله ما في موطإ الإمام مالك رحمه الله تعالى: عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة أم المؤمنين وأنا يومئذ حديث السن أرأيت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ فما على الرجل شيء أن لا يطوف بهما، قالت عائشة: (كلا ولو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما إنما نزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلّون لمناة، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ إِنَّ الصَّفَا.. ﴾[3].

تعدد الأسباب لمنــــزل واحد:-

قبل الكلام على هذه الفقرة، ينبغي أن يعلم طالب التفسير عبارات المفسرين في بيان سبب نزول الآيات لأن تعبيراتهم عنه مختلفة، فمنها ما يكون صريحاً ودالاً دلالة واضحة على بيان سبب النـــزول، ومنها ما يحتمل أن يكون بياناً للسببية، ويحتمل أن يكون بياناً لمعنى الآية وما ترشد إليه من أحكام.

1 – قال السيوطي أخرجه الشيخان، الإتقان، جـ1، ص29.

2 – هذه الآية لما نزلت شق ذلك على صحابة النبي ﷺ، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فأجابهم الرسول بما ذكر، انظر تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ص209.

3 – صحيح البخاري كتاب التفسير، جـ6، ص28، والموطأ، ص311.

مثال الأول:- (وهو التعبير الصريح في بيان السبب) أن يقول المفسر: سبب نزول الآية أو الآيات كذا وكذا، أو يقول: سئل رسول الله ﷺ عن شيء فأنزل الله آية كذا، أو يذكر المفسر قصة أو حادثة، ثم يردفها بقوله فأنزل الله أو فنزل كذا بلفظ الفاء الدالة على الترتيب في الحالتين.

ومثال الثاني:- (وهو التعبير المحتمل لبيان السبب ولغيره) أن يقول أحد المفسرين: الآية أو الآيات نزلت في كذا، فإن هذه العبارة ونحوها محتملة لأن تكون لبيان السبب ومحتملة لأن تكون لبيان المعنى المراد من الآية، وبعد هذا البيان فإذا وجدنا روايتين في بيان سبب نزول الآية وكل منهما صريحة في السببية وذكرت سبباً غير الذي ذكرته الأخرى نظرنا فيهما، ولهذا النظر أربعة صور ولكل صورة حكم خاص، وفيما يلي بيانها مع أحكامها وأمثلتها.

1- الصورة الأولى

أن تكون إحدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة، فالحكم الأخذ بالصحيحة وترك الأخرى، مثالها ما روي في سبب نزول سورة: الضحى، ففي الصحيحين -البخاري ومسلم- عن جندب رضي الله تعالى عنه، قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، وفي الطبراني وابن أبي شيبة عن حفص بن ميسرة عن أمه عن أمها – وكانت خادم رسول الله ﷺ – أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا يترل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني؟ فقلت في نفسي لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ

ترعد لحيته – وكان إذا نزل عليه أخذته الرعدة فأنزل الله: ﴿ وَالضُّحَى... ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَرْضَى.. ﴾ ويؤيد ما ذكرت من الأخذ بالرواية الأولى المروية في الصحيح وترك الثانية المروية في غيره ما ذكره العلامة ابن حجر في شرح البخاري، فقال: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبباً لنزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يعرف أ.هـ.

2- الصورة الثانية

أن تكون كل من الروايتين في سبب النزول صحيحة ولكن لأحدهما مرجح يرجحها عن الأخرى مع عدم إمكان الجمع بينهما، فالحكم حينئذ للراجحة دون المرجوحة.

والمرجح المعتبر هو أن تكون إحدى الروايتين أصح من الأخرى، أو يكون أحد الراويين مشاهداً للقصة دون الآخر.

المثال: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

فقد أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.

وفي الرواية الأخرى، أخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقالوا: اسألوه عن

الروح، فسألوه، فأنزل الله ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ.. ﴾ الآية[1]، فهذه الرواية تقتضي أن الآية نزلت بمكة، والأولى تدل على أنها نزلت بالمدينة، فاختلفا، ومن المعلوم أن رواية البخاري أصح فتقدم على غيرها، كذلك الرواية الأولى تصرح بأن راويها وهو عبد الله ابن مسعود قد شاهد القصة فترجحت الأولى عن الثانية بمرجحين، فتكون هي المعتبرة في سبب نزول الآية المذكورة دون غيرها.

3- الصورة الثالثة

أن تصح الروايتان ولا مرجح لإحداهما على الأخرى ويمكن الجمع بينهما بأن يتقارب زمن الحادثين مثلاً، فالحكم لهما معاً حينئذ.

مثالها: سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... ﴾ الآية[2]، فقد أخرج البخاري عن طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سحماء[3]، فقال النبي ﷺ: البيِّنة، أو حدٌّ في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البيِّنة، فأنزل عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ.. ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾وأخرج الشيخان -البخاري ومسلم- عن سهل بن سعد، قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: اسأل الرسول ﷺ، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فيقتل به أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ فعاب السائل، فأخبر عاصم عويمراً فقال: والله لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه، فأتاه، فقال: ((إنه قد أنزل فيك وفي صاحبتك قرآن))، الحديث أ.هـ. لفظ

---

[1] - الإتقان في علوم القرآن، جـ1، ص32-34، والآية 85 من سورة الإسراء.
[2] - الآية 6 من سورة النور.
[3] - أي رماها بالزنا معه.

البخاري[1]، وفي رواية لمسلم: فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فلاعنها[2].

فهاتان الروايتان مستويتان في الصحة ولا مرجح لإحداهما، ويمكن الجمع بينهما لقرب زمان السؤالين، فيكون السؤال أولاً من هلال وثانياً من عاصم، فجاءت الآية جواباً لهما معاً، وإلى الجمع جنح النووي وسبقه إليه الخطيب، فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد. هـ[3].

4- الصورة الرابعة

أن تستوي الروايتان في الصحة، ولا مرجح لإحداهما مع عدم إمكان الجمع بينهما لبعد زمان الحادثين أو القصتين، فالحكم هو الحمل على تكرار نزول الآية أو الآيات بعدد الروايات المذكورة بالصفات السابقة، مثالها ما روي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ.. ﴾ الآيات الثلاث من آخر سورة النحل، فقد أخرج البيهقي والبزار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ وقف على عمه حمزة حين استشهد وقد مُثِّلَ به، فقال: لأُمثِّلَنَّ بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل، ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ..﴾ إلى آخر السورة.

1 - الإتقان، جـ1، ص33.

2 - قاله الشيخ محمد عبد العظيم في المناهل، جـ1، ص112.

3 - وبعض العلماء رجح الأولى على الثانية، وذلك بتأويل الثانية وإن قوله ﷺ في الثانية قد أنزل فيك وفي صاحبتك قرآن، معناه: ما نزل سابقاً في قصة هلال لأن ذلك حكم عام لجميع الناس لا أنه سبب مباشر لنزولها، أ. هـ. من المناهل، جـ1، ص112.

وفي الرواية الأخرى، أخرج الترمذي والحاكم عن أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة، منهم حمزة فمثّلوا بهم، فقالت الأنصار لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ .. ﴾ الآية، فظاهر الروايتين مختلف، فالأولى تدل على أن لآية نزلت عام أحد السنة الثانية من الهجرة، والرواية الثانية تدل على أنها نزلت عام الفتح في السنة التاسعة من الهجرة، فلا يصح الأخذ بكل منهما على أساس الجمع بينهما كالصورة السالفة، ولا يمكن ترجيح إحداهما بدون مرجح، ولا ردهما لورودهما في الصحيح، فتعين إذاً حملهما على تكرر نزول الآية مرتين في المدينة، على اعتبار أن الآيات مستثناة من السورة المكية أو ثلاث مرات، على اعتبار القول بأن السورة كلها مكية، أي نزلت مرتين بالمدينة، ومرة بمكة[1].

تعدد المنـــزل لسبب واحد:-

هذا الموضوع على عكس سالفه، لأنه يتعلق بالآيتين أو الآيات التي تنزل عقب سبب واحد، ولعل الحكمة من وقوعه المبالغة في الإقناع وتأكيد الحكم، وقد ذكر العلماء له صورتين:-

الأولى:- نزول آيتين عقب سبب واحد.

---

[1] - هذه الصور الأربع فيما إذا استوت الروايتان في التعبير عن السببية وكانت كل منهما صريحة في الدلالة عليها، كما علم، وأما إذا كانت إحدى الروايتين صريحة والأخرى محتملة، فالحكم للصريحة مثل ما أخرجه مسلم عن جابر قال: كانت اليهود تقول من أتى امرأة من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾. وأخرج البخاري عن ابن عمر، قال: أنزلت ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ في إتيان النساء من أدبارهن، فالعمدة على حديث جابر ويحمل حديث ابن عمر على الاستنباط والتفسير، وأما إذا كانتا محتملتين معاً فتحمل كل منهما على بيان المعنى والشرح والتفسير ولا يعتمد على أي منهما في بيان سبب النزول.

مثالها: ما أخرجه ابن جرير الطبري وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة فقال: سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان فإذ جاء فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق العينين فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ..﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[1].وأخرج الحاكم وأحمد هذا الحديث بهذا اللفظ وقالا: فأنزل الله: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ ..أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2].

الثانية:- أن تنزل ثلاث آيات أو أكثر لسبب واحد، مثال الثلاثة ما أخرجه الحاكم والترمذي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ..﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[3].

وأخرج الحاكم عنها أيضاً أنها قالت: قلت يا رسول الله: تذكر الرجال ولا تذكر النساء، فأنزلت: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ..﴾، وأنزلت: ﴿ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ﴾ وأخرج الحاكم أيضاً عنها أنها قالت: تغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى

---

[1] – آية 74 من سورة التوبة.

[2] – الأيتان 18-19 من سورة المجادلة.

[3] – آية 195 من سورة آل عمران.

بَعْضٍ ﴾[1]، وأنزل:﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.. ﴾[2]. والمقصود أن سؤال أم سلمة كان سبباً في نزول ثلاث آيات.

---

[1] – آية 32 من سورة النساء.
[2] – من مناهل العرفان، جـ1، ص115–116، والآية 35 من سورة الأحزاب.

الأسئلة

س1- ما المراد من أسباب النزول مبيناً العمدة في معرفتها؟ ولماذا لم يذكر المفسرون أسباباً خاصة لجميع الآيات القرآنية؟ ثم اذكر السبب العام أو الأسباب العامة التي أنزل من أجلها القرآن؟

س2- بين أهمية العلم بأسباب النزول مستدلاً على ذلك بما يحضرك من أقوال العلماء في بيانها؟ ثم اذكر الفوائد المترتبة على معرفة أسباب النزول مع التوضيح بالأمثلة؟

س3- اختلفت تعبيرات المفسرين في بيان أسباب النزول ميز بين عباراتهم التي تكون صريحة وخاصة ببيان السببية وبين ما تكون محتملة لها أو لبيان معنى الآية أو الآيات؟ مع التمثيل لكل منهما؟

س4- إذا تعددت الروايات وذكرت أسباباً متعددة لنازل واحد فكيف يكون العمل بمقتضاها والحالة هذه مع التمثيل للتوضيح؟

س5- هل يتعدد المنــزل لسبب واحد مع التمثيل بآيتين نزلتا لسبب واحد أو أكثر نــزلن أيضاً لسبب واحد؟

المبحث الخامس

جمع القرآن وتدوينه

جمع القرآن وتدوينه[1]:-

للإحاطة بموضوع جمع القرآن يحسن أن أتكلم عليه في عصوره الثلاثة، وهي عصر النبي ﷺ، وعصر الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وعصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، كل عصر على حدة، وفيما يلي التفصيل:-

أولاً:- في عصر النبي ﷺ

من المعلوم أن النبي ﷺ بعث وهو أمّي (لا يعرف القراءة والكتابة) في قوم أميين، قال الله تعالى في محكم الآيات: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[2].

وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

ولم يشذ عن وصف الأمية في العرب إلا أفراد قلائل من قريش كانون يعرفون القراءة والكتابة.

فمن أجل هذا، كان من الطبيعي أن يعتمد النبي ﷺ والمسلمون الأولون في أول أمرهم على حفظ القرآن في الصدور، جرياً على عادة العرب آنذاك من التعويل على الذاكرة والحفظ في الصدور دون الكتابة والسطور.

---

[1] - يقصد بالجمع هنا ما يشمل الجمع بمعنى الكتابة - أي ضم الحروف بعضها إلى بعض- وبمعنى جمعه في الصدور أي حفظه واستظهاره ليعم الجمع في العصور الثلاثة المذكورة بكيفياته المختلفة، ويكون عطف التدوين عليه من باب عطف التفسير على الأول، ومن باب عطف المغاير على الثاني وهو الأولى.

[2] - آية 48 من سورة العنكبوت.

[3] - آية 2 من سورة الجمعة.

فكان النبي ﷺ يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام ويتعجل حفظه واستظهاره ويحرك به لسانه قبل ذلك مخافة أن يفلت منه شيء من القرآن حتى قال الله تعالى له: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[1].

هذا ولشدة محافظته ﷺ على القرآن وليزداد الناس ثقة به، حرص على كتابة وتسجيل كل ما يترل عليه من القرآن، وكان من عاداته بمجرد ما ينتهي نزول الآية أن يسارع إلى بعض من يحسن الكتابة من أصحابه الكرام، فيأمرهم بكتابتها بين يديه الشريفتين على ما تيسر لديهم من الأشياء التي يمكن الكتابة عليها من العسب[2] أو اللخاف[3] أو الرقاع[4] أو نحوها[5]، ثم يوضع المكتوب في بيت النبي ﷺ ويحتفظ من يكتب بنسخ يخصون بها أنفسهم، وكان للوحي كتّاب معروفون وصل عددهم إلى ستة وعشرين في رواية، أو اثنين وأربعين في رواية أخرى، وكان من بينهم وأشهرهم الخلفاء الأربعة – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي– وعامر ابن فهيرة وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والزبير بن العوام وعبد الله بن أبي سرح.

ومما تقدم، نرى أن حافظة الأميين وما كتب وحفظ في بيته ﷺ وما اختص به الكاتبون أنفسهم كلها عوامل حفظ وصيانة تتعاون وتتضافر على المحافظة على ما أُنزل من كتاب الله تعالى، وما أن توفي النبي ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى إلا وكان هناك عدد كبير

---

1 – الآيات 16–19 من سورة القيامة.

2 – العسب بضم العين والسين جمع عسيب وهو جريد النخل يكشف عنه الخوص ويكتب على طرفه العريض، انظر البرهان للزركشي، جـ1، ص232.

3 – بكسر اللام جمع لخفة بفتحها وهي الحجارة الرقاق العراض.

4 – الرقاع جمع رقعة وهي القطعة من الجلد أو القماش.

5 – وكان النبي ﷺ أثناء الكتابة يدلهم على موضع الآيات من سورها، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: ضعوا هذه الآيات في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا)).

من الصحابة يعدّون بالعشرات، يحفظون القرآن كله عن ظهر قلب، بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار وفيهم عدد من النساء، منهم على سبيل المثال لا الحصر الإمام علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، الذي شهد العرضة الأخيرة للقرآن من النبي ﷺ وعبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل، وهؤلاء الأربعة هم الذين أمر الرسول ﷺ بأخذ القرآن عنهم، ومن النساء أمهات المؤمنين عائشة وأم سلمة وحفصة بنت عمر[1].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بصفة عامة، يتسابقون في حفظ القرآن ومدارسته وفهم معانيه وتطبيقه، حتى رأيناهم يقدرون قيم الرجال بقدر ما يحفظون من القرآن، ورُوي عن الصحابي الجليل أنس بن مالك، قال: ((كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد في أعيننا))[2].

من جميع ما تقدم، يتبين لنا أن القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ تم له كمال التواتر والضبط بالحفظ في الصدور وبالكتابة على الخرق ونحوها، غير أن هذه الأشياء التي كتب عليها في ذلك الوقت كانت تشمل منسوخ التلاوة وغير المتواتر من القرآن، ولم تكن مرتبة السور والآيات، اللهم إلا بالنظر لكل قطعة كتبت عليها آيات متعددة فإنها مرتبة في حد ذاتها، ولم يكن الترتيب المعهود والمثبت في المصاحف معروفاً إلا بالحفظ والنقل عن النبي ﷺ في العرضة الأخيرة، ومن قراءته في الصلوات وقيام الليل، ومن عظاته وإرشاداته المختلفة في المناسبات المتعددة، والترتيب بين الآيات في سورها محل إجماع بين المسلمين كما سيأتي الكلام عليه مفصلاً في المبحث السادس، قال الإمام الزركشي: ((في البرهان ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره، من غير خلاف بين المسلمين)).

[1] – ذكر السيوطي في الإتقان أن عددهم وصل إلى الثلاثين كلهم يحفظون القرآن كله عن ظهر قلب من المهاجرين والأنصار.

[2] – أي جل وعظم قدره، رواه الإمام أحمد في مسنده.

ومن النصوص المؤيدة لهذا الإجماع ما رواه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص، قال: ((كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص يـــبصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة)) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى..﴾ الآية[1].

ثانياً:- جمع القرآن بكتابة الصحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[2]

الدواعي والأسباب لهذا الجمع:-

حدثت في عهد الصديق حروب الردة المشهورة، ومن بينها موقعة اليمامة[3] التي استشهد فيها سبعون من قراء القرآن وحفظته المشهورين، ومن بينهم وأجلهم سالم مولى أبي حذيفة.

وكان قبل ذلك، وفي حياة النبي ﷺ قد استشهد آخرون في حادثة بئر معونة وحدث أن سأل عمر بن الخطاب عن آية، فقيل: له إنها كانت مع فلان، وقد قتل يوم اليمامة فأشفق عمر وخاف من أن يستمر القتل في صفوف القراء في المواقع المقبلة فيضيع جزء من القرآن بموت حفظته، فأشار على الخليفة أبي بكر أن يجمع القرآن في صحف، ولكن الخليفة عارض الفكرة أول الأمر واستعظمها، وبعد مفاوضة وأخذ وردّ بين الشيخين اقتنع الخليفة ورأى أن في جمع القرآن وحفظه في صحف مصلحة الإسلام

---

1 - مناهل العرفان، ص340، جـ1، والآية رقم 90 من سورة النحل.

2 - الصحف، جمع صحيفة، وهي القطعة من الورق أو الجلد يكتب عليها، أما المصحف: ما تجمع فيه الصحف، ولوحظ في معناه دفتاه، وهما جانباه أي الجلدان اللذان يتخذان جامعاً لأوراقه وحافظاً لصحفه.

3 - وقعت بين مسيلمة الكذاب وأتباعه من بنى حنيفة وبين المسلمين في السنة الثانية عشرة من الهجرة.

والمسلمين، وبعد أن شرح الله صدره للفكرة اتفقا معاً هو وصاحبه على تنفيذها وانتدبا زيد بن ثابت لذلك، نظراً لما نحلى به رضي الله عنه من صفات تؤهله لهذه المهمة، قال عمر مخاطباً أبا بكر: أما إذا عزمت على هذا فأرسل إلى زيد فادعه فإنه كان شاباً حدثاً نقياً يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فادعه يجمعه معنا.

ولما جاء زيد حدث له ما حدث لأبي بكر من المعارضة والاستعظام، ولكنه ما لبث أن وافق وتحمس للعمل من أجل الحفاظ على كتاب الله تعالى.

وفي هذا يحدثنا زيد رضي الله عنه فيما رواه عنه البخاري، فيقول: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه، إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر – أي أشتد – يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد، وقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره[1]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

[1] – قال في المناهل: أي لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري مع أن زيداً نفسه كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها، ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة زيادة في التوثيق ومبالغة في الاحتياط أ.هـ. ص245، جـ1.

﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ إلى آخر سورة التوبة أ.هـ[1]. فجمعه زيد رضي الله تعالى عنه في صحف كل سورة على حدة مرتبة الآيات من غير مراعاة لترتيب السور بعضها مع بعض.

الدستور الذي تم عليه هذا الجمع:-

وضع الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه طريقة مثلى ودستوراً قيماً لجمع القرآن في عهده بلغت الذروة في التحري والتثبت والغاية من الحيطة والحذر، فلذلك لم يكتف زيد رضي الله عنه بما حفظه في قلبه ولا بما كتبه بيده، بل أخذ على نفسه أن يعتمد على قاعدتين اثنتين:-

أولاهما: أن تكون الآية أو الآيات مما كتب بين يدي رسول الله ﷺ ويشهد بهذا شاهدان.

ثانيتهما: أن تكون محفوظة عند جمع من الصحابة، يدل لهذا ما أخرجه أبو داوود بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه، أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: ((أقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه))، انتهى كلام أبي بكر، قال ابن حجر في شرح هذا الحديث (المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة)، وقال السخاوي: "المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ"[2].

وبعد أن أتم الصدّيق وضع الطريقة لجمع القرآن، قام عمر الفاروق في الناس وقال: "من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به"[3].

---

1 - المصدر السابق نفسه، ص244.
2 - من مناهل العرفان، ص345، جـ1.
3 - من المصدر السابق.

وسرعان ما استجاب له الصحابة فجمعوا له كل ما عندهم من الأشياء التي كتب عليها القرآن وأخذوا في العمل، فكان أبيّ بن كعب يملي وزيد بن ثابت يكتب في حضور عمر بن الخطاب، واستمروا في العمل على هذا النحو طوال سنة تقريباً، وهكذا تم الجمع وفقاً للدستور الرشيد المتقدم بإشراف أبي بكر وعمر، وعلى علم من سائر صحابة رسول الله ﷺ وأجمعت عليه الأمة وتلقته بالقبول، وفي النهاية ضمت الصحف وربطت بخيط، وحفظت في بيت أبي بكر ثم ببيت عمر في حياته، ثم انتقلت إلى بيت ابنته حفصة أم المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنهما، وبقيت عندها إلى أن طلبها منها عثمان ونسخ منها مصاحف ثم ردها إليها وبقيت حتى توفيت، وعند الرجوع من جنازتها طلبها مروان بن الحكم من أخيها عبد الله بن عمر، فأمر بها فغسلت ثم شققت وأحرقت بالنار.

مميزات صحف أبي بكر:-

من المنهج السالف الذي تم عليه الجمع، نلاحظ أن الصحف تمتاز بمميزات عظيمة تحقق لها الدقة التامة والثقة المتناهية الشاملة، وفيما يلي إجمال لها:-

1- إنها شملت كل القرآن على أكمل وجوه التحري والتثبت العلمي.

2- أنها جاءت مقتصرة فقط على القرآن الذي لم تنسخ تلاوته.

3- أنها حازت على الثقة التامة والتواتر الكامل، وأجمع عليها المسلمون كافة، وأقروا بأنها جمعت كل القرآن دون زيادة أو نقصان.

ثالثاً:- جمع القرآن بكتابة المصاحف في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان

الدوافع والدواعي إلى هذا العمل:-

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حظر على علماء المهاجرين من الصحابة مغادرة المدينة المنورة إلا بإذن وأجل، ولما توفي وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان، أباح ما كان قد حرمه سلفه من قبل، فتفرق كبار الصحابة في الأمصار الإسلامية إثر انتشار الإسلام وتوسع الفتح، وكان من بين هؤلاء كبار القرّاء وحفّاظ القرآن، وأخذ أهل كل بلد من بلاد الإسلام بقراءة من نزل عندهم من الصحابة فقرأ الشاميون بقراءة أُبيّ بن كعب، واقتدى الكوفيون بعبد الله بن مسعود في القراءة.

وأما البصريون، فقرأوا بقراءة أبي موسى الأشعري، وعندما عزم المسلمون على فتح أرمينية وأذربيجان[1]، اجتمع جيش إسلامي عظيم يضم أعداداً من جميع تلك الأمصار، فاختلفوا في القراءة واشتد الخلاف بينهم حتى كادت تقع فتنة، وقال بعضهم لبعض: ((قراءتي خير من قراءتك)) وبعضهم قال لخصمه: (قراءتي هي الصواب وقراءتك باطلة)) وكان في هذا الجيش حذيفة بن اليمان فغضب لهذا الخلاف غضباً شديداً وأشفق على المسلمين من أن يقع بينهم ما لا تحمد عقباه، فحلف أن لا يدخل داره حتى يبلّغ الخليفة بما وقع.

---

[1] - أذربيجان بهمزة مفتوحة وبعدها ذال معجمة مفتوحة أيضا وراء ساكنة وباء مفتوحة وباء ساكنة: كورة فارسية قديمة وجمهورية سوفيتية الآن، تم فتحها فيما بين سنة 18، 22 هجرية، وأما أرمينية فتطلق على البلاد الجبلية الواقعة في غربي آسية أ. هـ. من دائرة المعارف الإسلامية، ج3، ص33، ط الشعب.

ولما رجع الجيش الإسلامي منتصراً أسرع حذيفة إلى عثمان وقال: أدركِ الأمة قبل أن تهلك، قال في ماذا؟ قال كتاب الله، ووصف له ما تقدم، وقال: ((إني أخشى أن يختلفوا كما اختلف اليهود والنصارى)).

أضف إلى هذا ما وقع داخل المدينة نفسها دار الخلافة وحاضرة الإسلام من اختلاف في القراءة بين الغلمان المتعلمين فيما بينهم، وسرى هذا إلى المعلمين أيضاً حتى كّفر بعضهم بعضاً ووصل الخبر إلى الخليفة عثمان بن عفان، روى ابن أبي داوود في المصاحف عن أبي قلابة، قال: لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل – أي رجلاً آخر غير الأول- فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كّفر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: ((أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً)).

وكان من آثار هذا وذاك أن دعا الخليفة عثمان بن عفان كبار الصحابة وحفّاظ القرآن واستشارهم في الأمر، وقال: ((ما ترون في المصاحف[1] فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى أن الرجل ليقول قراءتي خير من قراءتك، وقراءتي أفضل من قراءتك وهذا شبيه بالكفر))، واقترح عليهم أن يجتمع الناس على قراءة واحدة فجاء ردهم بالتفويض فقالوا: (الرأي رأيك يا أمير المؤمنين).

تنفيذ قرار الجمع:-

في أواخر السنة الرابعة والعشرين من الهجرة النبوية شرع أمير المؤمنين عثمان في تنفيذ قراره الحكيم، فأرسل إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر وطلب منها أن تبعث إليه بالصــحف التي كتبت في عهد أبي بكر لينسخ منها مصاحف يجتمع عليها المسلمون،

---

[1] – المناهل، ص249، جـ1.

فأبت عليه أول الأمر، ولكنها أخيراً- وبعد أن شرطت أن يردها إليها بعد نسخها - أرسلتها إليه.

وانتدب رضي الله عنه لعملية النسخ اثني عشر رجلاً[1] من كبار حفّاظ القرآن، بعضهم من المهاجرين من قريش، وبعضهم من الأنصار، وأمّر عليهم زيد بن ثابت وسعيد ابن العاص، وكان هذا بعد أن استشار الصحابة قائلاً: ((مَن أكتب الناس؟ قالوا: زيد بن ثابت كاتب رسول الله ﷺ))، قال: ((مَن أفصح الناس؟ قالوا: سعيد بن العاص)).

ثم قال: ((فليمل سعيد وليكتب زيد)).

كان من بين أعضاء هذه اللجنة المباركة:-

1- حبر الأمة وعالمها عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه.

2- عبد الله بن الزبير بن العوام.

3- خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك.

4- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

5- أبيّ بن كعب.

6- كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري.

7- مالك بن أبي عامر جد مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور.

منهـــجهم في الكـــتابة:-

ولما تم تشكيل لجنة النسخ، وضع عثمان بعد استشارة الصحابة، منهجاً يسيرون عليه في كتابة المصحف، فأمرهم أن يتخذوا من الصحف التي كتبت في خلافة أبي بكر

---

[1] - الإتقان، جـ1، ص170.

إماماً، وإذا اختلفوا في شيء من القرآن أن يكتبوه بلسان قريش لأنه نزل بلسانهم[1]، وأن لا يكتبوا شيئاً إلا بعد عرضه على جمع من الصحابة، وقد لخص الشيخ موسى شاهين لاشين ذلك المنهج في النقاط التالية:-

1- أن لا يكتبوا شيئاً إلا بعد التحقق من أنه قرآن.

2- أن لا يكتبوا شيئاً إلا بعد العلم بأنه استقر في العرضة الأخيرة.

3- أن لا يكتبوا شيئاً إلا بعد التأكد من أنه لن تنسخ تلاوته.

4- أن لا يكتبوا شيئاً إلا بعد عرضه على جمع من الصحابة.

5- إذا اختلفوا في شيء من القرآن كتبوه بلغة قريش – أي بلهجتهم – وقد اختلفوا في التابوت والتابوه في قوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ..﴾ الآية[2]، فقال القرشيون التابوت، وقال زيد التابوه فرفع الخلاف إلى عثمان فقال: ((اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش)).

6- أن يحافظوا على القراءات المتواترة ولا تكتب قراءة غير متواترة.

7- اللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات يرسم بصورة واحدة.

8- اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات ويمكن رسمه في الخط محتملاً لها كلها يكتب برسم واحد مثل قوله تعالى: ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[3] فإنه يصلح أن يقرأ بالقراءة الأخرى (فتثبتوا) لأن الكتابة كانت خالية من النقط والشكل.

---

1 – قال بعض العلماء: إن المراد من اللسان هنا هو طريقتهم في الكتابة، والظاهر أنه لهجتهم وطريقتهم في النطق.

2 – الآية 248 من سورة البقرة.

3 – الآية 6 من سورة الحجرات.

9- اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات ولا يمكن رسمه في الخط محتملاً لها يكتب في نسخة برسم يوافق بعض الوجوه، وفي نسخة أخرى بما يوافق البعض الآخر، مثل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[1] فإنها تكتب في نسخة أخرى، وأوصى بالهمزة لأنهما قراءتان..

وتحاشوا أن يكتبوا الرسمين في مصحف واحد أحدهما في الأصل والآخر في الهامش، لئلا يتوهم أن الثاني تصحيح للأول، أو أن الأول أصل والثاني فرع فتضعف قراءة أحد اللفظين عن الآخر بدون مرجح أ.هـ[2].

وبعد أن أتموا العمل طبقاً لهذا المنهج القيّم ونسخوا من المصحف عدة نسخ قيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان، احتفظوا بنسخة أو نسختين في المدينة وأرسلوا بقية النسخ إلى أمصار المسلمين، فكانت موزعة كالآتي:-

1- المصحف الإمام وهو المصحف الذي احتفظ به الإمام عثمان بن عفان وخص به نفسه.

2- المصحف المدني.

3- المصحف البصري.

4- المصحف الكوفي.

5- المصحف الشامي.

ومن قال إنها ستة زاد المصحف المكي، ومن قال إنها سبعة زاد مصحف البحرين ومصحف اليمن، وجعل للمدينة واحداً أو اثنين فيكون العدد حينئذ ثمانية[3].

---

1 - الآية 132 من سورة البقرة.

2 - اللآلئ الحسان، ص62-63.

3 - من المصدر السابق بتصرف قليل، والإتقان، جـ1، ص172، والألوسي، جـ1، ص23 هامش.

وأخيراً أمر عثمان رضي الله عنه بأن تحرق جميع الصحف والمصاحف ما عدا هذه، لما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فيما رواه عنه الإمام البخاري، قال: " وأمر – يعني عثمان – بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق".

وقد استجاب الصحابة رضوان الله عليهم وأحرقوا صحفهم ومصاحفهم الخاصة إلا عبد الله بن مسعود الذي غضب لعدم اختياره في لجنة النسخ[1].

ولكنه أخيراً رجع عن موقفه وعاد إلى حظيرة الجماعة حين ظهرت له مزايا المصاحف العثمانية التي حازت ثقة الأمة الإسلامية الكاملة، وإجماعها التام وتوحدت بها كلمة المسلمين وأزالت بوادر الاختلاف من بينهم، فرضي الله عن الإمام عثمان وعن جميع صحابة رسول الله أجمعين، ومما يؤيد ما ذكر من الإجماع على المصاحف العثمانية وتحريق ما عداها ما رواه أبو داوود بسند صحيح عن ابن أبي سويد بن غفلة عن الأمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإ منا"[2]، وفي رواية أخرى: "لو وليت لعملت بالمصحف الذي عمله عثمان".

---

1 – وذلك لما يراه في نفسه من الكفاءة لهذا العمل، ولعل عذر الخليفة في عدم اختياره هو بُعده عن المدينة في ذلك الوقت.

2 – راجع تفسير روح المعاني للألوسي، جـ1، ص31.

الفرق بين الجمع في عصوره الثلاثة:-

إذا أردنا معرفة الفرق بين جمع القرآن وكتابته في مراته الثلاث فلننظر ملياً في جميع ما تقدم في هذا المبحث حيث نشاهده واضحاً جلياً من نواحٍ عدة ومن حيثيات مختلفة، تتلخص في الآتي:-

1- من حيث الغرض والهدف، وذلك لأن الجمع في زمن النبي ﷺ كان الغرض منه زيادة الاستيثاق والمحافظة على كتاب الله تعالى، وأما في المرة الثانية فقد علمنا أن المقصود منه صيانة القرآن خوفاً من أن يضيع منه شيء بموت حفظته، وأما الجمع الأخير فكان الغرض منه سد باب الفتنة ودفع النزاع والاختلاف في كتاب الله بين المسلمين.

2- من حيث الأدوات والأشياء التي كتب عليها القرآن، فإنها كانت في جمع عثمان تسمى مصاحف، وفي عهد أبي بكر تسمى صحفاً، وفي العهد النبوي الشريف لا تسمى صحفاً ولا مصاحف.

3- من حيث الترتيب، وذلك لأن المكتوب في وقت النبي ﷺ لم يكن مرتباً لا بالنظر للسور ولا الآيات، اللهم إلاّ إذا اعتبرنا الترتيب الواقع في كل قطعة على حدة من الأشياء التي كتب عليها فإنها مرتبة في حد ذاتها، وأما صحف أبي بكر فإنها مرتبة الآيات في كل سورة على حدة، وأما السور فلم تكن مرتبة ترتيباً كاملاً، وأما المصاحف العثمانية فإنها مرتبة ترتيباً كاملاً الآيات والسور جميعاً.

4- من حيث التواتر وعدمه، فإنه في عهد النبي ﷺ كان المجموع يضم المتواتر وغيره، بخلاف المجموع في المرتين الأخريين، فإنه مقصور على المتواتر فقط.

5- من حيث النسخ وعدمه، وذلك لأن القرآن الذي كتب في عهد النبي ﷺ يجمع منسوخ التلاوة إلى جانب غير المنسوخ، وأما في الجمعين الأخيرين في عصر الصدّيق وعثمان، فكانوا يقتصرون على غير منسوخ التلاوة.

رد الشبه الوارد حول زيادة القرآن أو نقصانه:-

أورد الملاحدة من المستشرقين والشيعة وغيرهم شبهاً واهية ادعوا فيها أن القرآن يحتمل الزيادة والنقصان، وليس الموجود الآن هو كما أنزله الله، وقد أورد منها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ست شبهات، أكتفي هنا بذكر أهمها وهما اثنتان وأعتقد أن الرد عليهما يدفع الشبه الباقية.

الشبهة الأولى:-

يقولون إن القرآن الموجود الآن ليس هو كل المترل من عند الله تعالى بل نقص منه البعض، واستدلوا على ذلك بما يأتي:-

1- بالحديث الذي رواه الشيخان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ سمع رجلاً[1] يقرأ من الليل فقال يرحمه الله: "لقد أذكرني آية كنت أسقطتها وفي رواية كنت نسيتها"[2]، ففي هذا الحديث اعتراف من النبي بأنه أسقط عمداً شيئاً من القرآن أو نسيه.

2- أن بعض الصحابة قد أسقطوا من القرآن ما رأوا المصلحة في إسقاطه مثل آية المتعة التي أسقطها علي بن أبي طالب، وكان يضرب من يقرأها، الأمر الذي جعل السيدة عائشة تشنع عليه وتقول إنه يجلد على القرآن وينهى عنه.

---

1 - وهو عباد بن بشر.

2 - راجع كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص256-267.

3- أن أبيّ بن كعب حذف من القرآن ما كان يرويه، ولا يوجد في القرآن اليوم وهو القنوت الذي يقرأ في صلاة الصبح (اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك، إلى آخـــره..).

جواب الشبهة:-

علمنا من تصوير هذه الشبهة أنها مبنية على ثلاثة أدلة ولهذا فنحن نبطلها بإبطال أدلتها، فالدليل الأول: وهو الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ حين سمع رجلاً يقرأ من الليل يرحمه الله إلى آخره، لا يصح أن يكون دليلاً على دعواهم (وهي سقوط شيء من القرآن)، لأن نسيان النبي ﷺ لبعض الآيات بعد تبليغها[1] لا ينافي المحافظة عليها وبقاءها، لأن هناك عشرات من الصحابة قد حفظوها في صدورهم وكتبوها في مصاحفهم، وقد سبق أن ذكرنا أن النبي ﷺ كان بمجرد أن يترل عليه شيء من القرآن يأمر بكتابته ويتسابق المسلمون إلى حفظه واستظهاره، أضف إلى هذا أن النسيان الواقع من النبي ﷺ لا يعدو أن يكون مجرد انشغال الذهن عن الشيء والسهو عنه بحيث يزول بأدنى تنبيه كما نص عليه العلماء، ويدل على ذلك أيضاً أن عباد بن بشر حين قرأ الآية تذكرها رسول الله ﷺ، أما النسيان بمعنى المحو بالكلية فهو لا يجوز في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخصوصاً ما كان متعلقاً بما أمروا بتبليغه قبل التبليغ.

أما دليلهم الثاني: وهو ادعاؤهم على ا"لإمام علي أنه أسقط آية المتعة، والثالث وهو قولهم أن أبيّ بن كعب أسقط القنوت المروي عنه، فهما شبهتان مردودتان من أساسهما، وذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم لا يعدون من القرآن إلا ما ثبت تواتره-

---

1 - لأنه لو لم يبلغها ﷺ لما حفظها الرجل الذي سمعه يقرأ من الليل.

كما تقدم في منهجهم حين جمعوا القرآن- وآية المتعة ومثلها القنوت لم يثبت تواترها على أنها قرآن ولهذا لا تعدان منه.

الشبهة الثانية:-

قالوا إن القرآن، كما احتمل النقصان، كذلك هو يحتمل الزيادة أي أن القرآن الموجود الآن فيه آيات ليست منه في الواقع وإنما ألحقها به بعض الصحابة، ومثلوا لما قالوا بما يلي:-

1- بقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.. ﴾ الآية، ادعوا أنها من كلام أبي بكر قالها بعد وفاة النبي وألحقها الصحابة بالقرآن وليست منه في الواقع.

2- المعوذتان (وهما سورة الفلق وسورة الناس) قالوا: إنهما ليستا من القرآن فقد أنكر قرآنيتهما عبد الله بن مسعود وحكّهما من مصحفه زعماً منه أنهما ليستا من القرآن.

جواب الشبهة:-

هذه الشبهة وهي ادعاؤهم زيادة شيء من القرآن دعوى باطلة لا دليل لهم عليها، وذلك لأن الآية من سورة آل عمران التي ادعوا أنها ليست من القرآن ومثلها المعوذتان ثبتت قرآنيتهما ونقلت عن النبي ﷺ نقلاً متواتراً لا شك فيه، كغيرها من القرآن، وفيما يلي التفصيل:-

أما الآية الأولى: وهو قوله تعالى: ﴿ وما محمد إلا رسول.. ﴾ الآية، فقد ثبت وصح أنها نزلت في حياة النبي ﷺ عقب غزوة أُحد المشهورة عتاباً لصحابة رسول الله ﷺ

على ما صدر منهم، فقد أشيع في ذلك الوقت أن الرسول قد قتل فوقع منهم ما وقع، ثم عرفوا أنه ما زال حياً فانحاز منهم ثلاثون ينافحون عن النبي ﷺ حتى انتصروا، وبعد انتهاء الحرب لام النبي أصحابه على الفرار، فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأبنائنا أتانا الخبر أنك قتلت فرعبت قلوبنا فولّينا مدبرين، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ.. ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾، فهذه الآية ليست من كلام أبي بكر كما يدعي المعترض، وإنما هي من كلام رب العزة حفظها العشرات من الصحابة وكتبوها في صحفهم قبل أن يقولها أبو بكر يوم وفاة الرسول ﷺ، وغاية ما في الأمر أن عمر حين سمعها من أبي بكر في ذلك اليوم خيّل إليه من هول الحادث وشدة الصدمة أن هذه الآية لم تنزل بعد حتى سمعها من أبي بكر ولهذا قال: (ما هو إلا أن سمعت أبا بكر قالها فعقرت[1]، حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله قد مات)[2].

وأما المعوذتان: فما نقل عن ابن مسعود من إنكار قرآنيتهما فهو نقل باطل لا أساس له من الصحة، بل الصحيح المنقول عنه قراءة عاصم عن زرعة وفيها المعوذتان، قال ابن حزم في كتابه القدح المعلى (هذا كذب على ابن مسعود وموضوع)، وقال النووي في المهذب: (أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن فمن جحد شيئاً منهما كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح)[3].

هذا، ولنا أن نقول: إن إنكار ابن مسعود على فرض صحته كان قبل انعقاد الإجماع على قرآنيتهما وعلمه بتواتر نقلهما عن رسول الله ﷺ، فلما علم بذلك كان في

---

[1] – قال أهل العربية: العقر بفتحتين أن تسلم الرجل قوائمه فلا يستطيع أن يقاتل من الفرق والدهش وبابه طرب من المناهل ج1 ، ص279 نقلا عن المختار.

[2] – مناهل العرفان، ج1، ص272.

[3] – المناهل، جـ1، ص268.

مقدمة من آمن أنهما من القرآن بدليل الرواية المذكورة عنه، وهي رواية عاصم عن زرعة كما تقدم.

وأخيراً، فإننا لو سلمنا جدلاً أن هذه الدعوى صحيحة، فإن إنكار ابن مسعود للمعوذتين أو الفاتحة أو حتى لو أنكر القرآن كله لا يضرنا ولا يقدح ذلك في تواتر نقل القرآن، لأنه لم يقل أحد من المسلمين أن التواتر الواجب في نقل القرآن يتحتم أن لا يخالف فيه أحد لأننا لو ادعينا أو اشترطنا ذلك، لم ولن يسلم لنا تواتر أصلاً.

والله أعلم

الأسئلة

س1- ما المقصود من جمع القرآن هل الجمع بمعنى الكتابة أو الحفظ في الصدور؟ ولماذا كان الرسول ﷺ وصحابته يهتمون بحفظ القرآن في صدورهم أولاً وقبل كل شيء؟ وما الغرض من كتابته إضافة إلى الحفظ المذكور؟ وعلى أي شيء كانوا يكتبون القرآن من الأدوات؟

س2- بينّ حال ما كانوا يكتبونه في عهد النبي ﷺ من حيث الترتيب وعدمه، ومن حيث النسخ وعدمه؟ ومن أين عرف المسلمون فيما بعد ترتيب سور القرآن وآياته؟ وهل هو اجتهادي أو توفيقي؟

س3- كم بلغ عدد كتبة الوحي للرسول ﷺ، اذكر أسماء سبعة منهم على الأقل؟ وأين كانوا يضعون الأشياء التي يكتبون عليها القرآن؟

س4- تحدث عن جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق، مبيناً أسبابه ودواعيه، ومن أشار به على الخليفة من الصحابة وسبب الاستشارة؟ وبماذا كان يسمى المكتوب في ذلك العهد؟

س5- كانت للصحابة طريقة خاصة ساروا عليها في الجمع في عهد أبي بكر الصديق، اكتب ما تعرفه عن هذه الطريقة؟ وما هو الصحابي المختار للكتابة ومن هو المختار للإملاء؟ ومن قام بالإشراف على هذه اللجنة؟ وكم المدة التي استغرقها الجمع في ذلك العهد؟

س6- أين وضعت الصحف التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر؟ وما مصيرها؟ وما هي المميزات التي امتازت بها تلك الصحف بالتفصيل؟

س7- جمع القرآن مرة ثالثة في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، اذكر دوافعه والأسباب التي أدت إلى وقوعه؟ وبما سمي المكتوب في ذلك الجمع؟ واذكر أسماء الذين تم اختيارهم للجمع، ومن هو الكاتب ومن المملي عليه وتاريخ وقوع الجمع؟

س8- وضع الخليفة عثمان للجنة النسخ في عهده منهجاً يسيرون عليه في كتابة القرآن، اذكر هذا المنهج؟ وما عدد المصاحف التي تم نسخها وأجمع عليها الصحابة؟ مبيناً ما قام به عثمان من عمل بالنسبة للمصاحف المخالفة لمصاحفه التي أجمع عليها الصحابة؟

س9- هناك اختلاف وفروق بين الجمع في مراته الثلاث المتقدمة، اذكر هذه الفروق من عدة نواح، وصور الشبهتين الواردتين على الجمع؟ وأجب عنهما بما يبطلهما؟

المبحث السادس

سور القرآن وآياته

هذا المبحث من المباحث الجليلة والمهمة في علوم القرآن، لذلك عُنِيَ به المفسرون وأولوه اهتمامهم البالغ، وجعلوه في مقدمات تفسيرهم لكتاب الله، وخصوصاً بعدما ظهر الاتجاه الحديث في الدراسات القرآنية وهو الاتجاه الذي يجعل من كل سورة من سور القرآن وحدة مستقلة متناسقة الأركان، مترابطة الأجزاء، متعاونة على تحقيق هدف معين وغرض أساسي، أُنزلت من أجله وجاءت لإظهاره والدعوة إليه، وهو مما يمكن اعتباره أساساً لفهم معانيها والاطلاع على أسرارها وبيان حكمها وأحكامها، والذي يعنينا هنا هو: بيان معنى كل من السورة والآية لغة وفي عرف المفسرين، والتماس الحكمة من تسوير القرآن ومن تجزئة السور إلى آيات متعددة، ثم توضيح حكم ترتيب السور في القرآن على ما هو عليه الآن، ومثله حكم ترتيب الآيات في سورها، وهل كل منهما اجتهادي (وقع باجتهاد الصحابة ومن بعدهم)، أو توقيفي جاء بتوقيف وإرشاد من النبي ﷺ.

1- السورة في اللغة

تُطلق السورة لغة ويراد منها معانٍ كثيرة: منها المترلة والشرف، ومنه قول الشاعر النابغة الذبياني[1]:-

ألم تــر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتــذبذب

ومنها ما ارتفع من البناء وحسن، ويقال له: سور بضم السين ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾[2]، التسور الارتفاع من مترلة

1 - قاله اعتذاراً أو مدحاً للنعمان بن المنذر أحد ملوك العرب في الجاهلية.
2 - سورة ص ، الآية 21.

إلى منزلة وتسوروا المحراب أي تسلقوه، وسميت السورة بهذا الاسم لشرفها وارتفاع قدرها لاشتمالها على كلام الحكيم الخبير المنطوي على ما فيه سعادة الدنيا والآخرة، ومنها العلامة لكون السورة من القرآن علامة فاصلة بين كل موضوع وآخر، متميزة عن سالفتها ولاحقتها وعلامة ناطقة وشاهدة، بكون القرآن من لدن حكيم خبير، وعلى صدق من أنزل عليه القرآن ﷺ. جاء في القاموس المحيط: (والسورة المنزلة من القرآن معروفة لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والشرف وما طال من البناء وحسن والعلامة)[1]، ومن نطق بالسؤرة مهموزة، وقال: سؤرة، فمن أسأرت أي أبقيت كأن السؤرة بقية من جملة القرآن وقطعة منه، إذ السؤر البقية وفضلة الشيء الباقية بعد الأخذ منه.

وجمع السورة سُوَر بفتح الواو كغرف، وتجمع أيضاً على سور بسكون الواو.

2- السورة في الاصطلاح

وهي قطعة من القرآن الكريم مشتملة على ثلاثة آيات فأكثر، لها مبدأ ونهاية مسماة باسم يخصها[2]، وكون أقصر سورة في القرآن تتكون من ثلاث آيات أمر علم باستقراء آيات القرآن وسوره مع ضميمة شهادة حديث عمر بن الخطاب فيما رواه ابن أبي داوود عن الزبير قال: جاء الحارث بن خزيمة الأنصاري (وهو المسمى في بعض الروايات خزيمة وأبا خزيمة)، بالآيتين من آخر براءة فقال: أشهد أني سمعتها من رسول الله فقال عمر: (وأنا أشهد لقد سمعتها منه، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعتها سورة على

1- جـ 2، ص55.

2- قال السيوطي في الإتقان: قد ثبتت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، والتحقيق: أن أغلبها بالتوقيف كما ذكر، وبعضها باجتهاد من الصحابة أو التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، انظر جـ1، ص150 من الإتقان، ط المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.

حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوها في آخرها)[1]. وتقسيم القرآن وتجزئته إلى أجزاء متعددة وتسميتها بالسور من المصطلحات الخاصة بالقرآن، قال تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ وقال: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ وهو تقسيم معروف في عهد النبي ﷺ، فقد كان القرآن في ذلك الوقت مقسماً إلى مائة وأربع عشرة سورة، كما هو عليه الآن، ولم يخالف في ذلك أحد سوى ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من عدم اعتباره للمعوذتين (سورة الفلق وسورة الناس) من القرآن وإثبات القنوت الذي يقرأ في صلاة الصبح بدلهما، وجعله سورتي الفيل وقريش سورة واحدة، ولكنه رجع إلى الإجماع أخيراً، كما رجع غيره من المخالفين وأحرقوا مصاحفهم الخاصة كما تقدم في مبحث جمع القرآن.

وأما ما روي عن مجاهد من اعتباره لسورة الأنفال والتوبة واحدة لعدم الفصل بينهما بالبسملة فهو مردود لورود التسمية لكل منهما باسم خاص بها، وأما عدم الفصل بينهما بالبسملة، فلكونها لم تنزل مع سورة التوبة كما نزلت مع باقي السور[2]، والله أعلم.

3- حكم ترتيب سور القرآن في المصحف العثماني

اختلف العلماء في هذا الترتيب الموجود بين سور القرآن في المصحف العثماني هل هو بتوقيف النبي ﷺ ولا محل للنظر والاجتهاد فيه؟ أم هو وقع باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى؟

---

1 - الإتقان، جـ1، ص61.

2 - البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ1، ص451.

قال بالأول جماعة من العلماء، وقال بالثاني الجمهور منهم، وتوسط آخرون بين هؤلاء وهؤلاء، فقالوا: إن ترتيب أغلب السور توقيفي وترتيب البعض احتهادي ولكل فريق أدلة يتمسك بها، وفي الأسطر التالية بيانها وبيان من قال بكل من هذه الأقوال من الأئمة:-

1- أما الرأي الأول: وهو القائل بالتوقيف في جميع السور، فقال به الإمام أبو جعفر النحاس، والكرماني، وأبو بكر الأنباري.. وغيرهم، بل نسبه بعض العلماء إلى الجمهور أيضاً[1]، واستدل هؤلاء بالأدلة التالية:-

أ – استدل الكرماني في برهانه بالعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام فقال: (ترتيب السور هكذا هو عند الله وفي اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه، كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي بها مرتين)[2].

ب- واستدل أبو جعفر النحاس بالحديث الشريف الذي رواه أحمد وأبو داوود بسندهما عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: (أعطيت السبع الطّوَل مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الإنجيل وأعطيت المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصّل).

وقال النحاس معقباً على الحديث، وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ وأنه مؤلف من ذلك الوقت[3].

---

1 – هو الأستاذ عبد الفتاح القاضي في مجلة منبر الإسلام، السنة الثالثة، العدد 30، ص51.

2 – من البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ1، ص259.

3 – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ1، ص63، والطول بفتح الواو جمع طولي كالكبر جمع كبرى، وهي: سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، واختلف في السابعة فقيل هي الأنفال مع التوبة لعدم الفصل بينهما وقيل يونس، وسميت طوالاً لطولها عما سواها، والمئون هي كل سورة تزيد على المائة آية أو تقاربها وهي إحدى عشرة: براءة وهود ويوسف والنمل والكهف وبني إسرائيل والأنبياء والمؤمنون والشعراء والصافات،

جـ- وقال ابن حجر: ومما يدل على أن ترتيب السور توقيفي ما أخرجه أحمد وأبو داوود عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي، قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف ... الحديث، وقال لنا رسول الله ﷺ (طرأ عليّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ وقلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وحزب المفصل من قَ حتى نختم).

ثم قال ابن حجر: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن في المصحف كان على عهد رسول الله ﷺ[1].

د – وقال أبو بكر بن الأنباري مبدياً رأيه: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة:فكانت السورة تترل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ، فمن قدّم سورة أو أخّرها، فقد أفسد نظم القرآن[2].

هذا، ويمكن إضافة الدليلين الآتيين إلى ما قاله هؤلاء الأئمة:-

1- أن ترتيب السور في المصحف العثماني على ما هو عليه لو كان اجتهادياً وخاضعاً للنظر العقلي لظهرت مناسبات خاصة، وتعليلات ظاهرة تقتضيه وتتطلبه، ولكن الواقع خلافه؛ لأننا وجدنا السور لم ترتب حسب الأسبقية الزمنية في الترول، ولم ترتب باعتبار الطول والقصر، فلم تجعل الطول أولاً ثم القصار ولا العكس، كذلك

والمثاني: ما كانت أقل من المائة آية ما عدا المفصل سميت بذلك لأنها ثنت المبئين أي جاءت بعدها، والمفصل لقب لقصار السور التي تبتدئ في أصح الأقوال من سورة ق، أو الحجرات إلى أخر القرآن وهو أقسام: طوال من أوله إلى عم، وأوساط من عم إلى سورة الضحى، ومنها إلى أخر القرآن قصار، أ. هـ من الإتقان للسيوطي، جـ1، ص64.

[1] – المرجع السابق، الإتقان جـ1، ص63

[2] – الإتقان في علوم القرآن، الإتقان، جـ2، ص62.

لم تجعل المكيات متوالية ثم المدنيات أو العكس، كذلك لم يعتبر في الترتيب المعلوم التناسب والتشابه في الموضوعات التي اشتملت عليها السور، وكذلك لم ينظر فيه إلى فواتح السور ولا خواتيمها، وحيث لم تظهر لنا علة واضحة ولا مناسبة ظاهرة مطردة لهذا الترتيب المجمع عليه من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام حكمنا بأن هذا الترتيب كان بتوقيف وإرشاد من النبي ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى[1]، لحكمة يعلمها عزّ وجل.

2- لو كان الترتيب المعلوم اجتهادياً لتمسك المخالفون له كعبد الله ابن مسعود، وعلي ابن أبي طالب بآرائهم واحتفظوا بمصاحفهم التي كتبوها على خلافه، ولكن الواقع أنهم لم يتمسكوا ورجعوا أخيراً إلى الإجماع وأحرقوا مصاحفهم المخالفة لذلك، فدل عملهم هذا على أن الترتيب توقيفي.

الرأي الثاني في ترتيب السور:-

وأما الرأي الثاني، وهو أن ترتيب السور اجتهادي، فقد قال به الإمام مالك والجمهور، واستدل أصحاب هذا القول بالآتي:-

أ – أن مصاحف بعض الصحابة كانت مختلفة الترتيب قبل أن يجمع القرآن في مصحف، فلو كان توقيفياً لما ساغ لهم أن يهملوه ويتعدوه إلى غيره وهم الوقّافون عند حدود الشرع الممتثلون لأوامره ﷺ، ومن أمثلته ما روي أن مصحف ابن مسعود كان مبدوءاً بالبقرة، ثم النساء ثم آل عمران، ومثله مصحف أبيّ، ورتب الإمام علي

---

1 – هذا منظور فيه للمناسبات والتعليلات العامة الشاملة لترتيب جميع سور القرآن، فلا ينافي أن هناك مناسبات وحكماً وأسراراً من أجلها وضعت كل سورة تلو الأخرى، ذكرها العلماء في تفاسيرهم مثل الفخر الرازي والألوسي وغيرهما.

مصحفه على حسب الترول فكان أوله اقرأ ثم المزمل ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي ثم المدني حسب نزوله.

ب – بما رواه الإمام أحمد والنسائي وابن حبان والترمذي وغيرهم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، قال: قلت لعثمان (رضي الله عنه): ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموهما في السبع الطول؟ فقال عثمان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ تترل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ﷺ و لم يبينّ لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، و لم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطول، فهذا الحديث يدل في وضوح على أن ترتيب بعض السور كان باجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ويقاس الباقي عليه.

جـ – روى مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، صلى بالبقرة ثم النساء ثم بآل عمران في ركعة (قال عياض: هو دليل لكون ترتيب السور وقع باجتهاد الصحابة حين كتبوا المصحف).

مناقشة أدلة القول الثاني:–

هذا، وقد ناقش أدلة هذا القول الشيخ عبد الفتاح القاضي[1]، فقال ما نصه:–

[1] – في مجلة منبر الإسلام، العدد الثلاثون، للسنة الثالثة، بتاريخ ربيع الأول، سنة 1391 هـ.

1- أما بالنسبة لدليهم الأول المستند إلى ترتيب بعض مصاحف الصحابة الخاصة فهو دليل لا يعتد به ولا يعتبر حجة على ما قالوا، وذلك لأن ترتيبها كان قبل العرضة الأخيرة التي استقر عليها إجماع الصحابة، ولما جاءت هذه العرضة وثبت فيها القرآن إحكاماً وترتيباً رتبت تلك المصاحف على مقتضاها.

ولأن زيد بن ثابت رضي الله عنه - (الذي أسند إليه الخليفة عثمان بن عفان رئاسة الجماعة الذين رتبوا مصاحفه ونسخوها)- كان من كتّاب الوحي وشهد العرضة الأخيرة للقرآن وعلم ترتيب السور من رسول الله ﷺ مباشرة، وليس من المعقول أن يحدث زيد من تلقاء نفسه ترتيباً للسور غير ما تلقاه من الرسول ﷺ، لأن ذلك ليس من عادتهم.

2- وأما استدلالهم بالحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما فغير مسلم، وذلك لأن الحديث مقدوح فيه من حيث السند ومن حيث المتن، أما السند فقد قال فيه الترمذي: إنه حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس، ويزيد الفارسي هذا قال فيه العلامة ابن حجر العسقلاني: إن المحدثين اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز المشهور بأنه ثقة أو غيره، ثم قال: والصحيح أنه غيره، وسئل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه، ثم قال: ورجل هذا شأنه مجهول الحال لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ بها ويعتمد عليها في ترتيب القرآن المتواتر، وأما من جهة المتن فمعارض بما ثبت في السنّة من أنه ﷺ كان يتلو القرآن ويعرضه كله في رمضان على جبريل عليه السلام مرة كل عام.

وفي العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين، فأين كان يضع ﷺ هاتين السورتين في قراءته هذه؟ الظاهر أنه كان يضعهما في مكانهما المعلوم المجمع عليه، وإن فات ذلك عثمان رضي الله عنه أو نسيه فلم يذكره في الرواية السالفة على فرض صحتها،

وأما عدم كتابة البسملة بين الأنفال وبراءة، فلأنها لم تنزل في أول التوبة كما نزلت في أول جميع السور عداها، ولولا ذلك لناقشه الصحابة وعارضوه عند كتابة القرآن.

3- وأما الدليل الثالث، فهو أيضاً لا ينهض حجة على مدعاهم لأنه وارد في القراءة، وهي لا يلزم فيها الترتيب وليست موضعاً للخلاف وإنما هو في كتابة المصاحف، ولعل قراءته ﷺ بدون ترتيب، لبيان جواز مخالفة الترتيب في القراءة فقط.

الرأي الثالث:-

وهو القائل بأن الترتيب بين السور اجتهادي في البعض، كالترتيب بين الأنفال والتوبة، وفي الباقي توقيفي وارد في الروايات عن النبي ﷺ: كالسبع الطول، والحواميم[1] والعتاق[2] والمفصل والمعوذتين، والملاحظ أن هذا القول جاء كحل للنزاع بين القولين السالفين وعمل بأدلة كل منهما: وذلك لأن ما احتج به القائلون بالاجتهاد – على فرض تسليمه- لا ينسحب حكمه إلا على بعض السور التي لم يرد في ترتيبها نص يدل على التوقيف في ترتيبها، كالأنفال وأختها.

وقال بهذا القول الإمام ابن عطية والبيهقي في المدخل، ورجحه الإمام السيوطي.

---

1 - روي أن الحواميم ديباج القرآن، إلى أن قال: هن روضات حسان متجاورات، ذكره القرطبي في التفسير.

2 - العتاق، هي: الإسراء، والكهف، ومريم وطه والأنبياء، كما جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

أرجح هذه الأقوال:-

فيما تقدم علمنا ضعف القول الثاني، (وهو الذي يرى أن الترتيب بين جميع السور اجتهادي)، من ضعف الأحاديث التي استدل بها مع سلامة أدلة القول الأول من النقد، وأما الثالث، فليست له أدلة خاصة، من هنا يمكننا أن نعرف أن القول الأول هو الراجح وهو الذي يرى أن ترتيب السور كترتيب الآيات والحروف كله توقيفي، عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن رب العزة سبحانه وتعالى، هذا وسواء قلنا بالتوقيف أو غيره، فالواجب أن لا نتساهل في كتابة المصاحف ونكتبها على غير الترتيب المعروف المجمع عليه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقد علمنا أن أغلبه جاء بتوقيف دون شك أو خلاف، وما بقي داخل تحت الإجماع وهو حجة يجب العمل بها، ولا تجوز مخالفته لرواية تروى.

4- الحكمة في تسوير القرآن

لتجزئة القرآن إلى سور مختلفة طولاً وقصراً، حِكم عديدة وفائدة مهمة وجليلة، ومن بينها ما يلي:-

1- تسهيل حفظ القرآن وتيسير فهمه والتشويق إلى مدارسته والترغيب في الإطلاع عليه، فالقارئ أو الدارس إذا حذق سورة وشرع في أخرى، كان أنشط له وأبعث على التحصيل والفهم والاستزادة.

2- الإرشاد إلى التمييز بين موضوعات القرآن الكريم، إذ أن كل سورة من سوره نزلت لتحقيق غرض خاص وهدف معين، اهتمت به وأولته عناية أكثر من غيره، حتى سميت بعض السور بما تبحث فيه من الموضوعات أو الأشياء كسورة يوسف وسورة القصص ونحوهما.

3- ومنها الإشارة والتلميح إلى أن طول السورة ليس شرطاً في حصول التحدي والإعجاز، فكما يحصلان بالطوال من السور كذلك يكتفي في ذلك بأقصر سورة كالكوثر مثلاً، لصدق اسم السورة الوارد في آيات التحدي عليها، مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1].

4- ما قاله الإمام الزمخشري في تفسيره – الكشاف-: من أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون بياناً واحداً[2]، ومن ثم جعل الكتّاب والمصنفون مؤلفاتهم أبواباً وفصولاً، وجعلوا لكل منها عنواناً خاصاً به.

5- ومنها حصول الشرف والفضل لمن يقرأ سورة أو أكثر من القرآن الكريم يدل لذلك ما أخرجه الإمام مالك في الموطإ عن أنس بن مالك قال: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد[3] في أعيننا[4].

5- الآية عند أهل اللغة

الآية لغة لها معانٍ عدة، منها العلامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾[5]، ومنها المعجزة، كما في قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾[1].

---

1 – الآية رقم 23.

2 – ببانا بباءين موحدتين ثانيتهما مشددة، ونون بعد الألف، الشيء قيل هي لغة يمنية.

3 – أي عظم وجل.

4 – الإسرائيليات والموضوعات في كتاب التفسير، ص46.

5 – سورة البقرة، الآية رقم 248.

ومنها البرهان والدليل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾[1].

ومنها العبرة والعظة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، والمناسبة بين هذه المعاني والآية من القرآن الكريم – (وهي المعنى الاصطلاحي للآية)– ظاهرة، إذ الآية القرآنية علامة على صدق من أنزلت إليه ﷺ، وعلى وجود من أنزلها سبحانه وتعالى وعلى وصفه بصفات الكمال، وهي معجزة للعرب[3]، عن أن يأتوا بمثلها، وهي دليل وبرهان على ما جاء به القرآن من هداية وأحكام وحِكم، وهي أيضاً عظة وعبرة لمن أراد أن يتعظ ويعتبر.

6– معنى الآية في الاصطلاح

وهي مقدار من القرآن مركب من جمل أو جملة ولو تقديراً أو إلحاقاً، ذو مبدإ ونهاية، مندرج في سورة فدخل بقيد ولو تقديراً الآية المشتملة على كلمة واحدة لفظاً، وهي أكثر تقديراً، مثل قوله تعالى: ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ إذ التقدير/ هما مدهامتان وبقيد الإلحاق، الحروف الهجائية المفردة في أوائل السور المعدود أكثرها آيات مثل: ألمص (ألم) يس، وتسمية هذه الأجزاء من السورةآيةمن مبتكرات القرآن الكريم ومن خصوصياته،قال تعالى: ﴿ الَركِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[4]، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾[5].

---

1 – سورة الروم، الآية رقم 22.

2 – سورة الشعراء، الآية رقم 67.

3 – أي بالانضمام إلى غيرها من أخواتها.

4 – الآية رقم 1 من سورة هود عليه السلام.

5 – لآية 29 من سورة ص.

وأما الطريق إلى معرفة الآيات وتحديد مبدئها ونهايتها فهو مقصور على التوقيف والنقل عن النبي ﷺ عن جبريل عن رب العزة سبحانه وتعالى إجماعاً، لما روي في الصحيح عن النبي ﷺ: إن فاتحة الكتاب السبع المثاني[1]، وعن محمد بن السائب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت آخر آية وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ.. ﴾، الآية، قال جبريل للنبي ﷺ: ضعها في رأس ثمانين ومائتين من سورة البقرة[2].

إلى غير ذلك من الروايات، ولا يرد على ما قلت من الإجماع اختلاف بعض الرواة في عدد آيات بعض السور لأن كل راوٍ قال بما سمع من النبي ﷺ.

ولعل السبب في الاختلاف هو أن النبي ﷺ كان حين يقرأ ويقف عند رؤوس الآي للتعليم، حتى إذا عُلم ذلك منه وصل لإتمام المعنى، فيظن بعض السامعين رأس آية ليس رأس آية فيعدها مع ما بعدها آية واحدة، بينما يعرف آخرون أنهما آيتان فيختلف العدد حينئذ وحمله بعض العلماء[3] على التخيير منه ﷺ.

وأجمع العلماء والعدادون على أن عدد آيات القرآن تبلغ ستة آلاف آية واختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد ومنهم من زاد، فقيل ومائتين وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، وقيل: وخمساً وعشرين، وقيل: وستاً وثلاثين[4]، وسبب الاختلاف واضح مما تقدم.

---

1 - التحرير والتنوير، جـ1، ص68.

2 - المصدر السابق نفسه.

3 - التحرير والتنوير، جـ1، ص68.

4 - الإتقان للسيوطي، جـ1، ص189.

7- حكم ترتيب الآيات في سورها

وأما ترتيب الآيات في سورها ووضع بعضها إثر بعض، فهو بتوقيف وإرشاد من النبي ﷺ حسب نزول الوحي من الله تعالى، وكان القرآن حين نزوله يشتمل النجم الواحد منه على عدد من الآيات أو سورة بأكملها أحياناً، والذي ينبغي أن يعلم أن الترتيب بين الآيات مما يدخل في إعجاز القرآن الذي هو من الأوصاف اللازمة له، بحيث لو غيّر إلى ترتيب آخر لنزل النظم عن حد الإعجاز، فمن أجل هذا كان الأصل في الآي أن يكون بين كل آية ولاحقتها تناسب في الغرض أو في الانتقال منه إلى غيره، قال الإمام بدر الدين الزركشي: قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال لا تطلب للآي الكريمة مناسبة والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم[1].

ومن الأدلة على أن ترتيب الآيات توقيفي، ما نقله السيوطي في الإتقان، وفيما يلي نصه: قال رحمه الله: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، أما الإجماع فقد نقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر ابن الزبير في مناسباته، وأما النصوص، فمنها:-

أ. حديث ابن عباس الذي رواه الإمام أحمد وغيره المذكور في ترتيب السور، وفيه ضعوا هذه الآيات في السور التي يذكر فيها كذا وكذا.

ب. ما رواه مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء[2].

---

1 – الإتقان في علوم القرآن، جـ2، ص108.

2 – آية 176 من سورة النساء.

ج. ومنها ما أخرجه الإمام أحمد بسند حسن عن عثمان بن أبي العاص، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال أتاني جبريل فأخبرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ إلى آخرها[1].

ثم قال: ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً ما ثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة ختمها، كسور البقرة وآل عمران والنساء في حديث حذيفة، ثم ذكر ما يقرب من خمس عشرة سورة في روايات مختلفة[2]، وبين أدلة أخرى غير هذه اكتفيت عنها بما ذكرت تجنباً للإطالة، والله أعلم.

8- الحكمة من تجزئة سور القرآن إلى آيات متعددة.

ذكر العلماء لهذه التجزئة حِكماً كثيرة وفوائد عدة، نجملها فيما يلي:-

أ – العلم بأن كل ثلاث آيات يمكن التحدي والإعجاز بها، وذلك لأن آيات التحدي نصّت على أنه لا يمكن الإتيان بسورة من مثله وهي صادقة بأقصر سورة من القرآن، وهن ثلاث آيات كالكوثر، فعلمنا من هذا أن كل ثلاث آيات من القرآن معجزة دالة على أنها من عند الله تعالى.

ب– جواز الوقف وحسنه على رؤوس الآي، كما يفعل رسول الله ﷺ.

جـ– ما قاله السيوطي من أنه يترتب على معرفة الآي وعدّها وفواصله أحكام فقهية، نجملها فيما يلي:-

1- اعتبارها لمن جهل الفاتحة، فإنه يجب عليه، عند الشافعي، بدلها سبع آيات.

---

1 – سورة النحل، الآية رقم 90.

2 – الإتقان، جـ1، ص60-61.

2- اعتبارها في خطبة الجمعة، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة من القرآن ولا يكفي شطرها إلا أن تكون طويلة.

3- ومنها اعتبار الآيات فيما يقرأ من القرآن بعد الفاتحة في الصلاة، فقد ذكر العلماء أنه يكفي بدل السورة بعد أم القرآن ثلاث آيات.

4- اعتبرها النبي ﷺ في قيام الليل بقراءة القرآن، فقد روي أنه ﷺ ذكر مراتب ودرجات لمن قرأ فيه بأعداد معينة من آيات الذكر الحكيم، كل قارئ ينال من الأجر والثواب عند الله تعالى بقدر قراءته من الآيات[1]، والله أعلم.

وصلّ اللهم وبارِك وسلّم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

[1] – الإتقان للسيوطي، جـ2، ص69.

الأســئلة

س1- ما مدى أهمية معرفة السور والآيات من القرآن؟ ولماذا أولاها العلماء اهتمامهم؟ ثم أذكر معنى السورة في الاصطلاح؟ وبين المعاني التي تطلق عليها في اللغة مبيناً صلة هذه المعاني بالمعنى الاصطلاحي؟

س2- ما الحكمة من تسوير القرآن وتجزئة سوره إلى آيات متعددة؟ وما حكم ترتيب السور في المصاحف العثمانية هل هو توقيفي أو اجتهادي؟ مبيناً آراء العلماء في هذه المسألة ومن قال بكل رأي منها مبيناً الراجح من هذه الآراء ودليله؟

س3- بين معنى الآية في اللغة وفي الاصطلاح؟ وما الطريق الموصل إلى معرفة الآيات؟ واذكر عدد آيات القرآن وخلاف العدادين فيه مبيناً السر في هذا الاختلاف؟

س4- ما حكم ترتيب الآيات في السور القرآنية؟ هل هو اجتهادي أو توقيفي مستدلاً لما تذكر بعدد من الأدلة؟

س5- اذكر الحكمة من تجزئة السور إلى آيات، مبيناً ما يدل لها من روايات وأقوال للعلماء.

المبحث السابع

القراءات والقراء

تمهيد في أهمية المبحث، ومجمل نقاطه:-

البحث في قراءات القرآن وقرائه من المباحث المهمة القيمة المفيدة لأنها تدل وتعين على إتقان تلاوة القرآن وحفظه وتدبره وفهمه وتفسيره، وذلك لشدة تعلق اختلاف القراءات بالتفسير، وعلى الخصوص في حالة اختلافها في حروف الكلمات[1] مثل: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، و ﴿مَـٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وننشرها وننشزها وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الكلمة، وهو مثل الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[2]، قرأ نافع بضم الصاد وقرأ حمزة بكسره فالمعنى في الأولى يصدون غيرهم عن الإيمان، وفي الثانية بمعنى صدودهم في أنفسهم وكلا المعنيين حاصل منهم وهي من هذه الجهة (أو الجهتين) لها مزيد تعلق بالتفسير لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى.

لهذا ونحوه أهتم العلماء بالقراءات وأولوها عنايتهم منذ نشأتها في عصر التابعين وأتباعهم في الوقت الذي انتشرت فيه علوم القرآن المختلفة ومن بينها علم القراءات الذي نما وتطور فيما بعد عبر العصور وألفت فيه الكتب العديدة[3] التي يصعب حصرها وذكرها في هذه العجالة لذا فإنني سأقصر بحثي في نقاط معينة أحسب أنها تفيد دارس علوم القرآن وتعينه في فهم كثير من المباحث ذات الصلة الوثيقة بهذا العلم، وفيما يلي إجمال للنقاط التي سأتناولها:-

---

[1] - ومثله الاختلاف في الكلمات بل هو أولى مثل كلمة من في قوله تعالى: ﴿ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ في الآية 100 من سورة التوبة، فإنها في قراءة تحتها بدون من.

[2] - الآية 57 من سورة الزخرف، انظر التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ1، ص49.

[3] - أول من ألف في علم القراءات أبو عبيدة القاسم ابن سلام المتوفي سنة 224 هـ، وأبو حاتم السجستاني المتوفي سنة 248 هـ، وابن جرير الطبري المتوفي سنة 310 هـ.

1- تعريف القراءة لغة واصطلاحاً – وكيف نشأت القراءات، وبيان الحكمة من تعددها واختلافها.

2- ما يقبل وما يرد من القراءات وضابط القراءة الصحيحة وشرطها.

3- أعداد القراءات.

4- أنواع القراءات باعتبار السند.

5- القراءة الشاذة – معناها – وحكم القراءة بها.

6- القراءات والروايات التي استمرت القراءة بها في العصر الحاضر.

7- طبقات القراء من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

8- القراء العشرة ورواهم، نبذة تاريخية عن كل واحد منهم.

9- خاتمة المبحث في حكم المفاضلة بين القراءات.

وفيما يلي تفصيل هذه النقاط:-

أولاً- تعريف القراءة لغة واصطلاحاً وكيف نشأت القراءات؟

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي من قرأ[1]، تقول قرأ يقرأ قراءة.

والمراد بها في الاصطلاح: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة قراء القرآن مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه[2].

---

[1] – مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، جـ1، ص412.

[2] – مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، جـ1، ص412.

والمخالفة يقصد بها اختلاف في كيفية نطق الحروف وهيئاتها وأصله اختلاف في اللهجات ويعبر عنه بطرق الأداء من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة وإشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف إلى غير ذلك من صفات الحروف المذكورة في علم التجويد[1].

وهذه اللهجات كلها نزل بها جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ فأقرأه إياها ووصلت إلى القراء بالسند المتصل عن طريق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد كان الواحد منهم إذا أخذ كيفية في النطق مخالفة لما أخذه الآخر عن رسول الله ﷺ وسمعه يقرأ أنكر عليه واحتكما إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، فأقر كلاً على قراءته التي قرأها وأعلن أنها مطابقة لما أنزل[2]، كما تقدم في مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف في رواية البخاري.

كيف نشأت القراءات؟ وما الحكمة في تعددها واختلافها؟

أكد العلماء وقرروا أن العمدة والمعول عليه في نقل القرآن وحفظه هو التلقي والأخذ مشافهة بالسماع من الثقاة ثقة عن ثقة وإمام عن إمام، حتى الوصول إلى رسول الله ﷺ فقد روى عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أنه قال: (القراءة سنة متبعة)، ثم إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد اختلف أخذهم عن رسول الله ﷺ فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد ثم تفرقوا في البلاد.. فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ أتباع التابعين عن التابعين، وهلم جراً حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءة

---

[1] – انظر البرهان في تجويد القرآن، ص39، وقارن بمباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص173.

[2] – اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص97.

يضبطونها ويُعنَون بها، وينشرونها كما يأتي هذا هو منشأ القراءات واختلافها[1]، وهو اختلاف في حدود السبعة الأحرف التي نزل عليها القرآن كلها من عند الله[2].

وهي أيضاً مبنية في الأصل وراجعة إلى ما كان عليه العرب وقت نزول القرآن من اختلاف في اللهجات العربية وفي كيفية النطق ببعض الحروف، ومنها الحروف التي نزل عليها القرآن.

الحكمة في تعدد القراءات واختلافها؟

من هنا ومما تقدم في مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف الذي ورد في الأحاديث الصحيحة يمكننا أن نقول: إن تعدد القراءات فضل من الله تعالى على الأمة العربية، وتيسير عليها فإن الأمة العربية كانت قبائل وشعوباً تختلف في اللهجات وطريقة الأداء، كما تقدم فلو أمرت كلها بقراءة واحدة لشق ذلك على غير الناطقين بتلك اللهجة، ومنها توضيح الحكم المقصود كما في قراءة زيادة مِنْ أمٍ في قوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ من أمٍ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ هذه القراءة تبين أن المراد من الأخ والأخت في هذا الحكم الإخـــوة من الأم دون الأشقاء أو لأب وهذا الحكم مجمع عليه[3]، وأيضاً في اختلاف القراءات في اللفظ القرآني تكثير للمعاني في الآية الواحدة نحو قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ﴾[4]، بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة في قراءة، وبسكون الطاء، وضم الهاء مخففة في قراءة أخرى، ونحو قوله تعالى: ﴿أَوْ

---

[1] – هذا الاختلاف في الواقع يرجع إلى أمور يسيرة بالنسبة إلى مواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم لأصحاب الشأن، انظر المناهل، جـ1، ص413.

[2] – نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

[3] – انظر اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص99.

[4] – الآية 222، من سورة البقرة.

﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاء﴾[1]، وفي أخرى أو لمستم النساء هذا مع العلم بأن الوحي نزل بالوجهين أو الوجوه، وفي هذا تكثير للمعاني في الآية الواحدة، قال الشيخ (محمد الطاهر ابن عاشور) معلقاً على هذه الحكمة: "ولا مانع من أن يكون مجيء القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى ليقرأ القراء بها فتكثر من جراء ذلك المعاني"[2].

وقال الشيخ (الزرقاني) بعد ما ذكر نحو ما تقدم: "أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على أن القرآن كلام الله تعالى".

وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء ولا تضاد فيه بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضاً ويبين بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف، ولا ريب أن ذلك أدل على صدق محمد ﷺ[3].

<u>وفيما يلي ملخص لهذه الحكم في نقاط موجزة:-</u>

1. التخفيف عن الأمة وتسهيل القراءة عليها.
2. إظهار فضلها وشرفها على الأمم إذ لم ينزل كتاب غير القرآن إلا على وجه واحد[4].
3. بيان ما يحتمل أن يكون مجملاً في قراءة وفي أخرى يتبين المراد منه وتفسيره.

---

[1] - الآية 43، من سورة النساء.
[2] - مقدمة التحرير والتنوير، جـ1، ص49، والبرهان للزركشي، جـ1، ص326.
[3] - مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص149.
[4] - الإتقان في علوم القرآن، جـ1، ص227.

4. الدلالة على إعجاز القرآن في إيجازه حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ.

5. الدلالة على صيانة القرآن وحفظه من التحريف والتبديل مع كثرة الوجوه في قراءته[1].

ثانياً:- ما يقبل وما يرد من القراءات وضابط القراءة الصحيحة وشرطها

أما الضابط فهو ما قرره العلماء لمعرفة القراءة الصحيحة، فقالوا: "كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، ووافقت العربية ولو بوجه وصح إسنادها إلى رسول الله ﷺ فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أو عن غيرهم بل هي من الحروف السبعة التي نزل بها القرآن"[2].

شرح الضابط وبيان المراد به:-

أما قولهم وافقت أحد المصاحف العثمانية فالمراد به أن تكون القراءة ثابتة في بعضها وليس من الضروري أن تكون في جميعها وذلك كقراءة ابن عامر وبالزبر وبالكتاب المنير[3]، بزيادة الباء في الاسمين فإنها ثابتة في المصحف الشامي والشام بلد ابن عامر كما سيأتي.

[1] - مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص181.

[2] - مناهل العرفان، جـ1، ص418، واللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص105.

[3] - الآية 25، من سورة فاطر.

وكقراءة ابن كثير: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ ﴾[1]، بزيادة من لثبوتها في المصحف المكي[2]، ومكة بلد ابن كثير.

والمراد من قولهم في الضابط: ولو تقديراً أنه يكفي في القراءة أن توافق رسم المصحف ولو موافقة غير صريحة كقوله تعالى: ﴿ مَـــالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فإن لفظ مالك في جميع المصاحف بدون ألف بعد الميم فإن قراءة الحذف توافق تحقيقاً كما كتبت في ملك الناس، وأما قراءة إثبات الألف فإنها توافقه تقديراً كما كتبت في مالك الملك، فتكون الألف حذفت من ملك يوم الدين اختصاراً[3].

وقولهم: " وافقت العربية ولو بوجه" يريدون به وجهاً من وجوه قواعد اللغة سواء أكان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة شائعة تلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح[4]، مثل قراءة أبي عمرو بارئْكم[5] بإسكان الهمزة ويأمرْكم[6] بإسكان الراء فقد أنكرها سيبويه مع أنها أصح في النقل وأكثر في الأداء، والرواية إذا ثبتت عندهم لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها بالإسناد لا بالرأي[7].

وقولهم: (وصح إسناده) يريدون به أن يروى تلك القراءة عدل ضابط عن مثله، وهكذا إلى رسول الله ﷺ من غير شذوذ ولا علة قادحة.

---

1 – آية 100 من سورة التوبة.

2 – انظر الإتقان للسيوطي، جـ1، ص211-212.

3 – مناهل العرفان، جـ1، ص419، والإتقان للسيوطي، جـ1، ص212.

4 – قال الزرقاني: هذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية، جـ1، ص422.

5 – في قوله تعالى: ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾، الآية 54 من سورة البقرة.

6 – في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾، الآية 67 من سورة البقرة.

7 – نقله الزرقاني عن أبي عمرو الداني في كتابه جامع البيان والسيوطي في الإتقان، جـ1، ص211.

منطوق الضابط ومفهومه:-

قال الزرقاني بعد ذكر هذا الضابط وشرحه: يدل هذا الضابط بمنطوقه على أن كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة يحكم بقبولها بل قد حكموا بكفر من جحدها، سواء أكانت تلك القراءة مروية عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.

ويدل هذا الضابط بمفهومه على أن كل قراءة لم تتوفر فيها هذه الأركان الثلاثة يُحكم بعدم قبولها وبعدم كفر من يجحدها، سواء أكانت هذه القراءة مروية عن الأئمة السبعة أم عن غيرهم ولو كان أكبر منهم مقاماً وأعظم شأناً هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، كما صرح به الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة وناهيك بهؤلاء الأربعة[1].

ومن دلالة الضابط هذه بمنطوقه ومفهومه يمكن أن ندرك ونعلم ما يقبل وما يرد من القراءات.

وها هنا مسألة أحب أن أنبه عليها وهي تتعلق بحكم ما يذكره بعض المفسرين من القراءة التي ينسبونها إلى رسول الله ﷺ، وهو أنها تعتبر غير داخلة في القراءات المتواترة المقبولة على الرغم من صحة سندها إلى الرسول ﷺ لفقدها شرط التواتر، قال الشيخ ابن عاشور: (وقد تروى قراءات عن النبي ﷺ بأسانيد صحيحة في كتب الصحيح مثل صحيح البخاري ومسلم وأضرابهما إلا أنها لا يجوز لغير من سمعها من النبي ﷺ القراءة بها لأنها غير متواترة النقل ... وقد اصطلح المفسرون أن يطلقوا عليها قراءة النبي ﷺ لأنها غير منتسبة إلى أحد من أئمة الرواية في القراءات ويكثر ذكر هذا العنوان في تفسير محمد بن جرير الطبري، والكشاف وتفسير ابن عطية.. ثم يقول: فلا تحسبوا أنهم أفردوا بنسبتها إلى النبي

[1] – مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص423؛ الإتقان للسيوطي، جـ1، ص213.

ﷺ لأنها وحدها المأثورة عنه ولا ترجيحها على القراءات المشهورة لأن القراءات قد رويت عن النبي ﷺ بأسانيد أقوى وهي متواترة .. فلا ينبغي إطلاق وصف قراءة النبي ﷺ لأنه يوهم من ليس من أهل الفهم الصحيح أن غيرها لم يقرأ به النبي ﷺ[1] وهذا الوهم غير صحيح ومخالف للواقع.

شرط القراءة الصحيحة:-

وأما شرط القراءة الصحيحة المقبولة فهو التواتر وهي أن يرويها جمع يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم حتى إلى رسول الله ﷺ، وهذا الشرط حاصل ومتوفر في كل القراءات الموافقة لرسم المصاحف العثمانية المجمع عليه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، قال الشيخ الزرقاني، مبيناً سبب الاكتفاء في الضابط بصحة السند وأن التواتر لا بد من اشتراطه أيضاً: وإنما اكتفي القراء في ضابط القراءة بصحة الإسناد مع الركنين الآخرين و لم يشترطوا التواتر مع أنه لا بد منه في تحقق القرآنية.. ثم يبين أن هذه الأركان تكاد تكون مساوية للتواتر في إفادة العلم القاطع بقبول القراءة لأن ما بين دفتي المصحف متواتر مجمع عليه من الأمة في أفضل عهودها وهو عهد الصحابة[2].

وجاء في مقدمة كتاب حجة القراءات لأبي زرعة أن مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أن التواتر شرط في صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر[3].

---

1 – مقدمة التحرير والتنوير للشيخ بن عاشور، جـ1، ص 48-49.

2 – مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص427.

3 – نقله الشيخ سعيد الأفغاني عن غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي انتهى من المقدمة المذكورة، ص13، وأبو زرعة هو عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، توفي سنة 403، الأعلام، جـ3، ص325 .

ثالثاً:- أعداد القراءات

اشتهرت عبارات تحمل أعداداً من القراءات مثل السبعة والعشرة، وغيرها فقيل: القراءات السبع والقراءات العشر، والقراءات الأربع عشرة، غير أن أحظى هذه العبارات بالقبول وأشهرها عند العامة والخاصة القراءات السبع[1]، وهي المنسوبة إلى الأئمة السبعة المشهورين وهم: (نافع وابن كثير وعاصم وحمزة وابن عامر وأبو عمرو والكسائي) ويليها في الشهرة القراءات العشر وهي قراءات هؤلاء بإضافة قراءة كل من: (أبي جعفر ويعقوب وخلف)، وأما الأربع الزائدة على العشرة فقد اعتبرها العلماء شاذة كما سيأتي بيان هذا وتوضيحه.

هذا مع العلم بأن القراءات على العموم ظلت طوال القرنين الأول والثاني ومعظم القرن الثالث من الهجرة غير محدودة العدد ولم تعرف عبارة القراءات السبع إلا في أواخر القرن الثالث الهجري على يد الإمام ابن مجاهد[2] الذي اختار في أواخر القرن الثالث الهجري قراءات الأئمة السبعة، ممن اشتهرت قراءاتهم واشتهروا في الأمصار الإسلامية[3]، طبقاً للعهد الذي أخذه على نفسه بأن يكون القارئ المختار مشهوراً بالثقة والأمانة وطول العمر مع ملازمة الاتفاق في الأخذ عنه فاختار هؤلاء السبعة من الحرمين والعراقين والشام[4].

---

[1] - وهي غير الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وما توهمه البعض من أنها هي فهو باطل لا أصل له، انظر التحرير والتنوير، جـ1، ص43.

[2] - ابن مجاهد هو: أبو بكر محمد بن موسى بن العباس كان شيخ القراءة في زمانه في بغداد، توفي سنة 324 هـ.

[3] - مثل قراءة نافع اشتهرت في المدينة وقراءة ابن كثير في مكة، وقراءة عاصم وحمزة بالكوفة وابن عامر بالشام وقراءة كل من أبي عمر ويعقوب بالبصرة وغيرها.

[4] - انظر البرهان للزركشي، جـ1، ص329.

سبب الاقتصار على السبع:-

لعل السبب في الاقتصار على السبع هو مراعاة التناسب بين عدد القراء وعدد المصاحف العثمانية كما قال الإمام مكي بن أبي طالب[1]: والسبب في اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم أن عثمان رضي الله تعالى عنه لما كتب المصاحف ووجهها إلى الأمصار، وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيري العدد فأراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم قد طال عمره واشتهر أمره وأجمع أهل مصر على عدالته فأفردوا من كل مصر وَجَّه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المصر[2].

رابعاً:- أنواع القراءات من حيث السند

ذكر الإمام السيوطي في إتقانه نقلاً عن أبي الخير ابن الجزري[3] أنواع القراءات وفيما يلي ملخص لهذه الأنواع مع التمثيل لها:-

النوع الأول:-

المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك[4]، ومثاله: ما اتفقت الطرق على نقله عن السبعة.

---

1 - هو الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني، سمع بمكة ومصر والأندلس، وقرأ على ابن غلبون، توفي في سنة 394 هـ.

2 - البرهان للزركشي، جـ1، ص329.

3 - ابن الجزري هو: أبو الخير محمد بن محمد شمس الدين الشهير بابن الجزري شيخ القراء في زمانه من أشهر كتبه النشر في القراءات العشر، توفى سنة 833 الأعلام، جـ3، 978 هـ.

4 - هذا الغالب يدخل فيه القراءات العشر كما سيأتي.

النوع الثاني:-

المشهور وهو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا إلى منتهاه ووافق العربية ورسم أحد المصاحف العثمانية سواء أكان عن الأئمة السبعة أم العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط أو الشذوذ و لم يبلغ درجة التواتر مثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، وهذان النوعان هما اللذان يقرأ بهما مع اعتقادهما ولا يجوز إنكار شيء منهما كما تقدم التنويه قريباً.

النوع الثالث:-

الآحاد وهو ما صح سنده وخالف رسم المصاحف العثمانية أو خالف العربية و لم يشتهر الاشتهار المذكور في النوع السابق حكمه وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده وأنه يصح الاستشهاد به في الأحكام وفي اللغة مثاله: ما أخرجه الحاكم عن عاصم الجحدري بسنده عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قرأ: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفَارِفَ خُضْرٍ وَعَبَاقَرِيَّ حِسَانٍ ﴾[1]، ومنه قراءة قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفَسِكُمْ ﴾[2]، بفتح الفاء.

النوع الرابع:-

الشاذ وهو ما لم يصح سنده كقراءة ابن السميقع فاليوم ننحيك ببدنك[3]، بالحاء المهملة في قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾، بفتح اللام في خلفك.

---

1 - الآية 76 من سورة الرحمن.
2 - الآية 128 من سورة التوبة.
3 - الآية 92 من سورة يونس.

النوع الخامس:-

الموضوع وهو ما ينسب إلى قائله من غير أصل مثاله: القراءة التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي، ونسبها إلى أبي حنيفة كقراءة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ﴾[1]، برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء.

النوع السادس:-

ما يشبه المدرج عند المحدثين وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبي وقاص، قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ من أم﴾[2]، بزيادة لفظ (من أم)، وكقراءة قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ في مواسم الحج﴾[3]، بزيادة لفظ (في مواسم الحج).

هذه هي أنواع القراءات باعتبار السند وهي تختلف من حيث الصحة والقبول باختلاف أسانيدها.

أما النوع الأول فهو صحيح مقبول لتواتره، وأما الثاني الموصوف بالشهرة فهو أيضاً مقبول وصحيح يلي الأول فيهما.

ومن هنا وبالنظر إلى الضابط السابق يمكن القول: إن القراءات السبع داخلة في النوع الأول ومثلها الثلاث المتممة للعشر.

وأما بقية الأنواع عدا الأول والثاني فهي عارية عن التواتر والشهرة والصحة، لذا فهي لا يقرأ بها وهي إما شاذة وإما باطلة، والله أعلم.

---

[1] - الآية 28 من سورة فاطر.
[2] - الآية 12 من سورة النساء.
[3] - الآية 198 من سورة البقرة.

القراءات العشر كلها متواترة:-

القراءات السبع والثلاث المتممة للعشر، قد صرح عدد من العلماء بتواترها كلها، وفيما يلي نصوص منقولة عنهم أو منسوبة إليهم:-

1. قال الزركشي في البرهان: "ثم ها هنا أمور أحدها أن القراءات السبع متواترة عند الجمهور[1].

2. وجاء في الإتقان للسيوطي ما نصه: "القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي[2]، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه مترل على رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل"[3].

3. يقول الإمام ابن الجزري[4] في كتابه منجد المقرئين ما نصه: "الفصل الثاني في أن القراءات العشر متواترة فرشاً[5] وأصولاً حال اجتماعهم وافتراقهم[6].

4. وقال الشيخ محمد عبد العظيم الــزرقاني: والتحقيــق الذي يــؤيده الدليل هو: أن القراءات العشركلها متواترة وهو رأي المحققين من الأصوليين والقراءكابن السبكي

---

1 - البرهان في علوم القرآن، جــ1، ص318.

2- الشاطبي، هو: أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني إمام في القراءات وكان ضريراً، وهو صاحب الشاطبية القصيدة المشهورة في القراءات السبع، ولد بالأندلس سنة 538 هــ وتوفي بالقاهرة سنة 590 هــ، الأعلام، جــ 5، ص180.

3 - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جــ1، ص226.

4 - تقدم التعريف به.

5 - يراد بالفرش الجزئيات التي يقع الخلاف في قراءتها ولا يقاس عليها، وبالأصول الكليات التي تندرج تحتها جميع الجزئيات المتماثلة كقواعد المد والهمز والإمالة، انتهى من المناهل، جــ1، هامش ص441.

6 - المصدر السابق، ونفس الصفحة.

وابن الجزري والنويري، بل هو رأي أبي شامة[1]، في نقل آخر صححه الناقلون عنه[2].

5. وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: قال أبو بكر بن العربي في كتاب العواصم اتفق الأئمة على أن القراءات التي لا تخالف الألفاظ التي كتبت في مصحف عثمان[3] هي متواترة وأن اختلفت في وجوه الأداء وكيفيات النطق ومعنى ذلك أن تواترها تبع لتواتر صورة كتابة المصحف[4].

خامساً:- القراءات الشاذة، معناها وحكم القراءة بها

1- تعـــريفـــها

هي: ما تخلف فيها قيد موافقة رسم المصاحف العثمانية ولو وافقت العربية وصح سندها، وقيل: بل هي، ما فقد التواتر في سندها[5]، أو هي ما دون العشرة المحكوم بتواترها.

2- حكم القراءة بها

اتفق العلماء من المذاهب الأربعة المشهورة على أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن بالقراءات الشاذة في الصلاة، وفيما يلي نصوص من أقوال العلماء مؤيدة لهذا الحكم:-

---

1 - هو الفقيه عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، له كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز وشرح للشاطبية، وتوفي سنة 665 هـ.

2 - مناهل العرفان، جـ1، ص441.

3 - هذا الوصف الذي ذكره ابن العربي ثابت ومقرر لجميع القراءات العشر.

4 - مقدمة التحرير والتنوير للشيخ محمد بن عاشور، جـ1، ص54.

5 - مقدمة كتاب حجة القراءات لأبي زرعة، ص14.

- قال الإمام النووي من الشافعية: لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة لأنها ليست قرآناً لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والقراءة الشاذة ليست متواترة ومن قال غيره فغالط أو جاهل[1].
- وقال شيخ المالكية[2] رحمه الله: لا يجوز أن يقرأ – القرآن – بالقراءة الشاذة في صلاة ولا غيرها عالماً بالعربية كان أو جاهلاً، وإذا قرأها قارئ فإن كان جاهلاً بالتحريم عُرف به وأمر بتركها، وإن كان عالماً أدب[3]، وفي التمهيد لابن عبد البر: قال مالك: إن من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود أو غيره من الصحابة مما يخالف المصحف لم يُصَلِّ وراءه وعلماء الإسلام مجمعون على ذلك[4]، ويعني بالمصحف مصحف عثمان رضي الله عنه ونقل ابن عبد البر أيضاً إجماع المسلمين على أنه لا يجوز القراءة بالشواذ ولا يُصلى خلف من يقرأ بها[5].

حكم قراءة القرآن بالمعنى:–

نقل الزرقاني عن ابن الصلاح قوله: وأما القراءة بالمعنى من غير أن تنقل قرآناً فليس ذلك من القراءات الشاذة أصلاً والمجترئ على ذلك مجترئ على عظيم وضال ضلالاً بعيداً فيعزر ويمنع بالحبس ونحوه[6].

سادساً:– القراءات والروايات التي استمرت القراءة بها في العصر الحاضر

علمنا فيما تقدم أن القراءات السبع والثلاث المتممة للعشر كلها متواترة ويسوغ لكل مسلم أن يقرأ بها إلا أن الواقع والذي نجده في عصرنا الحاضر[1] في العالم الإسلامي

---

[1] – البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ1، ص333.
[2] – هو الإمام ابن الحاجب، كما في المناهل، جـ1، ص469.
[3] – البرهان للزركشي، جـ1، ص333.
[4] – مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص468.
[5] – البرهان في علوم القرآن، جـ1، ص333.
[6] – مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1، ص469.

بأجمعه فيما أعلم أن هذه القراءات العشر برواياتها العشرين لم يبق منها اليوم إلا أربع روايات عن ثلاثة من القراء يقرأ بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وهي كما يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: القراءات التي يقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام من هذه القراءات العشر المتواترة، هي:-

1. قراءة نافع برواية قالون في بعض القطر التونسي وبعض القطر المصري وفي ليبيا.
2. وقراءة نافع برواية ورش في بعض القطر التونسي وبعض القطر المصري وفي جميع القطر الجزائري، وجميع المغرب الأقصى وما يتبعه من البلاد والسودان.
3. قراءة عاصم برواية حفص عنه في جميع الشرق الإسلامي من العراق والشام وجزيرة العرب، وغالب البلاد المصرية والهند وباكستان وتركيا والأفغان، وفي أغلب دول العالم الإسلامي حتى بلغت نسبة المسلمين الذين يقرأون بهذه الرواية أكثر من 97% من المسلمين.
4. وبقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، برواية الدوري يقرأ بها أهل السوذان المجاور لمصر من الخرطوم إلى كسلا، وإلى شمال ارتيريا، إلى شرقي تشاد انتهى[2].

سابعاً:- طبقات القراء من الصحابة والتابعين وأتباعهم

القراء جميع قارئ وهو في اللغة اسم فاعل من قرأ يقرأ قراءة، ويطلق في الاصطلاح على إمام من الأئمة المعروفين الذين تنسب إليهم القراءات السابقة[3]، والمقرئ هو: من علم بالقراءات ورواها مشافهة عمن شُوفِه بها[4].

---

[1] - عام 2002 إفرنجي.

[2] - بتصرف من مقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور، ص57، وانظر مقال الشيخ صالح الحطماني بمجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 11، بتاريخ 1994ف.

[3] - مناهل العرفان، جـ1، ص457.

[4] - شرح الشاطبية للشيخ علي محمد الضباع، ص3.

وقد علم فيما سلف أسماء القراء العشرة أصحاب القراءات المجمع عليها وفي هذه الفقرة يحسن أن يعرف طالب علوم القرآن أسماء حفاظ القرآن عن ظهر قلب من الصحابة وأسماء من اشتهر منهم بالإقراء ومن التابعين منذ العصر النبوي، إلى العهد الذي تم فيه تدوين علم القراءات المختلفة فأقول وبالله التوفيق:-

أ) **الطبقة الأولى** من الصحابة قد اشتهر عدد من الصحابة بحفظ القرآن كله[1] عن ظهر قلب ذكر منهم الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام ثلاثة وعشرين (23) بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، وفيهم ثلاث من النساء منهم الخلفاء الأربعة والعبادلة الأربعة[2]، وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبيّ بن كعب وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء الأنصاري وسعد بن أبي وقاص وطلحة ابن عبيد الله، وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعبد الله بن السائب وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد ومجمع بن جارية وذكر من النساء عائشة وحفصة وأم سلمة أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عن جميعهم[3]، واستدرك الإمام السيوطي في إتقانه وزاد على أبي عبيدة آخرين أخذاً من روايات أخرى ذكرها في الاتقان، وهم معاذ بن جبل، وأبو أيوب الأنصاري، وعقبة بن عامر وتميم الداري، وقيس بن السكن المكي بأبي زيد، وسعد بن عبيد الأنصاري الخزرجي وزاد أيضاً امرأة وهي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الشهيدة[4]، وبناء على ما ذكره أبو عبيدة والسيوطي يكون عدد حفاظ القرآن

1- أما حفظ بعض السور أو الأجزاء فهو موجود عند عدد لا يحصى منهم.

2- وهم: عبد الله بن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وابن الزبير رضي الله عنهم.

3- مناهل العرفان، جـ1، ص414، ومباحث من علوم القرآن لمناع القطان، ص170، نقلاً عن الذهبي في طبقات القراء.

4- سماها النبي ﷺ الشهيدة وكان يزورها ويقول لصحابته انطلقوا بنا نزور الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن، أ . هـ، الإتقان، جـ1، ص204.

من الصحابة 33 ثلاثة وثلاثون من الرجال والنساء من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين، هذا مع العلم بأن أبا عبيدة قد صرح بأن بعض من ذكرهم إنما أكمل حفظ القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى[1].

هذا وقد اشتهر عدد من هؤلاء الصحابة وعرفوا بالقراء وهم الذين اهتموا بإقراء القرآن لأبناء المسلمين في ذلك العهد وهم ثمانية: عثمان وعلي وعمر وابن مسعود وأبيّ وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري[2] وهؤلاء الثمانية قد اتصلت بهم أسانيد القراء كما سيأتي، وحسب ما ذكره الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[3] وقال بعد ذكرهم: بعض الأسانيد ينتهي إلى جميع الثمانية وبعضها إلى بعضهم، هذه هي الطبقة الأولى من القراء والحفاظ الذين يرجع إليهم الفضل في المحافظة على كتاب الله تعالى، وقد نقله عنهم التابعون بالمشافهة والسماع وهي سنة متبعة في نقل القرآن إلى يوم الدين.

ب- طبقة القراء الثانية من التابعين وكانوا كثيري العدد في مختلف الأمصار الإسلامية.

- فكان منهم في المدينة المنورة: معاذ بن الحارث المعرف بمعاذ القارئ ت 63هـ وسعيد بن المسيب ت 64هـ، وعمر بن عبد العزيز ت 101 هـ، وعروة بن الزبير ت 103 هـ، وعطاء ابن يسار ت 103 هـ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ت 117 هـ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت 124 هـ، وغيرهم.

1- انظر مناهل العرفان، جـ1، ص414، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص170، نقلا عن الذهبي في طبقات القراء، والقرطبي، جـ1، ص57.

2- الإتقان في علوم القرآن، جـ1، ص202.

3- في التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ1، ص55.

- وفي مكة المكرمة كان منهم: عبيد بن عمير ت 74 هـ، ومجاهد بن جبر ت 103 هـ، وطاووس بن كيسان ت 106 هـ، وعطاء بن أبي رباح ت 115 هـ، وعبد الله بن أبي مليكة ت 117 هـ، وعكرمة مولى ابن عباس ت 200 هـ، وغيرهم.
- وفي الكوفة كان منهم: عمرو بن شرحبيل ت 60 هـ، وعلقمة بن قيس ت 62 هـ، ومسروق بن الأجدع ت 63 هـ، وعبيد بن عمرو السلماني ت 72 هـ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي ت 74 هـ، وسعيد بن جبير ت 95 هـ، وعامر الشعبي ت 105 هـ، وغيرهم.
- وفي البصرة كان منهم: أبو العالية زياد ابن مهران ت 90 هـ، ويحيى بن يَعْمُر ت 90 هـ، ونصر بن عاصم الليثي ت 100 هـ، والحسن البصري ت 110 هـ، وابن سيرين ت 110 هـ، وأبو عمرو بن العلاء ت 154 هـ، وعاصم الجحدري ت 128 هـ، وغيرهم.
- وفي الشام كان منهم المغيرة بن شهاب المخزومي ت 91 هـ، صاحب مصحف عثمان الذي بعثه به إلى الشام، وخُليد بن سعيد صاحب أبي الدرداء، وغيرهم[1].

جـ) الطبقة الثالثة: وبعد طبقة التابعين هذه جاءت بعدهم طبقة أتباع التابعين وفيهم بعض التابعين وهؤلاء هم الذين تفرغوا للقراءات فاعتنوا بضبطها وإتقانها أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدي بهم ويُرحل إليهم ويؤخذ عنهم كل ما يتعلق بها، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءاتهم بالقبول و لم يختلف عليهم فيها اثنان ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم[2] فكان الناس على رأس المائتين في المدينة على قراءة أبي جعفر ابن القعقاع وعلى

---

[1] - انظر مناهل العرفان، جـ1، ص415، والعدد 11 من مجلة كلية الدعوة الإسلامية من مقال للأستاذ صالح عطية الحطماني بتاريخ 1994 إفرنجي.

[2] - من تاريخ القرآن للشيخ إبراهيم الأبياري، ص136.

قراءة نافع، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالبصرة على قراءة أبي عمرو وخلف ويعقوب، وفي الكوفة على قراءة حمزة وعاصم والكسائي، وفي الشام على قراءة ابن عامر[1]، ولم تأخذ شهرة هذه القراءات العشر لهؤلاء القراء طريقها في التدوين حتى جاء عصر ابن مجاهد في نهاية القرن الثالث فألف كتاباً في القراءات السبع، فكان أول من خصها بالتدوين ثم جاء بعده بقرون ابن الجزري فألف كتابه النشر في القراءات العشر.

لماذا نسبت القراءات إلى هؤلاء القراء وما معناها؟

إنما نسبت القراءات إلى هؤلاء القراء لما تمتعوا به من جودة الحفظ وقوة الإتقان وحسن الضبط، فإذا ذكرت نسبت إليهم وإذا سميت قرنت بأسمائهم فيقال: مثلاً قراءة نافع وقراءة عاصم غير أن هذه النسبة إنما هي نسبة إضافة واختيار وليست نسبة إيجاد واختراع قال القرطبي في تفسيره: وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما رَوَي وعَلِم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة فرواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه فقيل حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه انتهى[2].

وفي الفقرة التالية تفصيل لهذا الإجمال.

---

[1] – انظر اللآلئ الحسان في علوم القرآن للشيخ موسى شاهين، ص103، والبرهان جـ1، ص329.

[2] – تفسير القرطبي، جـ1، ص46.

ثامناً:- القراء العشرة ورواتهم ونبذة تاريخية عن كل واحد منهم

علم من الفقرة السابقة أن القراء الذين تم اختيارهم واشتهروا عشرة ولكل واحد منهم راو أو راويان أو رواة رووا عنه القراءة بالسماع والمشافهة غير أن ابن مجاهد كما تقدم التنويه قد اقتصر في اختياره على روايين لكل قارئ من السبعة، وفعل مثله فيما بعد ابن الجزري فاختار روايين للقراء الثلاثة المتممين للعشرة هذا وقبل تفصيل القول عن القراء ورواتهم ينبغي أن أبين الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه.

فالقـــراءة:-

ما كان الخلاف فيها لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو الأربعة عشر أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطرق.

والروايـــة:-

ما كان الخلاف فيها للراوي عن الأمام واتفقت الطرق عنه.

والطريـــق:-

ما كان الخلاف فيه لمن بعد الراوي عن الإمام فنازلاً.

والوجـــه:-

هو الخلاف الراجع إلى تخيير القارئ فيه[1].

وفيما يلي أبين بالتفصيل القراء الذي اختاروا القراءات السبع والثلاث المتممة للعشر مرتبين حسب أقدميتهم فأقول وبالله التوفيق:-

---

[1] - اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص104.

أولاً:- القــراء السبــعة

1- أولهــم ابن عــامر

أ – نسبه وأصـــله وموطنه

هو عبد الله بن عامر اليحصبي نسبة إلى يحصب – فخذ من حمير باليمن- وكنيته أبو نعيم وقيل أبو عمران كان إمام مسجد دمشق وقاضيها وهو تابعي من كبار التابعين لقي واثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقيل إنه قرأ على عثمان بن عفان أيضاً[1]، وكان مولده سنة 21 هـــ، وتوفي سنة 118 هـــ، عن 87 سنة رحمه الله تعالى.

ب- مبلغه من العلم بالقراءات وثناء العلماء عليه

من مناقبه رحمه الله تعالى أنه تولى إمامة المسلمين بالجامع الأموي بدمشق في أيام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده وكان يأتم به وهو أمير المؤمنين وناهيك بذلك منقبة[2]، وتولى مشيخة الإقراء بدمشق وهي دار الخلافة ومحط رحال العلماء من التابعين ومن بعدهم.

ج- سنده في القراءة

أخذ القراءة من المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان بن عفان عن رسول الله ﷺ وأيضاً أخذ القراءة عرضاً عن الصحابي الجليل أبي الدرداء الأنصاري[3]، عن رسول الله ﷺ.

---

1 – انظر مناهل العرفان، جــ1، ص456.

2 – انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص82.

3 – انظر مقدمة كتاب حجة القراءات لأبي زرعة، ص56.

د- رواتـــــه

اشتهر عنه روايان وهما هشام وابن ذكوان، أما هشام فهو أبو الوليد هشام ابن نصير السلمي قاضي دمشق وخطيبها أخذ القراءة عن ابن عامر بواسطة عراك بن خالد المزي عن يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر رُوى عنه أنه كان يقول ما أعدت خطبة منذ عشرين سنة وكان مفتي أهل دمشق ومحدثهم ومقرئهم مع الثقة والضبط توفي رحمه الله تعالى سنة 245 هـــ، وكان مولده سنة 153 هـــ، فعمر 92 سنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة[1].

وأما ابن ذكوان فهو: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي، وكنيته أبو عمار أخذ القراءة عن ابن عامر بواسطة أيوب ابن تميم التميمي عن يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر، انتهت إليه مشيخة الإقراء بدمشق بعد أيوب التميمي قال عنه أبو زرعة الحافظ الدمشقي لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخرسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه[2]، توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة 242 هـ وكان مولده سنة 175 هـــ فعمر 69 سنة[3].

---

[1] - انظر مقدمة كتاب حجة القراءات لأبي زرعة، ص56.

[2] - انظر مناهل العرفان للزرقاني، جـــ1، ص457.

[3] - انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص 83.

2- ثانيهم ابن كثير

أ – نسبه وأصله وموطنه

هو أبو معبد عبد الله بن كثير ابن عمر بن زاذان الداري[1] القرشي بالولاء أصله فارسي تابعي جليل لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم.

ب- سنده

قرأ ابن كثير على عبد الله بن أبي السائب المخزومي وقرأ عبد الله هذا على أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وقرأ أبي وعمر على رسول الله ﷺ وروى أيضاً عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ.

ج – مبلغه من العلم بالقراءة وثناء العلماء عليه

كان ابن كثير إمام المسلمين في القراءة بمكة لا ينازعه منازع وكان فصيحاً بليغاً أبيض اللحية طويلاً أسمر عليه السكينة والوقار، قال أبو عمرو بن العلاء: ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد فكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد، توفي رحمه الله تعالى بمكة سنة 120 هـ وكان مولده سنة 45 هـ، فعمر 75 سنة[2].

د – راوياه: البزيّ وقنبل

أما البزيّ فهو: أبو الحسن أحمد بن عبد الله مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام وإمامه ومقريه، وهو فارسي الأصل أستاذ محقق ضابط متقن قرأ على عكرمة بن سليمان

---

[1] – نسبة إلى عبد الدار، وفي الأعلام، وكانت حرفته العطارة، ويسمون العطار داريا، ج4، ص115.

[2] – انظر مقدمة كتاب حجة القراءات لأبي زرعة، ص53 من المقدمة.

وقرأ عكرمة على شبل[1]، وقرأ شبل على ابن كثير، وروى عنه القراءة قنبل، ولد بمكة سنة 170 هـ وتوفي بها سنة 250 هـ، عن عمر بلغ 80 سنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة[2].

وأما قنبل فهو: أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن المخزومي بالولاء المكي وقنبل لقب له[3] شيخ القراء بالحجاز ورحل الناس من الأقطار للقراءة عليه، وكان إماماً في القراءمتقنا قرأ على أبي الحسن أحمد القواس عن أبي الأخيرط وقرأ الأخيرط على القسط وأخبره أنه قرأ على شبل وقرأ شبل على ابن كثير، توفي رحمه الله سنة 291 هـ، وكان مولده سنة 195 هـ، فعمر 96 سنة[4].

3- ثالثهم عاصـــم

أ – اسمه ونسبه وأصله هو

أبو بكر عاصم بن أبي النجود[5] بن بهدلة[6] الكوفي التابعي[7] مولى بني خزيمة بن مالك بن النظر، كان قد جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن.

---

1 – هو شبل بن عباد.
2 – انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص81.
3 – لقب به لشدته ويطلق في الأصل على الغلام الحاد الرأس الخفيف الروح، هـ مناهل العرفان، جـ1، ص458.
4 – انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص82.
5 – النجود بفتح النون وضم الجيم من نجدت الثياب إذا سويت بعضها على بعض.
6 – بهدلة لقب أبيه وقيل بل هو اسم أمه، البرهان جـ1، ص328.
7 – المصحف الشريف برواية حفص إصدار جمعية الدعوة الإسلامية، ص526، بالجماهيرية.

ب – سنده

قرأ عاصم وأخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي معلم الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ، وقرأ أبو عبد الرحمن على خمسة من الصحابة وهم عثمان وعلى وابن مسعود وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم وقرأ هؤلاء على رسول الله ﷺ، وقرأ عاصم أيضاً على زربن حبيش عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ[1].

ج– ثناء العلماء عليه قال عبد الله بن أحمد بن حنبل

سألت أبي عن عاصم فقال رجل صالح ثقة، وقال ابن عياش دخلت على عاصم وقد حضرته الوفاة فجعل يردد قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ ﴾[2]، توفي رحمه الله تعالى سنة 127 هـ بالكوفة.

د – راوياه حفص وشعبة وكلاهما بدون واسطة

أما حفص فهو: أبو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة البزار أخذ القراءة عن عاصم وتعلم القرآن خمساً خمساً كما يتعلمه الصبي، وكان رحمه الله عالماً عاملاً أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم فقد كان ربيبه ابن زوجته قال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة التي رُويت عن عاصم رواية حفص توفي رحمه الله تعالى سنة 180 هـ وكان مولده سنة 90 فعمر 90 تسعين سنة[3].

وأما شعبة فهو: أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي وشعبة اسمه وقيل محمد أخذ القراءة عن عاصم مباشرة، وكان إماماً عالماً كبيراً، ولما حضرته الوفاة بكت أخته، قال لها: ما يبكيك انظري إلى تلك الزاوية فقد ختمت فيها القرآن ثمانية عشر ألف ختمة،

---

1 – مناهل العرفان، جـ1، ص458.
2 – سورة الأنعام، الآية رقم 62.
3 – انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص84.

توفي رحمه الله تعالى سنة 193 هـ، وكان مولده سنة 95 هـ فعمر 98 ثمان وتسعين سنة[1].

4- رابعهم أبو عمرو بن العلاء

أ - نسبه وأصله وموطنه هو:

أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار البصري ولد بمكة سنة 70هـ، ونشأ بالبصرة وتوفي بالكوفة[2]، وكان من أعلم الناس بالقراءة والعربية مع الصدق والأمانة والثقة في الدين، روى عن سفيان بن عيينة أنه رأي رسول الله ﷺ في المنام فقال له: لقد اختلفت القراءات عليّ فبقراءة من تأمرني أن أقرأ؟ قال بقراءة أبي عمرو بن العلاء.

ب- سنده:

قرأ أبو عمرو على جماعة منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع التابعي والحسن البصري وقرأ الحسن عن أبي العالية وقرأ أبو العالية عن عمر ابن الخطاب وأبيّ ابن كعب رضي الله تعالى عنهما وهما عن رسول الله ﷺ، وروى أيضاً عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ وتوفى رحمه الله تعالى سنة 154 هـ عن 68 ثمان وستين سنة.

---

1 - انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص84.

2 - انظر الإعلام للزركلي، ج3، ص 41، وزبان بفتح الزاء والباء المددة .

ج- راوياه:

هما الدّوري والسوسي ولكن بواسطة اليزيدي أبي محمد يحيى بن المبارك العدوي المتوفى سنة 202 هـ الشهير باليزيدي نسبة إلى يزيد خال الخليفة المهدي لأنه كان يؤدب ولده [1].

أما الدوري فهو: أبو عمرو حفص بن عمر المقري الضرير الدوري [2] كان ثقة ضابطاً كبيراً إمام القراءة في عصره وشيخ الإقراء في وقته وأول من جمع القراءات توفي في شوال سنة 246 هـ.

وأما السوسي فهو: أبو شعيب صالح بن زياد السوسى [3] كان مقرئاً ضابطاً ثقة من أجل أصحاب البزيدي توفى سنة 261هـ وعمره 88 سنة فكان مولده سنة 173هـ رحمه الله تعالى.

5- خامسهم حمزة

أ) نسبه وأصله وموطنه هو:

أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي التيمي كان مولىً لعكرمة بن الربيع التيمي وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش وكان ثقة حجة قيماً بكتاب الله مجوداً له عارفاً بالعربية والفرائض حافظاً للحديث ورعاً خاشعاً عابداً ناسكاً زاهداً لم يكن له نظير في وقته [4] . وسماه شيخه الأعمش بحبر القرآن.

---

1 - مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 459.

2- الدورى نسبة إلى الدور موضع بالجانب الشرقي من بغداد.

3- السوسى نسبة إلى موضع بالأهواز يعرف بالسوس سابقا والآن يعرف بشوش.

4- انظر مناهل العرفان، ج1، ص 460. وتاريخ القرآن للزنجاني ص85، وفيه أن حمزة لقب بالزيات الكوفي لكونه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان والجبن والجوز منها إلى الكوفة .

ب) سنـــده:

قرأ حمزة على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش وقرأ الأعمش على أبي محمد يحيى بن وثاب الأسدي وقرأ يحيى على أبي شبل علقمة بن قيس، وقرأ علقمة على ابن مسعود عن رسول الله ﷺ ، وقرأ أيضاً ابن وثاب على زربن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي ﷺ [1] توفي بحلول سنة 156هـ عن 76 عاماً فقد ولد سنة 80هـ.

ج) راويـــاه:

المشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد لكن بواسطة أبي عيسى سليم بن عيسى الحنفي الكوفي المتوفى سنة 188 هـ.

أما خلف فهو: أبو محمد خلف بن هشام بن طالب البزاز حفظ القرآن وهو ابن عشرين سنة وطلب العلم وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وكان ثقة إماماً كبيراً زاهداً توفي سنة 229هـ وكان مولده سنة 150هـ فعمر 79 سنة رحمه الله تعالى.

وأما خلاد فهو: أبو عيسى خلاد بن خالد الصيرفي الأحول الشيباني مولاهم كان إماماً في القراءة ثقة عارفاً محققاً مجوداً قال الداني هو:

أضبط أصحاب سليم وأجلهم توفي سنة 220هـ بالكوفة [2].

6. سادســـهم نــافـــع

أ- نسبه وأصله وموطنه هو

أبو رؤيم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي المدني

1- مناهل العرفان، ج1، ص460 .

2- الأعلام للزركلي، ج3، ص 309 .

وهو القارئ الثاني بالمدينة[1]، وأصله من أصبهان[2]، وهو من الطبقة الثالثة بعد طبقة الصحابة والتابعين وكان أسود اللون شديد السواد[3]، حسن الخلق فيه دعابة وكان ثقة صالحاً مجاب الدعوة خاشعاً عالماً زاهداً إماماً في علوم القرآن والعربية أم الناس في مسجد الرسول ﷺ ستين سنة متبعاً لآثار الماضين من الأئمة وأقرأ الناس سبعين سنة ونيفا وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة وتمسك أهلها بقراءته وأجمع الناس عليه بعد شيخه أبي جعفر ابن القعقاع[4].

ب- فضله وثناء العلماء عليه وعلى قراءته

روى عن الإمام مالك أنه قال: قراءة أهل المدينة سنة فقيل له قراءة نافع؟ قال: نعم، وكانت قراءته أحب القراءات إلى الإمام أحمد بن حنبل، وقرأ عليه مائتان وخمسون رجلاً من مختلف الأمصار وكان رحمه الله إذا تكلم تُشم رائحة المسك من فيه فقيل له: أتتطيب كلما قعدت تقرئ الناس؟ فقال : ما أمس طيباً ولكني رأيت النبي ﷺ في المنام يقرأ في فمي فمن ذلك الوقت توجد فيه هذه الرائحة، وقرأ عليه الإمام مالك، وقرأ هو على الإمام الموطأ[5].

ج- ســـنـــده:

في القراءة: تلقى الإمام نافع القراءة عن سبعين من التابعين من بينهم أبو جعفر بن القعقاع

---

1 - والأول بها هو أبو جعفر ابن القعقاع.

2 - بفتح الهمزة والباء وقد تكسر وتقرأ بالفاء أيضا، وهي من أعظم بلاد الإسلام بعد بغداد انتهى من تهذيب الأسماء واللغات، ج 3، ص 18.

3 - انظر الطريق المأمون، ص 24. والإعلام ج8، ص5، وتاريخ القرآن للزنجاني، ص80. ووفيات الأعيان، ج5، ص368.

4 - الطريق المأمون إلى رواية قالون، ص24.

5 - الطريق المأمون إلى رواية قالون، ص24.

وشيبة بن نصاح القاضي[1] وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ويزيد بن رومان ومسلم بن جندب الهذلي وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأخذ هؤلاء عن ثلاثة من الصحابة وهم عبد الله بن عباس وعبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وأبي هريرة رضي الله عنهم، وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبيّ بن كعب وقرأ ابن عباس وأبو هريرة على زيد بن ثابت، وقرأ زيد وأبيّ على رسول الله ﷺ[2]، وقد روي عنه القراءة عرضاً وسماعاً خلق كثيرون من مختلف الأمصار الإسلامية من المدينة مالك بن أنس وقالون. ومن البصرة الأصمعي وأبو عمرو بن العلاء. ومن مصر ورش والليث بن سعد. ومن الشام أبو مسهر الدمشقي وخويلد بن معدان. ومن المغرب كردم المغربي ومن الأندلس الغاز بن قيس، وغير هؤلاء كثير[3].

ولد الإمام نافع سنة 70هـ، وتوفي بالمدينة سنة 169هـ على الصحيح فعمر 99سنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة، روي أنه لما حضرته الوفاة قال أبناؤه أوصنا، فقال: لهم: "اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين"[4].

د) راويـــاه:

اشتهر بالرواية عنه قالون وورش بدون واسطة. أما قالون فهو: أبو موسى عيسى ابن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد المدني مولى الزهريين لقبه شيخه نافع بقالون لجودة قراءته[5]، وكان قالون ربيباً لنافع ابن زوجته، وكان قارئ المدينة ونحويّها ومعلم

---

1 – نصاح بكسر النون توفي سنة 130، انظر الأعلام، ج3، ص81، وفي القاموس أنه نصاحة بالتاء المربوطة، انظر المناهل ج1، ص415.

2 – انظر مصحف الجماهيرية برواية قالون عن نافع، التعريف بالمصحف، ص هـ، والطريق المأمون، ص27.

3 – انظر حجة القراءات لأبي زرعة، ص 51.

4 – الطريق المأمون، ص27، والآية من سورة الأنفال رقم1.

5 – لأن معنى قالون بلغة الروم جيد، انظر حجة القراءات لأبي زرعة، ص52 من المقدمة.

العربية بها، قرأ القرآن على نافع مرات لا تحصى، فقد سئل كم قرأت على نافع؟ فأجاب: مالا أحصيه كثرة. واستمر حتى قال له نافع إلى كم تقرأ عليّ أجلس إلى اسطوانة أرسل إليك من يقرأ عليك[1]، وفي هذا اعتراف من نافع بتفوق قالون وجودة قراءته، وكان رحمه الله أصم لا يسمع البوق وإذا قرئ عليه القرآن يسمعه، وقيل: كان يعرف الصواب والخطأ من حركة الشفتين وقيل أصابه الصمم في آخر عمره[2]، ولد رحمه الله تعالى سنة 120هـ، في أيام هشام بن عبد الملك بالمدينة، وتوفي فيها سنة 220 هـ، في أيام المأمون فعمر 100 مائة سنة رحمه الله رحمة واسعة[3].

وأما ورش فهو: أبو سعيد عثمان بن سعيد القبطي المصري القرشي بالولاء شيخ القراء المحققين الملقب بورش لشدة بياضه[4]، رحل إلى المدينة للقراءة على نافع فقرأ عليه ختمات سنة 155هـ، ثم رجع إلى مصر فانتهت إليه رئاسة الاقراء بها فلم ينازعه فيها منازع مع براعته في العربية والتجويد، وكان حسن الصوت بالقراءة حجة ثقة، توفي بمصر سنة 197هـ، وكان مولده بها سنة 100هـ، فعمر 97سبعاً وتسعين سنة[5] رحمه الله رحمة واسعة.

7. سابعـــهم الكسائي

أ- نسبه وأصله وموطنه، هو:-

أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي من أولاد الفرس في سواد العراق قيل له

---

1 - انظر مقدمة كتاب حجة القراءات لأبي زرعة، ص 52.

2 - الطريق المامون، ص23.

3 - الطريق المامون، ص23.

4- الورش في أصل اللغة يطلق على شيء يصنع من اللبن فيصح أن يضرب به المثل في البياض، مناهل العرفان، نقلاً عن القاموس، ج1، ص461.

5 - انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص81.

لم سميت بالكسائي؟ قال: لأني أحرمت في كساء، وكان إمام الناس في القراءة في زمانه، وأعلمهم بالقرآن. قال فيه ابن معين: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي.

ب- سـنده:

قرأ الكسائي على حمزة الزيات[1] وعليه اعتماده قرأ عليه القرآن أربع مرات، وأخذ أيضاً عن محمد بن أبي ليلى وعيسى بن عمرو وقرأ عيسى بن عمرو على عاصم[2]، توفي الكسائي رحمه الله سنة 189 هـ على أشهر الأقوال عن 70 سنة[3].

ج- راويـاه:

اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدوري، أما أبو الحارث فهو: الليث بن خالد المروزي المقرئ كان ثقة فيما في القراءة ضابطاً لها قرأ على الكسائي، وقال فيه الحافظ أبو عمرو: كان من أجلّة أصحاب الكسائي توفي أبو الحارث سنة 240هـ.

وأما الدوري فقد تقدمت ترجمته مع أبي عمرو بن العلاء البصري لأنه روى عنه القراءة أيضاً.

ثانياً:- قراء القراءات الثلاث المتممة للعشر

1. أولهم أبو جعفر

أ) نسبه وأصله وموطنه هو:

أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري[4] المدني المخزومي القارئ الأول بالمدينة من التابعين وأجلّ شيوخ نافع كان ثقة مسحت أم المؤمنين أم سلمة على رأسه وهو صغير

---

[1] - وعلى هذا فيعتبر سند حمزة سنداً له أيضا.

[2] - وعاصم هذا تقدم سنده كذلك سنده يعتبر سنداً للكسائي.

[3] - انظر مناهل العرفان، ج1، ص 463.

[4] - نسبة إلى موضع بالمدينة يقال له القارة، انظر مناهل العرفان، ج1، ص 462.

ودعت له بالبركة، وقدمه سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه للصلاة في المسجد الحرام فصلى بالناس فهو إمام تابعي مشهور متعبد كبير القدر.

ب) سنده:

عرض القراءة على ابن عباس وأبي هريرة عن أبي بن كعب رضي تعالى عنهم توفي أبو جعفر سنة 130هـ.

ج) رواته

روى عنه القراءة نافع وابن جمّاز وابن وردان.

أما نافع فقد تقدم التعريف به مفصلاً، وأما ابن جماز فهو: أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جمّاز الزهري بالولاء المدني توفي رحمه الله تعالى بعد سنة 170هـ.

أما ابن وردان فهو أبو الحارث عيسى بن وردان الحذاء إمام مقرئ حاذق، وراو ضابط محقق عرض القراءة على أبي جعفر وشيبة ونافع وهو من جلة أصحابه وشاركه في الإسناد، توفي رحمه الله تعالى سنة 160هـ[1].

2. ثانيهم يعقوب الحضرمي

أ) نسبه وأصله وموطنه هو:

أبو محمد يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبد الله مولي الحضرميين البصري.

ب) سنده:

قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل وقرأ سلام على عاصم، وعلى أبي عمرو بن العلاء[2]، توفي يعقوب الحضرمي سنة 205هـ.

---

1 - مناهل العرفان، ج1، ص463.

2 - فيكون سند عاصم المتقدم سنداً له.

ج) راوياه

اشتهر بالرواية عنه روح ورويس، أما روح فهو: أبو الحسن روح بن عبد المؤمن ابن عبدة بن مسلم الهذلي النمري، وكان إماماً ثقة جليلاً روى عنه البخاري توفي سنة 234هـ.

وأما رويس فهو: أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤ البصري كان رحمه الله من أجّل أصحاب يعقوب وأحذقهم توفي بالبصرة سنة 138 هـ[1].

3 . ثالثهم خلف

أ) نسبه وأصله وموطنه هو:

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب البزار.

ب) سنده :

قرأ خلف على جماعة منهم سليم بن حمزة، ويعقوب بن خليفة الأعشى، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، وروى هؤلاء الثلاثة عن عاصم[2]، وهو أيضاً راو عن حمزة رحمه الله كما تقدم، توفي خلف رحمه الله تعالى سنة 229 هـ.

ج) راوياه:

اشتهر بالرواية عنه إسحاق وإدريس.

أما إسحاق فهو: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزى الوراق توفى سنة 286هـ.

وأما إدريس فهو: أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي إمام ضابط

---

1 – مناهل العرفان، ج1، ص464.

2 – وعليه فيكون سند عاصم سنداً لخلف.

ثقة متقن توفي رحمه الله تعالى يوم الأضحى سنة 292هـ[1].

تاسعاً: خاتمة المبحث في حكم المفاضلة بين القراءات

من العلماء من تعر ض للمفاضلة بين القراءات المعتمدة، و اختيار بعضها دون بعض وفضله على غيره، وفيما يلي روايات نقلت عن العلماء:-

أ) روى عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: سألت أبي أي القراءات أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، قلت: فإن لم يكن؟ قال: قراءة عاصم[2].

مثله ما تقدم لنا، وهو ما روى عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه قال: رواية أهل المدينة سنة فقيل له: قراءة نافع، قال: نعم.

ب) ما نقل عن أبي جعفر النحاس بعد ذكر الاختلاف في ترجيح بعض القراءات على بعض ما نصه: والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي ﷺ وقد قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى، انتهى[3].

ومثله ما جاء عنه أيضاً في تفسير سورة المزمل: والسلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألاَّ يقال أحدهما أجود لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا، وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله: قد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة (ملك) (ومالك) حتى أن بعضهم يبالغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا

---

1 - مناهل العرفان للزرقاني، ج1، ص464.

2- تاريخ القرآن للزنجاني، ص80.

3- البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج1، ص339، الضمير في قوله فهما يعود على قراءتين في قوله تعالى: ﴿ فك رقبة﴾.

بمحمود بعد ثبوت القراءتين، واتصاف الرب تعالى بهما، ثم قال: حتى أني أصلي بهذه في ركعة، وبهذه في ركعة[1].

ج) ما قاله مكي بن أبي طالب ونقله الزركشي مبيناً ومقرراً جواز اختيار بعض القراءات وسببه: وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء قوة وجه العربية وموافقته للمصحف واجتماع العامة عليه، والعامة عندهم هو ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار، وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هاذين الإمامين أولى القراءات وأصحها سنداً وأفصحها في العربية[2].

د) ومن الملاحظات على القراء ومواطنهم التي يمكن أن تلاحظ من خلال ما تقدم أن القراء من الكوفة أكثر منهم في غيرها يظهر هذا جلياً من القراء الذين تم اختيارهم ضمن القراء المعتبرين منها وهم حمزة وعاصم والكسائي.

وأن القراء المختارين معظمهم من الموالي من العجم لاسيما الذين كانوا من أصل فارسي وليس فيهم من أصل عربي إلا ابن عامر وأبا عمرو بن العلاء[3] قال الإمام الشاطبي في منظومته:

أبو عمر هم واليحصبي ابن عامر   صريح وباقيهم أحاط به الولا

ومعنى البيت أن أبا عمرو وابن عامر كل منهما صريح أي من صميم العرب، وباقي السبعة أحاط أي أحدق وغلب عليه ولاء المعجم لكونهم ولدوا في بلادهم، وقيل ولاء الرق فما منهم إلا مسه أو أحد آبائه الرق[4].

1- وهذا من شدة ورعه رحمه الله تعالى.

2 - البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج1، ص339.

3 - انظر مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص 244، والبرهان، ج1، ص329.

4 - انظر شرح الشاطبية لمحمد على الضباع، ص 15.

هـ) وجاء في مقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور نقلاً عن ابن العربي ما نصه: ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة قد تفاوتت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة، وهو تمايز متقارب وقل أن يكسب إحدى القراءات في تلك الآية رجحاناً على أن كثيراً من العلماء كان لا يرى مانعاً من ترجيح قراءة على غيرها، ومن هؤلاء الإمام محمد بن جرير الطبري والعلامة الزمخشري... وقد سئل الإمام ابن رشد عما يقع في كتب المفسرين والمعربين من اختيار إحدى القراءتين المتواترتين وقولهم هذه القراءة أحسن أذاك صحيح أم لا؟

فأجاب أماما سألت عنه مما يقع في كتب المفسرين والمعربين من تحسين بعض القراءات واختيارها على بعض لكونها أظهر من جهة الإعراب، وأصح في النقل وأيسر في اللفظ فلا ينكر ذلك كرواية ورش التي اختارها الشيوخ المتقدمون عندنا (أي بالأندلس) فكان الإمام في الجامع لا يقرأ إلا بها لما فيها من تسهيل النبرات وترك تحققيها في جميع المواضع، ولعلهم فعلوا ذلك لما روى من كراهية مالك النبر في القرآن في الصلاة[1]، ثم يقول متسائلاً: فإن قلت هل يفضي ترجيح بعض القراءات على بعض إلى أن تكون الراجحة أبلغ من المرجوحة فيفضي إلى أن المرجوحة أضعف في الأعجاز؟ قلت حد الإعجاز مطابقة الكلام لجميع مقتضى الحال وهو لا يقبل التفاوت ويجوز مع ذلك أن يكون بعض الكلام المعجز مشتملاً على لطائف وخصوصيات تتعلق بوجوه الحسن كالجناس والمبالغة... إلى أن يقول معرباً عن اختياره لقراءة نافع: وأبني أول التفسير على قراءة نافع برواية عيسى بن مينا الملقب بقالون لأنها القراءة المدنية إماماً وراوياً، ولأنها التي

---

[1] - فقد سئل مالك عن النبر في القرآن فقال: إنني لأكرهه وما يعجبني ذلك، قال ابن رشد ويعني بالنبر إظهار الهمزة في كل موضع على الأصل فكره ذلك واستحب التسهيل على رواية ورش لما روى أنه ﷺ لم تكن لغته الهمزة، ص 56 من المقدمة.

يقرأ بها معظم أهل تونس[1] قلت والحمد لله يختار قراءة نافع برواية قالون لنفس المعنى الأول الذي ذكره ابن عاشور ولأن جميع أهل ليبيا فيما أعلم يقرأون بها، هذا ومن الممكن أن يقال أخذا من الروايات والنصوص المذكورة ونحوها: إن اختيار واستحسان بعض القراءات المعتمدة دون بعض بسبب أو بغير سبب جائز لا إثم فيه ما دام فاعله لم يتعرض للقراءات الأخرى بذم ولا نحوه استناداً إلى ما روى عن الإمام مالك والإمام أحمد رحمهما الله تعالى، والله أعلم بالصواب والموفق إلى كل خير.

---

1 - انظر المعيار المعرب للونشريسي، ج1، ص 226، ومقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور، ص57.

الأسئلة

س1- تحدث عن أهمية مبحث القراءات والقراء وعرف القراءة في اللغة، وما المراد بها في الاصطلاح؟ ثم بين كيف نشأ علم القراءات؟ وعلى يد مَن مِن العلماء تم تدوينه؟ ومتى كان ذلك؟

س2- أذكر بالإجمال ما تناوله هذا المبحث من نقاط؟ وما الحكمة من تعدد القراءات واختلافها وعلى أي شيء بنى، مبيناً ما يترتب على تنوع القراءات من فوائد وأحكام، ثم اكتب ملخصاً للحكم في نقاط موجزة؟

س3- وضع العلماء ضابطاً لمعرفة ما يقبل وما يرد من القراءات اذكر هذا الضابط واشرحه بإيجاز، مبيناً ما يدل عليه بمنطوقه وبمفهومه؟

س4- أذكر حكم القراءة التي يذكرها بعض المفسرين وينسبونها إلى رسول الله ﷺ مبيناً المراد منها؟ وهل تدل نسبتهم إياها إلى الرسول ﷺ أنها هي المأثورة وحدها عنه عليه الصلاة والسلام أو على ترجيحها على غيرها من القراءات المنسوبة إلى القراء المشهورين أم ماذا؟

س5- بين شرط القراءة الصحيحة المقبولة زيادة على ما دل عليه الضابط السابق المعروف لدى القراء؟

س6- اشتهرت أعداد من القراءات في عصر اتباع التابعين اذكر هذه الأعداد، مبيناً أكثرها شهرة عند العامة والخاصة؟ ومتى كان ظهورها وتحديدها مع العلم بأن القراء كانوا كثيرين ليس لهم حد معين؟ وعلى يد مَن من العلماء تم تحديد الأعداد المحددة وسبب الاقتصار عليها؟

س7- اذكر أنواع القراءات من حيث السند ومثل لكل نوع تـذكره، مبيناً حكم القراءة به؟

س8- ما حكم القراءات السبع والثلاث المتممة للعشر من حيث التواتر وعدمه مع الاستدلال لما تذكر من الحكُم بما يحضرك من نصوص نقلت عن العلماء بحيث لا تقل عن ثلاثة نصوص؟

س9- ما معنى القراءة الشاذة؟ وما حكم القراءة بها في الصلاة، وغيرها مستدلاً لما تذكر بأقوال العلماء من المذاهب المختلفة؟ ثم بين حكم قراءة القرآن بالمعنى؟

س10- اذكر ما بقي من القراءات والروايات واستمر الناس يقرأون بها في العصر الحاضر في جميع الأقطار الإسلامية؟

س11- ما معنى القارئ لغة؟ وما المراد به وبالمقرئ في الاصطلاح؟ مبيناً ما يحضرك من أسماء الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يحفظون القرآن كله عن ظهر قلب والذين اشتهروا بإقراء القرآن لأبناء المسلمين منهم واتصلت بهم أسانيد القراء المشهورين؟

س12- اذكر عدداً من أسماء القراء من الطبقة الثانية – طبقة التابعين في مختلف الأمصار الإسلامية- والمدينة والكوفة والبصرة والشام، بحيث لا يقل العدد عن ثلاثة من كل مصر، مع بيان الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه؟

س13- من هم الرجال الذين اشتهروا بالقراء من أهل الطبقة الثالثة من اتباع التابعين وفيهم بعض التابعين مبيناً الأوصاف التي تم اختيارهم على ضوئها؟ ومتى اشتهروا بالقراءة ودونت قراءاتهم، ولماذا نسبت القراءات إليهم وما معنى هذه النسبة؟

س14- اذكر أسماء القراء السبعة كاملة وأسماء راويين لكل منهم ونبذة مختصرة عن كل واحد من القراء والرواة؟ مبيناً مبلغهم من العلم بالقراءة وما اتصفوا به من أوصاف حميدة وأسانيدهم إلى رسول الله ﷺ وتاريخ وفاتهم؟

س15- من هم القراء الثلاثة المتممون للعشرة مع ذكر راويين لكل واحد منهم وموجزاً لسيرتهم وأسانيدهم وتاريخ وفاتهم؟

س16- ما حكم المفاضلة بين القراءات واختيار بعضها وترجيحها دون البعض الآخر بسبب وبدون سبب مستدلاً للحكم الذي تذكره بما يحضرك من أقوال الأئمة والعلماء؟

المبحث الثامن

التفسير والمفسرون

أهمية المبحث ومجمل نقاطه:-

هذا المبحث من أجل مباحث علوم القرآن وأهمها وخصوصاً بالنسبة لطالب التفسير، فأجدر به أن يوجه إليه فكره واهتمامه حتى يكون على بصيرة في دراسته لكتاب الله تعالى، لأن علم التفسير من العلوم التي أوجب الله تعالى تعلّمها على أمة القرآن كما أوجب عليهم حفظه[1].

قال المولى تبارك وتعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[2]. وقال: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[3]. وقال: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾[4]. فقد دلت الآية الأولى على أن القرآن أنزل للتدبر، كما حثت الآيتان الأخريان عل تدبره وفهمه، وهذا الفهم وذاك التدبر لا يتيسران إلا بالتفسير والتأويل والاطلاع على مراد الله من كلامه بقدر الاستطاعة البشرية وهو ما يسمى بعلم التفسير الذي هو أشرف العلوم وأعلاها قدراً، وذلك لأن العلم إنما يشرف بشرف موضوعه وغايته، والحاجة إليه وموضوع التفسير هو كلام الله تعالى أشرف الكلام وأصدقه، وهو أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم وغايته الاعتصام بالعروة الوثقى، والفوز بالسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة وأما الحاجة إليه فلا شك أننا في أشد الحاجة إلى هذا النوع من العلم حتى نحقق الغاية السالفة بإذن الله تعالى...

1 – أي وجوباً كفائياً إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثموا كلهم.
2 – آية 29 من سورة ص.
3 – آية 24 من سورة محمد ﷺ.
4 – آية 82 من سورة النساء.

هذا، وكلامنا في هذا المبحث يتعلق بالنقاط التالية - معنى التفسير والتأويل - التفسير بالمأثور- المفسرون من الصحابة والتابعين - كتب التفسير بالمأثور- القيمة العلمية لهذا النوع من التفسير- التفسير بالرأي وما يتعلق به، وفيما يلي التفصيل:-

1- معنى التفسير والتأويل

أما التفسير، فيطلق لغة ويراد منه الكشف والبيان والإيضاح لمدلول كلام بكلام آخر هو أوضح من المفسر عند السامع أو القارىء. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1] آي بياناً وتفصيلاً.

وهو مصدر فسّر المشدد العين ووزنه التفعيل والتضعيف فيه ليس للتعدية، وإنما هو للدلالة على التكثير تتريلاً لما يعانيه المفسر من كد الفكر لتحصيل المعاني الدقيقة، ثم اختيار أنسب الألفاظ لتأديتها متزلة مزاولة العمل الكثير.

وأما فسر بتخفيف السين فمصدره الفسر وهو أيضاً متعد ومعناهما واحد، قال صاحب القاموس المحيط: الفسر الإبانة، وكشف المغطى كالتفسير[2].

ومثله ما جاء في لسان العرب، فقد قال مؤلفه: "الفسر البيان - فسر الشيء يفسِره بالكسر يفسُره بالضم فسراً[3] وفسره أبانه والتفسير مثله".

وأما التفسير في الاصطلاح:

فقد ذكر العلماء له تعريفات كثير ة، بعضها مسهب مفصل، وبعضها مختصر موجز. فمن الأول ما ذكره السيوطي في الإتقان فقال: ((هو علم نزول الآيات وشؤونها

---

1 - آية 33 من سورة الفرقان.
2 - ج 2، ص 116.
3 - فهو من بابي ضرب ونصر. المفردات للراغب الأصفهاني، ص31.

وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكّـيِّها ومدنيها، وبيان محكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، ونحو ذلك))[1]. ومن الثاني، ما ذكره صاحب مناهل العرفان فقال: ((هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[2].

وتوسط بينهما أبو حيان في البحر المحيط ونقله عنه الألوسي فقال: "هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك كذلك"[3].

وبنظرة فاحصة نرى أن التعريفات- وإن اختلفت من حيث الألفاظ- فهي متقاربة معنى، بيد أن الأول توسع كثيراً حتى شمل علوماً كثيرة لا شأن للمفسر بها، إذ أن أهم ما يقصده المفسر غالباً هو التماس هداية الله في كلامه الحكيم، وتوضيح تعاليمه ومرامي كلامه، وإبراز حكمه وأحكامه حتى يسهل فهمها ويتيسر العمل بها لعامة المسلمين وخاصتهم بقدر الاستطاعة البشرية. وأما مراد الله تعالى في الواقع ونفس الأمر فلا أظن أن أحداً يدّعي أنه وصل إليه اللهم إلا ما نقل عن المعصوم ﷺ، وهذا لا ينافي أن كثيراً من أقوال المفسرين موافق لمراد الله تعالى، إلا أننا لا نجزم بتلك الموافقة في كثير من الأحيان.

وأن الأخير المنقول عن أبي حيان، قد أغفل التصريح بكون القرآن هداية للخلق إلى طريق الحق وصرّح بأشياء أخرى لا علاقة لها بالتفسير.

---

1 – الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 174.
2 – جـ1، ص470.
3 – البحر المحيط، ج1، المقدمة، والألوسي، ج 1، ص 6.

وأما التأويل لغة: فهو مرادف للتفسير لأنه في الأصل من الأول، بمعنى الرجوع إلى المعنى المراد من اللفظ والغاية المقصودة منه، ومنه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[1]، أي بيانه وتوضيح المراد منه، أو الواقع الذي ينطبق عليه الكلام، فتأويل الكلام: إما ما أوّله إليه المتكلم أو ما يؤول إليه الكلام نفسه. قال الراغب: (التأويل من الأول أي الرجوع إلى الأصل ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه)[2]. وفي القاموس المحيط: آل إليه أوْلاً ومآلاً، رجع إليه، إلى أن قال: وأول الكلام تاويلاً وتاوّله: دبره وقدره وفسره[3].

التأويل في الاصطلاح والعلاقة بينه وبين التفسير:

اختلف المفسرون في بيانه إلى أقوال كثيرة، أذكر منها ما يوضح لنا مدى العلاقة والنسبة بينه وبين التفسير. وأهم هذه الأقوال وأشهرها ثلاثة، فبينما نجد أن بعضهم يرى أنه مرادف للتفسير موافقة لأهل اللغة، يرى آخرون أنه مباين ومخالف له، ويذهب فريق ثالث إلى أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً.

أما الأول: وهو القائل بالترادف والتساوي فذهب إليه جماعة من كبار العلماء، منهم أبو عبيدة القاسم بن سلام وابن الأعرابي، ويفهم من كلام الإمام محمد بن جرير الطبري ترجيحه أخذاً من تعبيره في التفسير حيث يقول: القول في تأويل قوله تعالى: كذا؛ واختلف أهل التأويل في هذه الآية وكذلك حذا حذوه الإمام محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل.

---

1 – آية 53 من سورة الأعراف.
2 – المفردات للراغب الأصفهاني، ص31.
3 – جـ3، ص241.

وأما القول بالتباين، فقد أخذ به أبو طالب الثعلبي والبغوي، وصححه الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في البرهان، وقال به الإمام أبو منصور الماتريدي حيث ذكر: أن التفسير هو القطع بأن مراد الله كذا. والتأويل هو: ترجيح أحد الاحتمالات في معناه بدون قطع[1]. وقال بعض أصحاب هذا الرأي: إن التفسير هو ما كان من البيان بطريق الرواية، والتأويل ما كان منه بطريق الدراية، بمعنى أن التفسير ما كان بالأثر والنقل عن النبي ﷺ أو الصحابة والتابعين. والتأويل: ما كان بالرأي والاجتهاد حسب القواعد المعروفة والضوابط المرعية، وعن بعضهم أن التفسير ما يفهم من العبارة، والتأويل ما يفهم بطريقة الإشارة[2]. وأما من يرى أن بينهما العموم والخصوص المطلق فيقول: إن التفسير أعم مطلقاً من التأويل فكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويلاً.

وممن قال بهذا الراغب الأصفهاني، فقد نقل عنه قوله الآتي: التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها[3].

وقد فسر هذا القول ووضّحه الشيخ عبد العظيم الزرقاني فقال: (وكأنه يريد من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل، ويريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقاً أعم من أن يكون بالمتبادر أو بغيره)[4]، مثاله قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[5]، فمن قال فيه إن المراد هو: إخراج الطير من البيض فهو تفسير وليس بتأويل، ومن قال: إن المراد هو: إخراج المسلم الحي بالإيمان من الكافر الميت بسبب شركه فهو تأويل ويسمى تفسيراً أيضاً. ومنهم من جعل التفسير للمعنى الظاهر والتأويل للمتشابه.

---

[1] – الإتقان للسيوطي، ج2، ص173. والبرهان للزركشي، ص150، ج2.
[2] – الألوسي، جـ1، ص6.
[3] – البرهان في علوم القرآن، جـ2، ص149.
[4] – مناهل العرفان، جـ2، ص5.
[5] – من الآية 95 من سورة الأنعام.

أرجح الأقوال وأولاها بالاعتبار:

بالنظر لما قدمت في المعنى اللغوي لكل من التفسير والتأويل وفي أقوال مشاهير العلماء والآثار المروية، نرى أن أرجح هذه الأقوال أولها، ويليه الثاني:

أما الأول: وهو القائل بالتساوي، فتؤيده اللغة وبعض الآثار عن السلف، وقد علمنا من يقول به من العلماء آنفاً ورجحه العلامة التونسي الشيخ المرحوم محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير).

أما اللغة، فقد بيَّنت أن معنى التأويل هو: رجع اللفظ إلى الغاية المقصودة منه وهو المعنى نفسه المراد من اللفظ وهو المعنى عينه المراد من التفسير.

ومن الأدلة الشاهدة بترجيحه:

أ ـ قوله ﷺ في دعائه لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، أي فهم القرآن الكريم وتفسيره، ولا أظن أن النبي ﷺ قصد من التأويل ما كان بطريق الإشارة أو المتشابه أو غيرها مما قال به الذاهبون إلى القول بالتباين.

ب ـ ما نقل عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: كان ﷺ يقول في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأوّل القرآن[1] أي يعمل بقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[2] فجمع ﷺ في دعائه بين التسبيح والحمد وذكر لفظ الرب وطلب المغفرة؟ فقولها يتأول صريح في أنه ﷺ

---

1 – قال ابن كثير: أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها وبقية الجماعة إلا الترمذي، ج4، ص563.

2 –آية 3 من سورة النصر.

فسر الآية بالظاهر المتبادر و لم يحملها على ما تشير إليه، وهو ما روي عن ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أنها تشير إلى قرب انتهاء عمره الشريف ﷺ[1].

وأما الثاني: فقد بينت أن الزركشي صححه وأيده أيضاً أستاذنا الدكتور محمد حسين الذهبي قائلاً: (والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال هو: أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية؛ والتأويل: ما كان راجعاً إلى الدراية)، ثم بين سبب اختياره فقال: (وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا رسول الله ﷺ.

وأما التأويل، فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعاني من ذلك[2].

أقسام التفسير المعتبرة عند العلماء ومعنى التفسير بالمأثور:-

بعدما علمنا معنى التفسير والتأويل وعلمنا أن الراجح أنهما بمعنى واحد، يجدر بنا أن نعرف أقسام التفسير المعروفة عند علماء هذا الفن والمتداولة بينهم، وهي ثلاثة:

الأول: التفسير بالمأثور المنقول عن السلف.

الثاني: التفسير بالرأي السديد.

الثالث: التفسير الإشاري[3].

---

1 – من مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية رحمه الله، ج2، ص7.

2 – من كتابه التفسير والمفسرين، ج1، ص22.

3 – وهو ما استنبط من الآيات من المعاني والأحوال والمواجيد بطريق الإشارة حسب زعم من يقول به من الناس، ومن أراد أن يطلع عليه، فليراجع تفسير الألوسي والنيسابوري،

غير أن التفسير المعتبر والمعتد به عند علماء الأمة، سلفاً وخلفاً، هو التفسير بالمأثور المنقول نقلاً صحيحاً، والتفسير بالرأي السديد المبني على العلوم والمعارف اللغوية والمطابق للقواعد التفسيرية المعروفة لا غير.

ولهذا، فإني سأقتصر في التفصيل على الكلام في هذين القسمين، وهما التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي بالإضافة إلى مناهج المفسرين به.

2- أولاً: التفسير بالمأثور[1]

المأثور اسم مفعول من أثرت الحديث أثراً من باب نصر أي نقلته، والأثر بفتحتين اسم منه وحديث مأثور أي منقول.

وهو في اصطلاح أهل هذا الفن ما كان بيانا لمراد الله تعالى من كلامه من القرآن نفسه أو بطريق الرواية والنقل عن النبي ﷺ أو عن الصحابة والتابعين، ونفهم من هذا التعريف أن التفسير بالمأثور يشمل كل تفسير منقول سواء كان متواتراً أم لا، فمن الأول تفسير القرآن بالقرآن[2]، ومن الثاني التفسير بالسنَّة المرفوعة[3] أو المروية عن الصحابة أو التابعين، فجميع التفسير بالمأثور لا يخرج عن هذه الأقسام الأربعة.

1- هذه النقطة تعتبر أولى بالنسبة لأقسام التفسير المعروفة، وتعتبر ثانية بالنسبة لجميع النقاط التي يتناولها الكلام في هذا المبحث.

2- ومن أمثلته قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾، من سورة المائدة. فُسر بقوله فيما بعد حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير. إلى قوله وما ذُبح على النصب. وقوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فهو تفسير لقوله قبلاً: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ من سورة الواقعة.

3- ومن أمثلته تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى وتفسير القوة بالرمي في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ من سورة الأنفال.

3- تفسير الصحابة والمفسرون منهم:

هذا هو القسم الثالث من أقسام التفسير بالمأثور[1]. وذلك لأن الواجب على المفسر إذا خفي عليه معنى آية من القرآن أن يبحث في القرآن الكريم نفسه، إذ من الجائز أن يكون المبهم في موضع قد فصل في موضع آخر، فإن لم يجده في القرآن بحث عنه في السنة المرفوعة إلى النبي ﷺ، فإن لم يجد ما يسعفه في هذين القسمين رجع إلى ما صح وثبت من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لأنهم أدرى من سواهم بتفسير كتاب الله تعالى، فقد تشرفوا بمشافهة رسول الله ﷺ وشرح لهم ما أهم عليهم من معاني القرآن ووضح بجمله وأبان لهم حلاله وحرامه، ولا أدل على ذلك من قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيهم ما نصه:-

((من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم))[2]، والمروي من التفسير عن الصحابة كثير جداً منه الصحيح والضعيف والموضوع والإسرائيليات.

والصحيح الذي رجحه بعض العلماء منهم العلامة الحافظ ابن حجر شارح صحيح البخاري، أن المقصود من أقوالهم هنا هو ما صح إسنادها إليهم فقط، وأن أقوالهم في التفسير لها حكم المرفوع بشرطين:

أولهما: أن يكون قولهم متعلقاً بما لا مجال للرأي فيه، كأسباب النزول وأحوال القيامة واليوم الآخر، ونحوه.

---

1 - ولم أتكلم بالتفصيل على القسمين الأول والثاني لقلة الكلام فيهما بالنسبة للقسم الثالث المقرر.

2 - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص77.

ثانيهما: أن لا يكون الصحابي معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أي غير معروف برواية الإسرائيليات، لأن من عادة الصحابة وأخلاقهم أن لا يتكلموا فيما لا مجال للرأي فيه إلا بسماع وتوقيف، ولا يتهجموا على ذلك من عند أنفسهم، والسماع المذكور لا يخلو حاله من أن يكون من النبي ﷺ أو من بعض أهل الكتاب الذين أسلموا، فإذا انتفى الثاني فقد تعين الأول وهو النقل عن النبي ﷺ.

أشهر المفسرين من الصحابة:

وقد اشتهر بالتفسير منهم عشرة: الخلفاء الأربعة _ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن الزبير، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبي بن كعب رضي الله عنهم جميعاً[1].

والمكثرون للتفسير من هؤلاء أربعة وهم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب. وأما باقي العشرة فالمروي عنهم في التفسير قليل بالنسبة لهؤلاء الأربعة. وفي الأسطر التالية نبذة مختصرة عن كل واحد منهم:

أ – علي بن أبي طالب:

هو الخليفة الرابع لرسول الله ﷺ وابن عمه وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، نشأ وتربى في بيت النبي ﷺ وهو صبي، فلم يتدنس بسجود لوثن ولم يقترف شيئاً من خبائث الجاهلية، مما كان له أطيب الأثر في غزارة علمه ونباهته وتفوقه في المعرفة وفهم كتاب الله تعالى. هذا زيادة على ما تحلى به رضي الله عنه من براعة في البيان وقوة في البلاغة وفصاحة في اللسان، وقف يوماً خطيباً في الناس فقال: (سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم

[1] – ذكرهم السيوطي في الإتقان، جـ4، ص204.

أبليلٍ نزلت أم بنهار أفي سهل أم في جبل)، وفي رواية أخرى قال: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عَقُولاً ولساناً سؤولا"[1]، وهو من أساتذة مدرسة التفسير بالمدينة المنورة.

واشتهر إلى جانب ذلك بالفتيا والقضاء وحل المشاكل والمنازعات حتى قيل في شأنه: (قضية ولا أبا حسن لها).

هذا، ومما ينبغي التنبيه عليه لدارس التفسير أن الإمام رضي الله عنه كانت له شيعة متعصبة أسرفت في حبه والثناء عليه حتى رفعته عن مرتبته اللائقة به وأخذت تكذب عليه تأييداً لما ذهبت إليه من أباطيل وضلالات.

فمن أجل هذا ونحوه، يجب على المفسر المنصف أن يحترس في نقل المرويات الواردة عنه رضي الله عنه، فلا يقبلها إلا بعد عرضها على ميزان النقد الذي وضعه أئمة الحديث وحفّاظه، فيعتمد مثلاً ما روي منها عن البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة، وغيرها مما هو مشهور برواية الصحيح من الآثار دون غيره.

ب ــ ابن عباس

هو حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، نشأ وتربى في البيئة الإسلامية. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت له صلة ببيت النبوة لزواج النبي ﷺ بخالته ميمونة، فتمكن بذلك من ملازمة الرسول ﷺ حتى دعا له يوماً فقال: (اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل)، وفي رواية البخاري: (اللهم علمه الحكمة) وفي أخرى (اللهم علمه الكتاب)[2].

1- ص 85، من الإسرائيليات في كتب التفسير لأبي شهبة.

2- هذه الروايات يفسر بعضها بعضا، فيكون معنى التأويل هو علم الكتاب أي تفسيره، وهو المراد من الحكمة في الرواية الثالثة.

ونظراً لكثرة اشتغاله بالتعلم والتعليم وغزارة ما تحصّل عليه من علم ومعرفة بكتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام لقّب بالبحر والحبر وترجمان القرآن كما تقدم، ومن ثم كانت له مدرسة في التفسير بمكة المكرمة لها ميزاتها وخصائصها، وله تلاميذ كثيرون تلقوا عنه التفسير وعلم الكتاب والسنة ونشروها على أوسع نطاق وأشمله.

قال الإمام علي بن المديني شيخ الإمام البخاري: "لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ له أصحاب يقومون بقوله في الفقه إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود وزيد ابن ثابت وعبد الله بن عباس، كان لكل رجل منهم أصحاب يقولون بقوله ويفتون الناس"، ولعل السر في كثرة ما روي عن ابن عباس من التفسير وغيره هو تأخر وفاته رضي الله عنه حتى بلغ السبعين من عمره وأدرك زمناً اشتدت فيه حاجة المسلمين إلى من يبين لهم ما خفي عنهم من معاني القرآن الكريم.

ولهذا وغيره، نجد أن المروي عنه في التفسير كثير جداً حتى لا تكاد توجد آية من الكتاب إلا وله فيها قول أو أقوال، وفي هذه المرويات الصحيح والضعيف بل والموضوع المختلق، ومن جملتها تفسير كامل ينسب إليه ويحوي كثيراً من التفسير الصحيح المؤيد بالشواهد من كلام العرب، ومع هذا فقد شك العلماء في نسبته إليه مما جعل الحفّاظ والنقاد منهم ينظرون إلى ما روي عن الحبر بشيء من الحيطة والحذر، خوفاً من الوقوع في الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب الذين أسلموا. قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: "لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث"، وعلى الرغم من هذا فقد صحت طرق عن ابن عباس وثّقها الحفاظ من الرواة واحتجوا بها:

منها: طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه وهي الطريق التي اعتمد عليها البخاري كثيراً في صحيحه فيما يعلق عن ابن عباس.

ومنها: طريق قيس بن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه، وهذه الطريق أيضاً صحيحة على شرط الشيخين.

وهناك طرق أخرى عنه على الضد من هذه، وهي الطرق الواهية الضعيفة:

منها: طريق الكلبي عن أبي صالح عنه.

ومنها: طريق مقاتل بن سليمان عنه، وأخيراً فإن واجب المفسر المنصف إزاء هذا، هو اللجوء إلى التمحيص والتحقق من صحة ما يروى وينسب إلى هذا الصحابي الجليل حتى يعرف ما يأخذ وما يذر، وقد توفي رضي الله عنه سنة ثمان وستين هجرية، والله ورسوله أعلم.

جـ- ابن مسعود

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن هذيل، من السابقين الأولين إلى الإسلام، روي عنه قوله: (كنت سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرهم)، رضي الله عنه من حفّاظ الصحابة للقرآن الكريم المجيدين، وكان رضي الله عنه أيام اضطهاد المسلمين من قريش أول المقربين إلى النبي ﷺ يحمل نعليه وصاحب مسواكه ومطهرته، ولعل هذا من الأسباب التي جعلته من المكثرين لرواية التفسير وعلوم القرآن. ولقد مدحه النبي ﷺ وأشاد بحفظه للقرآن وتجويده فقال: (من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)[1]. وفي صحيح البخاري عن مسروق رضي الله تعالى عنه قال: ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: (لا أزال أحبه

---

[1] - أم عبد، كنية أمه أسلمت وصحبت النبي ﷺ، ولهذا نسب إليها، وأما أبوه فقد مات في الجاهلية.

بعدما سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبيّ بن كعب)[1].

ولقد اشتهر أخيراً بتعليم القرآن وتفسيره بالكوفة حتى كون مدرسة للتفسير هناك كان هو إمامها، نبغ على يديه عدد كبير من أئمة التفسير من التابعين من أمثال مسروق وعلقمة والأسود، وغيرهم.

وتظهر لنا مكانة هذا الصحابي الجليل في العلم جلية من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين أرسله إلى الكوفة مخاطباً أهلها: (إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله ابن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي)[2].

والمروي في التفسير عن ابن مسعود كثير، يلي في الكثرة ما روي عن ابن عباس وحكمه في الصحة وعدمها كحكمه هناك، فالحذر والاحتياط في النقل والرواية لازم لكثرة ما دخلها من الضعيف والمكذوب وغيرهما. نقل عن العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في أثناء كلامه على تفسير هذين الرجلين ابن عباس وابن مسعود قوله: (هذا غالب ما يرويه السدي الكبير، عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهما ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ)[3]

وكانت وفاته رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين هجرية.

---

[1] – ص 86 من الإسرائيليات في كتب التفسير.

[2] – ص 361 من اللآلئ الحسان في علوم القرآن.

[3] – عن كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ببعض تصرف، ص88.

د. أبيّ بن كعب:

هو أبو المنذر أبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي الأنصاري، كان رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام من أهل المدينة وكان من كتّاب الوحي للنبي ﷺ، شهد بيعة العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك شهد بدراً وما بعدها من المواقع مع رسول الله ﷺ، وكان من قُرّاء القرآن وحفاظهم له مما جعل النبي ﷺ يأمر بأخذ القرآن عنه كما تقدم، ويشهد لهذا أيضا ما رواه البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: (أبيّ أقرؤنا).

ومن مناقبه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ عليه القرآن بأمر من الله تعالى. روى البخاري عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ لأبيّ: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾.

قال: وسماني، قال: نعم، فبكى، قال العلماء: وإنما قرأ عليه ﷺ ليزداد أبيّ علماً بالقراءة وتثبتاً فيها، وليكون عرض القرآن وأخذه عن مقرئ سنة متبعة، وللتنبيه على فضل أبيّ وتقدمه في حفظ القرآن، وليس المقصود أن يتعلم منه النبي ﷺ)، وقد روي عنه في التفسير نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه، وهو إسناد صحيح[1].

وقد روى ما في هذه النسخة كثير من المفسرين والمحدثين، منهم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، والإمام أحمد بن حنبل، والحاكم، وكان أبيّ رضي الله عنه إمام مدرسة التفسير بالمدينة، ومن تلاميذه أبو العالية زياد بن مهران ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم وغيرهم.

---

[1] – انظر التفسير والمفسرون للذهبي، جـ1، ص93.

ويذكر العلماء هنا أن ما روي عن أبي في التفسير أقل من أصحابه المكثرين المتقدم ذكرهم، وذلك نظراً لتقدم وفاته عنهم، فقد توفي سنة ثلاثين من الهجرة رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

4- المفسرون من التابعين وتفسيرهم

التفسير المنقول عن أتباع صحابة رسول الله ﷺ هو القسم الرابع من أقسام التفسير بالمأثور، أخذ هؤلاء التابعون التفسير وسائر العلوم الإسلامية عن أعلام الصحابة الذين تقدم ذكرهم وغيرهم، وكانت في هذا العصر- عصر التابعين- قد تكونت مدارس للتفسير في سائر الأمصار الإسلامية لكل مدرسة خصائصها ومميزاتها وأساتذتها وطلابها، وهذه المدارس هي:

1- مدرسة المدينة: من أساتذتها علي بن أبي طالب وأبيّ بن كعب، ومن تلاميذها محمد ابن كعب القرضي وزيد بن أسلم وأبو العالية زياد بن مهران.
2- مدرسة مكة: من أئمتها ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، ومن تلاميذها مجاهد ابن جبر المكي وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس.
3- مدرسة العراق: وإمامها الأكبر ابن مسعود، ومن تلاميذها مسروق ابن الأجدع وقتادة بن دعامة والحسن البصري ومرة الهمداني والضحاك.
4- مدرسة الشام: من أساتذتها أبو الدرداء الأنصاري، وممن تتلمذ عليه فيها عبد الرحمن الأشعري وعمر بن عبد العزيز بن مروان ورجاء ابن حيوة وكعب الأحبار.
5- مدرسة اليمن: من أئمتها معاذ بن جبل، ومن طلابها طاووس بن كيسان ووهب بن منبه الصنعاني.

6- مدرسة مصر: من أساتذتها عبد الله بن عمرو بن العاص، وممن تتلمذ عليه فيها يزيد ابن أبي حبيب الأزدي وأبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني.

هذا، وفي الأسطر التالية نبذة مختصر عن حياة المشاهير من هؤلاء التابعين والذين كثيراً ما تتردد أسماؤهم في كتب التفسير بالمأثور وغيره، حتى يتسنى للطالب معرفة من ينقل عنهم التفسير، وهم:

1- **مجاهد بن جبر المكي** مولى السائب بن أبي السائب: ولد سنة إحدى وعشرين، وتتلمذ على ابن عباس وكان من الملازمين له قال: (عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة أقف عند كل آية وأسأله عنها فيم نزلت؟ وكيف كانت؟). ومما يدل على غزارة علمه بالتفسير وتقدمه ما قاله فيه الإمام سفيان الثوري[1]، ونصه: " إذا جاء التفسير عن مجاهد فحسبك". وقد اعتمد أيضاً على أقواله في التفسير الإمامان الجليلان الشافعي والبخاري، كما قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى منوهاً بتوثقه ومبيناً مركزه في التفسير: ولذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم، توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه سنة اثنتين ومائة بمكة وهو ساجد.

2- **عكرمة** مولى ابن عباس: هو أبو عبد الله عكرمة البربري من أهل المغرب رباه ابن عباس وعلمه السنن والتفسير حتى صار من أعلام التابعين وأئمتهم، روي عنه أنه كان يقول: ((فسرت ما بين اللوحين))، يعني ما بين جلدتي المصحف. وكان رحمه الله ملازماً لأستاذه ابن عباس يأخذ عنه العلم والتفسير حتى قال: ((كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس)) وأخذ العلم عن جماعة آخرين من الصحابة غير ابن

---

1 - سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي من كبار تابع التابعين، اتفق العلماء على جلالته وغزارة علمه حتى قالوا هو كابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه، انظر التهذيب للنووي، ص 222، جـ1.

عباس، منهم عبد الله ابن عمر وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة وغيرهم، وروت عنه جماعات من التابعين وغيرهم. قال فيه أبو حاتم وابن معين: (عكرمة ثقة)، وروى عنه الإمام البخاري في صحيحه وقال: (ليس أحد من أصحابنا إلا يحتج بعكرمة). وقال الشعبي: (ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة)، وهذا يدل على توثيقه وصحة ما نقل عنه، توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه سنة خمس ومائة.

3- **سعيد بن جبير**: هو أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي[1] الوالبي نسبة إلى ولاء بني والبة، أخذ العلم عن كبار الصحابة مثل ابن عباس وابن عمر وغيرهم، وتتلمذ عليه جماعة من التابعين وغيرهم. وكان رحمه الله من أئمة التابعين وثقاتهم، قال الإمام النووي في التهذيب: (وكان سعيد من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة وغيرها من صفات أهل الخير[2].

وقال سفيان الثوري: خذوا العلم عن أربعة وعد منهم سعيد بن جبير وقال: (إنه كان أعلمهم بالتفسير)، توفي رحمه الله تعالى مقتولاً سنة خمس وتسعين على يد الحجاج ابن يوسف الثقفي، وعمره تسع وأربعون سنة. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه[3].

4- **محمد بن كعب القرظي**: هو أبو حمزة أو أبو عبد الله محمد بن كعب بن سليم القرظي[4] المدني، وهو أحد أعلام مدرسة المدينة التفسيرية من التابعين.

أخذ العلم عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وجابر بن عبد الله وأبي ذر الغفاري وغيرهم، وروى عنه كثيرون من صغار التابعين وكبارهم، مثل عمرو

---

1 - نسبة إلى بني أسد بن خزيمة.

2 - جـ1، ص216.

3 - المصدر السابق نفسه.

4 - نسبة إلى بني قريظة الطائفة المعروفة من اليهود، أبوه كعب من سبي قريظة، والقرظي بضم القاف.

ابن دينار ومحمد بن المكندر وزيد بن أسلم وغيرهم، وصفه العلماء بالثقة وكثرة العلم والزهد. قال النووي: (واتفقوا على أنه ثقة)، وقال ابن سعد: (وكان ثقة، عالماً، كثير الحديث ورعاً).

كما وثقه أصحاب كتب الحديث الستة الصحيحة ورووا عنه، وشهد له ابن عون بالبراعة في التفسير فقال: ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي[1]، توفي رحمه الله ورضي عنه سنة ثمان ومائة من الهجرة.

5- **سعيد بن المسيب**: هو الإمام الجليل أبو محمد سعيد بن المسَيب[2] بن حزن القرشي المخزومي، أخذ العلم عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومحمد ابن أبي وقاص وابن عمر وابن عباس وغيرهم. وتلقى عنه العلم جماعة من التابعين، منهم عطاء بن أبي رباح ومحمد الباقر وعمرو بن دينار والزهري وغيرهم. قال فيه الإمام النووي في التهذيب: (اتفق العلماء على جلالته وإمامته وفقهه وتقدمه على أهل عصره في العلم والفضيلة)[3]. وهو ممن تتلمذ في مدرسة المدينة التفسيرية ومن فقهائها السبعة المشهورين من التابعين[4]. قال قتادة: (ما رأيت أحدا أعلم بحلال الله وحرامه من سعيد بن المسيب). وقال علي بن المديني شيخ البخاري: (لا أعلم أحدا من التابعين أوسع علماً من سعيد بن المسيب وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به، وهو عندي من أجل التابعين). هذا ومما

---

1 - ص 90من التهذيب، ج1.

2 - المسيب بفتح الياء وكسرها، والأول أشهر مع أنه يكرهه، ولذا كان أهل المدينة ينطقونه بالكسر.

3 - ص 220، ج1.

4 - وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار، واختلف في السابع فقيل سالم بن عبد الله بن عمر وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعلى القول الأخير جمعهم الشاعر فقال:

فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيداً أبو بكر سليمان خارجة.

يدل على ورعه وشدة تثبته، ما روي أنه كان لا يفتي فتياً ولا يقول شيئاً إلا قال: (اللهم سلمني وسلم مني). قال الحفاظ: إنه كان أعلم الناس بحديث أبي هريرة لأنه زوج ابنته، ولذا قال بعض العلماء إن مراسيل سعيد بن المسيب يحتج بها لأنها فتشت فوجدت مسندة، توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه سنة ثلاث وتسعين هجرية.

6- قتادة بن دعامة: هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة[1] بن قتادة السدوسي[2] البصري، ولد رحمه الله كفيف البصر، تلقى العلم والحديث عن أنس بن مالك وأبي الطفيل وعكرمة والشعبي وغيرهم وأخذ عنه كثيرون، منهم الأعمش وسليمان التيمي وحميد الطويل وشعبة والأوزاعي وغيرهم، وكان من تلاميذ مدرسة التفسير بالعراق. أجمع العلماء على توثيقه وجودة حفظه وإتقانه وفضله. قال سعيد بن المسيب: (ما أتانا عراقي أحفظ من قتادة). وقال بكر بن عبد الله: (من سره أن ينظر إلى أحفظ رجل أدركنا وأحرى أن يؤدي الحديث كما سمعه فلينظر إلى قتادة)[3] واحتج به أصحاب الكتب الستة، توفي رحمه الله ورضي عنه سنة سبع عشرة ومائة.

7- الحسن البصري: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري بالولاء[4]. وأمه خيرة مولاة لأم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، سمع من ابن عمر وأنس بن مالك وقيس بن عاصم ومنذر بن عبد الله وغيرهم من الصحابة والتابعين، وروى عنه كثيرون من التابعين وتابع التابعين. وكان رحمه الله موصوفاً بالثقة وغزارة العلم والفضل، وأجمع العلماء على جلالته في جميع الفنون، قال النووي: (روينا عن محمد ابن سعد قال: كان الحسن جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم

---

1 – دعامة بكسر الدال.

2 – نسبة إلى سدوسي أحد أجداده القدامى.

3 – ص 221، جـ1، من التهذيب للنووي.

4 – قيل كان أبوه يسار مولى لزيد بن ثابت.

فصيحاً[1]. وقال العلماء ربما اكتسب الفصاحة من أم المؤمنين أم سلمة، لأنها كانت في بعض الأحيان ترضعه عـــندما يبكي وأمه مشغولة، فيدر عليه ثديها ولو لم تكن آنذاك ذات ولد.

هذا، وقد رويت للحسن روايات كثيرة في التفسير اعتمدها العلماء واخذوا بها، منها ما روي، في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾، قال الحسن: كان غنياً عن مشاورتهم، ولكنه أراد أن يستنّ به الحكام بعده. توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه سنة عشر ومائة هجرية.

8- **الضحاك:** وهو الضحاك بن مزاحم الهلالي بالولاء الخورساني، روى عن بعض الصحابة وأخذ عنهم العلم، وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة، وكان له شهرة بالتفسير. توفي رحمه الله سنة خمس ومائة.

5- كتب التفسير بالمأثور:

علمنا فيما سبق أن التفسير بالمأثور يشمل تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، وبأقوال الصحابة، وبأقوال التابعين. وقد عرفنا نبذة مختصرة تنير لنا الطريق في جميع هذه الأقسام، وبقي أن نعرف أطوار هذا اللون من التفسير بعد عصر التابعين، وما هي الكتب التي ألفت فيه، وفيما يلي البيان:

في أواخر القرن الثاني الهجري وما بعد ذلك حتى القرن الرابع، نشطت حركة التأليف في التفسير بالمأثور على أيدي أتباع التابعين وتابعيهم، وكانت كتبهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين في التفسير[2]، وبعضها كان مختلطاً بالحديث وبعضها كان

---

1 - تهذيب الأسماء واللغات،ص 153، جـــ1.

2 - إلا تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يشمل إلى جانب أقوال الصحابة والتابعين بعض الآراء والاجتهادات والترجيح بين الأقوال والاعاريب والقراءات.

تفسيراً مستقلاً، والعلماء الذين كتبوا في التفسير على هذا النحو كثيرون، عدّ منهم البعض واحداً وعشرين عالماً، من بينهم:

- الإمام سفيان الثوري المتوفي سنة 161 هـ.
- أبو بكر بن أبي شيبة، المتوفي سنة 235هـ.
- الإمام أحمد بن حنبل، المتوفي سنة 246هـ.
- الإمام البخاري، المتوفي سنة 256هـ.
- الإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفي سنة 310هـ.
- الإمام ابن أبي حاتم، المتوفي سنة 327هـ.
- الإمام الحاكم ، المتوفي سنة 405هـ.

هذا، وعلى الرغم من كثرة ما أُلّف في التفسير بالمأثور ابتداءً من طبقة التابعين فمن بعدهم إلى العصر الحاضر، فإن الذي وصل إلينا منها كان قليلاً وما طبع منها وتداوله أهل العلم كان أقلّ من القليل، وفيما يلي بيان لبعض الكتب المشهورة والمطبوعة مع التعريف بمؤلفيها، حتى يتسنى للطالب الرجوع إليها ودراستها، وهو على بينة وعلم فيما يدرس ولمن يدرس، وهي:

جامع البيان في تفسير القرآن (للطبري)

التعريف بمؤلف هذا التفسير: هو الإمام أبو جعفر محمد بن يزيد الطبري نسبة إلى طبرستان، ولد بها سنة 224 هجرية ورحل طالباً للعلم وسنه ست عشرة سنة إلى الشام ومصر وغيرها، وأخيراً استقر في بغداد وتوفي بها سنة 310 هـ.

كان رحمه الله إماماً في التفسير لا يبارى لذلك لقبه العلماء بأبي التفسير، كما اعتبر أباً للتاريخ أيضا[1]، وهو معدود من الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب المستقلة، قال الداودي صاحب طبقات المفسرين:

(وهو أحد الأئمة الأعلام يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفقهه، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله بصيراً بالقرآن عارفاً بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام)[2]. وقد خلف لنا هذا الإمام تأليفات كثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام والقراءات وغيرها.

قيمة الكتاب العلمية ومنهجه في التفسير:

تفسير الطبري يعتبر بحق من أهم مراجع التفسير بالمأثور وأقومها واشهرها، بل وأقدمها وأوسعها علماً، فإنه يتألف من ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير، وإلى جانب ذلك فإنه يعتبر مرجعاً أيضا في التفسير العقلي – التفسير بالرأي-. ولقد ذكرت آنفاً أن تفسير الطبري يمتاز إلى جانب التفسير بالمأثور، بالاستنباط وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض بالاستشهاد على ذلك بأقوال العرب، وخلاصة ما قيل في قيمة هذا التفسير العلمية أن الباحثين من العلماء في الشرق والغرب قد أجمعوا على عظم قدره، واتفقوا على أنه مرجع هام لا غنى لطالب التفسير عنه. أما منهجه في التفسير فنراه عند الشروع في تفسير الآية، يقول: القول في تأويل قوله تعالى كذا ثم يفسر الآية أو الآيات تفسيراً مجملاً، وبعد

---

1 – وذلك لتأليفه كتابا قيما وموسعا في التاريخ وهو: تاريخ الأمم والملوك.

2 – جـ2، ص109.

ذلك يورد ما نقل في تفسيرها عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين بسنده كاملاً، وإذا كان في تفسير الآية قولان أو أكثر يذكر كل ما فيها من أقوال ويستشهد لكل منها بالمأثور وبالفصيح من أقوال العرب، ولا يقف عند هذا الحد بل يوجه ويرجح بعض الأقوال على بعض ويتعرض لبعض القراءات والإعراب، وأخيراً يعقب بذكر ما يؤخذ من الآية من أحكام، وهو مطبوع في ثلاثين مجلداً ومتداول بين أهل العلم.

2- معالم التنـــزيل (للبغوي)

التعريف بالمؤلف: هو الإمام أبو محمد محي السُّنَّة الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي[1] الشافعي.

عاش في القرن الخامس الهجري وكانت وفاته سنة 510هـ، وهو معدود في المحدثين والفقهاء إلى جانب براعته في تفسير القرآن الكريم، واشتهر بالصلاح والتقوى والورع. قال التاج السبكي: (كان إماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل)[2].

قيمة تفسيره العلمية ومنهجه في التفسير:

يحدثنا الإمام الخازن في مقدمة تفسيره عن قيمة البغوي فيقول: (إنه من أجل المصنفات في التفسير وأعلاها وأنبلها وأسماها، جامعاً للصحيح من الأقاويل، عارياً عن الشبه والتصحيف والتبديل، محلّى بالأحاديث النبوية، مطرزاً بالأحكام الشرعية، موشّى

---

[1] – الفراء : نسبة إلى عمل الفراء وبيعها، والبغوي: نسبة إلى بلده بخورسان بين مرو وهراة يقال لها بغ وبغشور، وهي نسبة شاذة على خلاف الأصل، نقله عن السمعاني الشيخ الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، ص 235، جـ1.

[2] – التفسير والمفسرون للذهبي، ص 235، ج1.

بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة، مرصعاً بأحسن الإشارات، مخرجاً بأوضح العبارات ، مفرغاً في قالب الجمال بأفصح مقال[1].

وهذا التفسير مختصر من تفسير الثعلبي القصاص[2] إلا أنه مصون من الأحاديث الموضوعة وكثرة الإسرائيليات والبدع، وقد فضله الإمام ابن تيمية - رحمه الله - على تفسير القرطبي والزمخشري حين سئل عن أيهما أفضل، فقال: (وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي)[3].

وتفسير البغوي مطبوع مع تفسير ابن كثير ومع تفسير الخازن ومتداول بين العلماء.

أما طريقته في التفسير فتتلخص كالآتي:

يبدأ أولاً بتفسير الآية أو الآيات تفسيراً مجملاً سهلاً، ثم يذكر ما جاء فيها من الآثار عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين بدون أن يذكر سنداً لما يرويه اكتفاءً ببيان سنده الكامل إلى من يروي عنهم في مقدمة تفسيره، فكان يكتفي أثناء التفسير بالقول: (وعن ابن عباس كذا وعن عكرمة كذا أو عن مجاهد أو عطاء أو غيرهم)، وهو أيضاً قد بيّن مدى صحة ما ينقل من الآثار ومبلغ درجته في الصحة في مقدمة تفسيره فقال: (وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان

---

1 - نقله الذهبي في كتابه: التفسير والمفسرون، ص 236.
2 - وهو المسمى الكشف والبيان عن تفسير القرآن، والثعلبي من علماء القرن الخامس الهجري.
3 - التفسير والمفسرون، جـ1، ص 236.

حكم فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير)[1].

3. تفسير القرآن العظيم لابن كثير

التعريف بالمؤلف: هو الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي، ولد بقرية شرقي بصرى من بلاد الشام سنة 701 هجرية ، وتوفي سنة 774هجرية.

اشتهر رحمه الله بالتفسير ونبغ في الحديث وأحوال الرجال حتى عدّ من الأئمة النقاد، يشهد بهذا ما يلاحظه القارئ في تفسيره من النقد والتمحيص والتصحيح والرد والتضعيف لما يروى من الآثار، وألف أيضاً في التاريخ كتابه (البداية والنهاية). وكتابه المشهور في قصص الأنبياء يشهد بضلوعه في هذا الفن؟ كتب في الفقه على المذهب الشافعي وفي الطبقات والمناقب، وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية الذي كان يقلده ويأخذ برأيه، ولقد شهد له أحد شيوخه بغزارة علمه في الفنون المذكورة آنفاً فقال: (فقيه متفنّن ومحدث متقِن ومفسّر نقّاد)[2] كما شهد له أحد تلاميذه بما يقرب من هذا، فقال: (إنه كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث واعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها وكان شيوخه وأقرانه يعترفون له بذلك)[3].

---

1 - جـ1، ص9.
2 - طبقات المفسرين، جـ1، ص110-111.
3 - طبقات المفسرين، جـ1، ص110-111.

منهجه وقيمة تفسيره العلمية:

يبدأ ابن كثير في تفسير الآية بذكر شواهد ونظائر تؤيدها وتتفق معها في إفادة الغرض المقصود، وهو أكثر كتب التفسير سرداً للآيات المتشابهة، ولا يقتصر علي مجرد ذكر الآيات، بل نراه يقارن بين الآيتين أو الآيات، وقد يفسرها تفسيراً مختصراً، ثم يعقب هذا بما ورد في الآية من الأحاديث المرفوعة، مبيناً ما يحتج به منها وما لا يحتج به، ثم يأتي بما يتعلق بالآية من أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف، وهو في كل هذا يذكر سنده المتصل إلى كل من يروي عنهم، مع العناية التامة بالنقد والتمحيص لمتون الأحاديث وأسانيدها، كذلك هو في أثناء ذلك ينبه على ما في الآثار من منكرات الإسرائيليات ويحذر منها ويبين ما فيها من فساد إجمالاً تارة، وتفصيلاً مرة أخرى، وهو مع هذا يرجح في بعض الأقوال على بعض، مؤيداً ما يراه موافقاً للأدلة، ويتكلم في الرواة تعديلاً وتجريحاً، وهذا يرجع إلى معرفته الفائقة بعلوم الحديث، وهي خصوصية جعلت هذا الكتاب يحظى بالقبول والاستحسان من كافة العلماء، وهو مطبوع في أربعة أجزاء كبيرة، ومتداول بين أهل العلم.

من هذه الطريقة في التفسير والمنهج القيم الذي سلكه العلامة ابن كثير، نرى أن كتابه هذا له قيمة علمية كبيرة ومنزلة عظيمة بين كتب التفسير عموماً، وهو الوحيد في كتب التفسير بالمأثور الذي يتعرض لنقد الروايات والتمييز بين صحيحها وسقيمها، نقداً مبنياً على علم تام بعلوم الحديث وأحوال رجاله، ولهذا قال العلماء الثقات أنه لم يؤلف علي نمطه مثله[1]، وقد اعتبروه الكتاب الثاني في التفسير بالمأثور بعد تفسير ابن جرير.

[1] – التفسير والمفسرون، جـ1، ص247.

ولسلامته من الإسرائيليات والموضوعات، أرى أنه لا غنى لطالب التفسير من الاطلاع عليه ومذاكرته جيداً والاعتناء بما فيه من نقد وتصفية لما علق بعلم التفسير من باطل، حتى يتمكن الطالب من فهم كلام الله فهماً صحيحاً سليماً.

4. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (للثعالبي)

التعريف بمؤلف هذا التفسير: هو الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، توفي سنة 876هـ. كان إماماً في التفسير، مشهوراً بالزهد والصلاح، له تآليف كثيرة في التفسير وغريب القرآن وإعرابه وفي العبادات، قال فيه الدكتور محمد حسين الذهبي: (هو الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع ولي الله الصالح العارف بالله، شهد له بهذه الصفات جماعة من شيوخه، منهم الولي العراقي والإمام الأبي وغيرهم، وقد تنقل في البلاد الإسلامية طالباً للعلم والمعرفة، فرحل إلى تونس وبجاية ومصر، وأخيراً أقام في موطنه الأول الجزائر، وتوفي هناك رحمه الله تعالى رحمة واسعة).

وصف تفسيره وقيمته العلمية:

تحدث الثعالبي نفسه عن تفسيره ووصفه، فقال في مقدمته: (قد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة حسب ما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما فيها من تأليف، إلا وهو لإمام مشهور بالدين ومعدود في المحققين).

ومن هذا الوصف يتضح لنا أن تفسيره هذا يشبه إلى حد بعيد في طريقته ومنهجه تفسير ابن عطية، وهي تتلخص في أنه يفسر الآية بعبارة سهلة عذبة، ثم يورد ما يتعلق بالآية

من المأثور ويختار منه في غير إكثار، وهو كثير النقل عن ابن جرير الطبري وأحياناً يناقشه في آرائه كما يناقش غيره ممن ينقل عنهم، ويستشهد بالشعر العربي كثيراً ويهتم بالصناعة النحوية والقراءات. وختاماً، فإن هذا الكتاب مهم جامع لما حواه عدد من الكتب السابقة عليه كتفسير ابن عطية، وهو مطبوع في الجزائر بلد المؤلف في أربعة أجزاء، وتوجد منه نسختان في مصر أحداهما في الجامعة الأزهرية، والأخرى في دار الكتب.

5- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (للسيوطي)

التعريف بالمؤلف: هو الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر ابن محمد السيوطي الشافعي، ولد سنة 849هـ، وتوفي سنة 911هـ، حفظ القرآن وهو صغير له من العمر ثماني سنين، وأخذ العلم عن عدد كبير من شيوخ عصره. نبغ في التفسير وعلوم القرآن وفي الحديث وعلومه حتى قال العلماء: (إنه كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه رجالاً وغريباً ومتناً وسنداً واستباطاً للأحكام)، وكان يحفظ مائة ألف حديث وله تأليفات كثيرة أوصلها بعض العلماء إلى خمسمائة مؤلف، أشهرها هذا التفسير والإتقان في علوم القرآن.

وصف تفسيره وقيمته العلمية:

ذكر الإمام السيوطي نفسه في الإتقان أن كتابه (الدر المنثور) ملخص من كتاب آخر له يسمى ترجمان القرآن، اختصر منه أسانيد الآثار التي رواها عن السلف لما رأى قصور أكثر الهمم عن تحصيل كتابه الأول ورغبتهم في الاقتصار عل المتون، وكان رحمه الله قد وصف كتابه المطول بقوله: (وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ فيه بضعة

عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف، وقد تم ولله الحمد في أربعة مجلدات وسميته ترجمان القرآن)[1]. هذا، والذي يطلع على كتابه -الدر المنثور - يجد أنه يسرد الروايات عن السلف بدون أن يعقب عليها بشيء فلا تعديل ولا تجريح ولا تضعيف ولا تصحيح كما فعل ابن كثير، فكان همه الجمع لا غير. أتى بكل المأثور في الكتب السابقة عليه[2] من غير تحرٍّ للصحة فيما يروى مع أهليته التامة للنقد والتصحيح.

ولهذا، فإن تفسيره هذا محتاج إلى تصفية تبيّن غثّه من سمينه، وهو مطبوع في ستة مجلدات ومتداول بين المفسرين، ومن الجدير بالذكر أن تفسير السيوطي هذا يمتاز على ما سواه من الكتب التي سبق الكلام عليها بأنه غير مخلوط بشيء غير التفسير الأثري، وأما تلك الكتب فإنها اشتملت على شيء من التفسير العقلي إلى جانب التفسير النقلي كما تقدم أثناء الكلام عليها، وإنما صح اعتبارها من كتب التفسير بالمأثور لأنه يغلب عليها ذلك، والحكم للغالب كما قيل.

6- القيمة العلمية للتفسير بالمأثور عموماً:

تبين لنا مما تقدم أثناء الكلام عن المفسرين بالمأثور وعن الكتب المؤلفة فيه، أن هذا اللون من التفسير له قيمته العلمية الفائقة ومنزلته العظمى عند المفسرين قديماً وحديثاً، سواء منهم من اعتمد في تفسيره على الآثار المروية، أو أولئك الذين يفسرون القرآن بآرائهم حسب قواعد معروفة يأتي الكلام عليها، وذلك لأنه المرجع الوحيد لكلي من أراد فهم كلام الله الحكيم على ضوء النقل والرواية، كذلك هو الأساس المتين الذي بني عليه التفسير العقلي. ومع هذا، وعلى الرغم ما للتفسير بالمأثور من الأهمية، ينبغي للمفسر

---

[1] - التفسير والمفسرون للذهبي، ص 254 ،جـ1.

[2] - كالبخاري ومسلم والحاكم وغيرهم من كتبة الحديث.

المتبصر أن يحترس فيحذر كل الحذر عند الأخذ بشيء من المأثور خوف الوقوع في شرك الموضوعات والإسرائيليات، وذلك لأن الكتب المؤلفة في المأثور والتي سبق الكلام على بعضها، قد أكثرت من النقل والجمع من غير تفرقة بين الصحيح وغيره ودون تحرٍّ لصحة إسناد ما تروي، فكثر فيها الدخيل من منكرات الإسرائيليات والأقوال الموضوعة المكذوبة على النبي ﷺ وعلى الصحابة والتابعين المنافية لروح الإسلام، البعيدة عن مقاصد الشريعة ومراميها، بل وقد يوجد فيها المناقض للمعقول وللقواعد العلمية الثابتة، الأمر الذي جعل المشتغلين بعلوم التفسير لا يستطيعون التمييز بين ما يأخذون وما يذرون، وصار الواحد منهم لا يطمئن إلى نقل شيء منه بالمرة، وركز بعضهم اهتمامه على التفسير العقلي فقط.

وكان من آثار ذلك الإكثار وما ترتب عليه من اختلاط بين الصحيح والسقيم أن انفتح المجال أمام المبشرين والمستشرقين من أعداء الإسلام إلى الطعن في التفسير بالمأثور عن طريق أقوال مسندة إلى أئمته، مستغلين الاختلاف بين الرواة وتناقض المنقول عنهم، مستدلين بذلك على بطلانه وعدم الثقة به، واتخذوا هذا ذريعة لصد الناس عن الدخول في الإسلام.

حقاً، إن ما اشتملت عليه بعض تلك الإسرائيليات من الخرافات والأباطيل الملصقة بالإسلام، لكفيل بأن يصد أي إنسان مهما بلغ من التسامح في هذا العصر الذي نعيش فيه عن الدخول في الإسلام، ويحمله على أن ينظر إليه نظرة شك وارتياب لو بقيت تلك الإسرائيليات والموضوعات على ما هي عليه، ولكن الله تعالى (وله الحمد) قيض لحفظ دينه النقاد من أئمة الحديث وجهابذته[1]، فوقفوا لأولئك الأعداء بالمرصاد وألفوا الكتب ودونوا الدواوين الخاصة بالنقد والتمحيص وميزوا فيها الصحيح من العليل، وبينوا الحسن والضعيف والموضوع، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك فألفوا كتباً خاصة

[1] – جمع جهبذ بكسر الجيم والباء، وهو الناقد الخبير العالم.

بالموضوعات[1] كشفوا عن عوارها وحذروا الناس من الاغترار بها، فما بقي لنا الآن إلا تنقية كتب التفسير بالمأثور وتصفيتها مما علق بها من هذه الأباطيل التي نص عليها العلماء وبينوها بياناً شافياً، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله أحسن الجزاء، إنه سميع مجيب.

7- ثانياً:- التفسير بالرأي[2]

يقتضي منا المنهج المقرر في هذه النقطة أن نتكلم في موضوعات متعددة ومهمة، حتى نتمكن من الإحاطة بها من جميع النواحي. وفيما يلي تفصيل لها:

1- **معنى التفسير بالرأي:** تقدم لنا في أول هذا المبحث بيان المراد من التفسير، وأما الرأي فيطلق على الاجتهاد وعلى الاعتقاد وعلى القياس، والإطلاق الأول هو المناسب هنا وعليه يكون معنى التفسير بالرأي هو: (فهم كلام الله تعالى بالاجتهاد بشرط أن يكون المفسر عارفاً بألفاظ اللغة العربية مدركاً لمعانيها ودلالاتها، مع الإلمام التام بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، وما إلى ذلك مما يأتي ذكره في الكلام على الشروط التي لا بد منها لمن يتصدى للتفسير).

2- **الجائز وغير الجائز من التفسير بالرأي:** اختلف العلماء في جواز التفسير بالرأي وعدم جوازه على قولين متعارضين. فبعضهم قال بمنعه لأنه قول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم منهي عنه. والأكثرون قالوا بالجواز لأن الله تعالى أمرنا بتدبر القرآن للاتعاظ بعظاته والاعتبار بآياته، وهذا لا يتيسر إلاّ بالتفسير بالرأي، والاجتهاد فيما لم يرد فيه شيء من المأثور، وفي ما لم يستأثر الله بعلمه من المتشابه، وهو خلاف قديم مروي عن الصحابة والتابعين. فقد نقل أن فريقاً منهم أمسكوا عن

---

[1] - مثل اللآلئ المصنوعة من الأحاديث الموضوعة للسيوطي.

[2] - وهي النقطة الثانية والأخيرة بالنسبة لقسمي التفسير المعتبر، وهي سابعة بالنسبة لجميع النقاط الواردة في هذا المبحث كما في ص 179.

الكلام في القرآن بآرائهم وتحرجوا من الخوض في كلام الله تعالى من عند أنفسهم، وممن روي عنهم هذا القول أبو بكر الصديق[1] وسعيد بن المسيب[2]، والشعبي[3]، وغيرهم، واستدلوا لما ذهبوا إليه بأحاديث رووها عن النبي ﷺ، ومنها:

أ. ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ، أنه قال: (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار). قال أبو عيسى هذا الحديث حسن[4].

ب. ما رواه أبو داوود والترمذي عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ".

ويقابل هؤلاء فريق آخر يرون أن تفسير القرآن بالرأي جائز بل ومندوب إليه، ومرغب فيه من القرآن الكريم نفسه ومن السنة النبوية المطهرة، وأصحاب هذا الرأي هم الأكثرون من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من السلف والخلف وهو القول الصحيح المعول عليه عند المفسرين، واعتمد القائلون به على أدلة عديدة، منها ما يلي:

أ. جاءت الآيات القرآنية الكريمة مؤيدة له، وهي الآيات التي تحث على تدبر القرآن وفهمه مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[5].

---

1 – روي أنه سئل عن حرف من كتاب الله فقال: اي سماء تظلني واي أرض تقلني وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله تبارك وتعالى. من (التفسير والمفسرون) جـ1، ص 260.

2 – روي عن سعيد أنه إذا سئل عن الحلال تكلم، وذا سئل عن آية من القرآن سكت، كأن لم يسمع شيئاً، المصدر السالف.

3 – ولما الشعبي فقد روي عنه قوله: ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن والروح والرؤى، المصدر السالف.

4 – لنظر مناهل العرفان، جـ2، ص55.

5 – الآية 24 من سورة محمد ﷺ .

ب. بما ثبت عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم كانوا يفسرون القرآن ويختلفون فيه على وجوه ولم يكن كل ما قالوه منقولاً عن النبي ﷺ، فثبت أن بعضه من اجتهاداتهم وآرائهم الخاصة، فدل ذلك على جواز التفسير بالرأي.

ج. لو كان التفسير بالرأي ممنوعاً لبطل الاجتهاد ولتعطلت كثير من الأحكام الشرعية المستنبطة من القرآن الكريم، لأن النبي ﷺ لم يفسر لنا جميع آيات القرآن ولم يبين لنا جميع الأحكام المأخوذة منه، فيكون بعض الأحكام المعروفة على الأقل مأخوذاً من القرآن عن طريق التفسير بالرأي.

مناقشة أدلة القائلين بالمنع وتحقيق الخلاف بين الرأيين:

إننا إذا رجعنا إلى كتب التفسير وعلوم القرآن لوجدنا أن المجيزين للتفسير بالرأي لم يكتفوا بالاستدلال فحسب، بل ناقشوا أدلة المانعين وأجابوا عنها بأجوبة شافية كافية لإقناع المنصف، ويمكن تلخيصها في ما يلي:

1. إن تحرج من تحرج من الصحابة والتابعين محمول على التورع والأخذ بالأحوط لأنفسهم مخافة ألاّ يوافقوا مراد الله تعالى في الواقع، مع علمهم بأن القول في التفسير غير متعين عليهم وإلا لما تحرجوا منه، يدل على هذا ويؤيده ما نقل وتواتر من الروايات الكثيرة في التفسير بالرأي عن الصحابة والتابعين، بل وعن المتحرجين منهم. روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ما يعارض ما ذكر وينقضه، فقد قال حين سئل عن الكلالة: (أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأً فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه): الكلالة من لا ولد له ولا والد، فلما ولّيّ الخلافة الفاروق عمر

رضي الله تعالى قال: (إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه)، رواه ابن جرير الطبري وغيره[1].

هذا، ومن العلماء المحققين من حمل إحجامهم عن القول في القرآن على ما لم يعلموا وجه الصواب فيه، أما ما علموه فكانوا يظهرون ما يبدو لهم. قال الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره: (فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه[2].

2. وأما الحديثان الشريفان الواردان في المنع، فمن الجائز حملهما على التفسير بمجرد الرأي من غير دليل نقلي ولا سند عقلي، أو أن المراد بالرأي هو: القول في القرآن بالهوى والغرض الذي يميل إليه الشخص وذلك بأن يجعل غرضه الخاص أصلاً والقرآن تبعاً له، فيتأوله حسب غرضه وهواه، ويمكن حمل الرأي المذكور في الحديثين على القول في خصوص المتشابه والمشكل من القرآن، الذي لا يعلم إلا عن طريق النقل والرواية عن المعصوم ﷺ هذا مع العلم بأن الحديث الثاني المروي عن جندب رضي الله تعالى عنه تقوّل فيه بعض المحققين من العلماء مثل البخاري ومسلم وابن معين، وغيرهم.

حقيقة الخلاف:

ذكر بعض العلماء أن الخلاف بين الفريقين غير حقيقي، وذلك بجعل التفسير بالرأي نوعين: نوع محمود ونوع مذموم، ويحمل قول كلٍ منهما علي نوعٍ، فمن أجاز التفسير بالرأي حمل قوله على المحمود، ومن منعه حمل قوله على المذموم، والتفسير بالرأي المحمود هو الذي توافرت فيه شروط معينة نص عليها العلماء، وقد تقدم بعضها، وهي التي

---

1 – الإتقان، جـ2، ص 119.

2 – تفسير ابن كثير، جـ2، ص 370.

ذكرها السيوطي رحمه الله في الإتقان تبعاً للزركشي وسماها مآخذ التفسير فقال: (للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثانية: الأخذ بقول الصحابي قيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه[1].

الثالثة : الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

الرابعة: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله: ((اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل))[2].

والخلاصة: أن التفسير بالرأي المحمود يجب أن يلاحظ فيه النقل الصحيح عن النبي ﷺ أو عن صحابته مما من شأنه أن ينير السبيل أمام المفسر باجتهاده مع معرفته التامة بقوانين اللغة وألفاظها وأساليبها، وإحاطته الشاملة بأصول الشريعة وعلوم القرآن، مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرهما، وما خلا مما ذكر فهو التفسير المذموم كتفاسير الباطنية والمبتدعة، وأمثلة كل من هذين النوعين ومناهج المفسرين المختلفة نقرؤه في النقاط التالية:

ثالثاً:- مناهج المفسرين بالرأي:

عندما ندرس الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي نلاحظ أنها ليست خاصة بهذا اللون من التفسير، وغاية ما في الأمر، أنه يغلب عليها الاجتهاد والاستنباط ويوجد فيها

---

1 - هذا بالإضافة إلى شرط آخر، وهو أن لا يكون الصحابي مشهوراً، برواية الإسرائيليات.

2 - لعل المقصود من قوله: وعلمه أي أنه دعــا الله بأن يعلمه إياه.

شيء من المأثور. فالتسمية أغلبية، كما نلاحظ أن أصحابها سلكوا في تأليفها طرائق عدة ومناهج مختلفة، ومعظمهم نراه يقتصر في تفسيره على ما برع فيه من علوم، أو على الأقل يتوسع فيه ويهمل الكلام في غيره أو يوجزه، فالمبرز في الفقه والأحكام الشرعية كالإمام القرطبي نراه يتوسع في تفريع المسائل الفقهية ويورد الأدلة المؤيدة لمذهبه ويرد على المخالفين وينقض أدلتهم، والبارع في النحو والإعراب كأبي حيان يولي أعظم اهتمامه بالأوجه الإعرابية المحتملة ويفصلها ويوجهها، ويكثر من نقل القواعد النحوية وعللها وأمثلتها، وما إلى ذلك.

كذلك نرى أصحاب العلوم العقلية والكلامية مثل الفخر الرازي يغرمون بتفصيل أقوال الفلاسفة والحكماء، ويردون عليها في تفاسيرهم.

وأيضاً، فعل مثل هؤلاء الإخباريون وأهل السير كالثعلبي، فقد وجّهوا جل عنايتهم إلى استقصاء القصص والأخبار عمن سبق من الأمم وأنبيائهم، حتى وقعوا في ذكر الموضوعات وما لا أصل له من الإسرائيليات.

والمتصوفة وأهل الإشارات، كابن العربي[1]، نراهم يتوسعون في الترغيب والترهيب والزهد والرضى بالقليل ويفسرون القرآن الكريم بالأذواق والمواجيد، وجاء أهل البدع والأهواء الفاسدة والضلالات فأولوا القرآن وحرّفوا معانيه حتى يوافق مذاهبهم ويؤيد عقائدهم ويجاري أغراضهم الفاسدة.

وأخيراً، جاء علماء متأخرون وغالوا في التفسير حتى جعلوه يشمل علوم الأولين والآخرين، بما في ذلك، العلوم الكونية والطبيعية والرياضية كالشيخ طنطاوي جوهري، ونسوا أو تناسوا أن القرآن كتاب هداية وإعجاز، فالواجب على المفسر المقتصد أن يكون

[1] - هو أبو بكر محي الدين محمد بن العربي الاندلسي، وينطقه المشارقة ابن عربي بدون تعريف للفرق بينه وبين ابن العربي الفقيه صاحب أحكام القرآن، توفي سنة 638هـ بدمشق.

مقصده الأصلي وهدفه الأعلى إظهار هداية الله من كلامه وبيان وجوه إعجازه لتحقيق تلك الهداية وذلك الإعجاز على أكمل وجه وأفضله.

أ – تفسير أهل السنة وأهم كتبه

عنوان هذه النقطة اختلف التعبير عنه عند الكاتبين في علوم القرآن بتعبيرات مختلفة، فبعضهم جعلها تحت عنوان – التفسير بالرأي الجائز –[1]، وبعضهم ذكرها بعنوان –التفسير بالرأي المحمود– بينما نراها في المنهج المقرر بعنوان –تفسير أهل السنّة– والمعنى في كلٍّ متقارب إذ لا يكاد يوجد تفسير لغير أهل السنّة اعتبر من التفسير الجائز أو المحمود، وذلك لما اشتملت عليه تفاسير الفرق المخالفة من الضلال والانحراف عن القصد الصحيح غالباً.

والذي يعنينا من هذا، أن المقصود من تفسير أهل السنّة هو ما يقصده البعض من التفسير بالرأي المحمود أو الجائز، والمقصود من الكتب المؤلفة في تفسير أهل السنّة هي تلك الكتب التي اعتمد أصحابها في تأليفها عل التفسير بالرأي الموفق الذي يجمع بين المنقول من صحيح أقوال النبي ﷺ، وأقوال صحابته وتابعيهم مع حذف السند، وبين الآراء المعتدلة المبنية على القواعد الصحيحة المستقيمة.

ومن هنا يعلم أن الكتب التي سنعرضها تشمل إلى جانب التفسير بالرأي المحض بعض المأثور عن السلف، إذ من شرط التفسير بالرأي السديد اعتماده على النقل الصحيح.

وأيضاً، فإن هذه الكتب متعددة الاتجاهات والمشارب لأن كل مؤلف من مؤلفيها توسع في الناحية التي نبغ فيها من العلوم كما تقدم قريباً، إلا أن هذا لا يضيرنا، ما دامت كلها تنضوي تحت اسم تفسير أهل السنة. هذا، والذي كتب له البقاء من هذه الكتب

---

[1] – كالشيخ موسى شاهين في اللآلئ الحسان، والشيخ محمد حسين الذهبي في التفسير والمفسرين.

ووصل إلينا مطبوعاً أو مخطوطاً كثير جداً بحيث يتعذر إحصاؤه والإحاطة به، فضلا عن بيان اتجاهات تلك الكتب وخصائصها، ونحن نكتفي ببيان موجز للمشهور والمطبوع من كتب أهل السنة المتداولة بين أهل العلم.

أهم كتب تفسير أهل السنّة

أ-بيان مجمل وهو كالآتي مرتب حسب أقدمية المؤلفين:

1. أحكام القرآن – لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الشهير بالجصاص، من فقهاء الحنفية، توفي سنة 370هـ.
2. أحكام القرآن – لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الشافعي المشهور بالكيا[1]، الهراسي، توفي سنة 504هـ.
3. أحكام القرآن – للإمام محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي الشهير بابن العربي، توفي سنة 543هـ.
4. مفاتيح الغيب – للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي[2] الشهير بالفخر الرازي، توفي سنة 606هـ.
5. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن – للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المتوفي سنة 671هـ.
6. أنوار التتريل وأسرار التأويل – للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي، المتوفي سنة 691هـ.

---

1 – الكيا: كلمة أعجمية معناها كبير المقدار.

2 – الرازى نسبة إلى الري على غير قياس، نسب إليها لأنه كان خطيبها وقد يلقب بخطيب الريّ.

7. مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات عبد الله بن أحمد الشهير بالنسفي، المتوفى سنة 701هـ.

8. غرائب القرآن ورغائب الفرقان - للإمام نظام الدين الحسن بن محمد الخرساني النيسابوري - المتوفي سنة 728هـ.

9. لباب التأويل في معاني التنزيل - للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشافعي الشهير بالخازن، توفي سنة 741هـ.

10. البحر المحيط- للإمام أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الشهير بأبي حيان، المتوفي سنة 754هـ.

11. تفسير الجلالين - لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، الأول توفي سنة 911هـ، والثاني توفي سنة 864هـ.

12. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير- للإمام شمس الدين محمد بن محمد الشربيني الشافعي الشهير بالخطيب الشربيني، توفي سنة 977هـ.

13. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - للإمام أبي السعود محمد بن محمد ابن مصطفى العمادي الحنفي، المتوفي سنة 982هـ.

14. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني- للإمام أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الإله الألوسي[1]، المتوفي سنة 1270هـ.

---

[1] - نسبة إلى ألوس جزيرة في نهر الفرات بين بغداد والشام كانت موطن أهله وأجداده.

ب – بيان تفصيلي لبعض التفاسير:

اخترت من بين هذه التفاسير خمسة للكلام عليها بشيء من التفصيل مبيناً خصائصها وطريقة تأليفها، وهي تمثل تقريباً أغلب اتجاهات المفسرين بالرأي من أهل السنة، ففيها المؤلف على مهج المتكلمين، وفيها الجاري عل طريقة الفقهاء أو النحويين، وفيها المطول، وفيها الموجز أو بين ذلك، وهي كالآتي:-

1- مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي:

يعتبر هذا التفسير من تفاسير أهل الكلام ومؤلفه من المنتصرين لأهل السنّة المنافحين عن عقائدهم، وهو من أصل عربي قرشي، عاش في القرن السادس الهجري ببلده الري وتنقل في كثير من البلاد الإسلامية طالباً للعلم ومعلماً، وكانت أكثر إقامته بخوارزم، وخلف ثروة علمية قيّمة في الأصول والحكمة والتفسير، ومن بينها وأجلها تفسيره الكبير مفاتيح الغيب، توفي رحمه الله سنة 606 بِهُراة.

وصف الكتاب وقيمته العلمية:

تفسير الفخر الرازي من أجل التفاسير وأوفاها وأوسعها، وخصوصاً في النواحي الكونية ومباحث علم الكلام المتعلقة بالآيات الكريمة، ونرى مؤلفة يبذل جهداً واسعاً في تأيد مذهب أهل السنّة والجماعة والرد على مخالفيهم من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، حتى وصل به الحال إلى التعمق في إيراد شُبه المخالفين وتفصيلها بما لا يستطع الخصم نفسه الإتيان به، وهو أيضاً إلى جانب ما ذكر يهتم بربط الآيات والسور بعضها ببعض، هذا مع العناية التامة بالمباحث العلمية اللغوية والبلاغية للآيات، ويوصف أيضا بالإقلال من الإسرائيليات والموضوعات ولا يذكر شيئاً منها إلا ليبطله ويرد على من يذكره. هذا، وممن نحا نحو هذا الكتاب في طريقته السالفة الإمام النيسابوري في تفسيره حتى اعتبره

البعض أنه مختصر من مفاتيح الغيب مع زيادة تأويلات اختص بها وهي تتعلق بالتفسير الإشاري، أي الذي تشير إليه الآيات ولا يفهم من ظاهرها.

2- الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي :

وهو من التفاسير الفقهية على مذهب الإمام مالك -رحمه الله- والقرطبي مؤلف هذا التفسير كان إماماً في التفسير إلى جانب نبوغه في الفقه المالكي كما يظهر ذلك واضحاً في تفسيره، وهو أيضاً موصوف بالتقوى والصلاح والزهد يصحب العلم بالعمل، ومما يدل على ما ذكرت، ما خلف لنا من مصنفات في الوعظ والإرشاد وأسماء الله الحسنى، ومن أهمها وأجلها كتابه في التفسير الجامع لأحكام القرآن.

وصف الكتاب وبيان طريقته في التفسير:

يعتبر هذا التفسير من أهم مراجع التفسير وأحكام الشريعة، فقد جمع فيه مؤلفه كل ما يتعلق بالآيات من المباحث التفسيرية العامة إلى جانب ما. يدل عليه من الأحكام الفقهية الفرعية مفصلة على مذهب المالكية، وأكثر من التفريعات والاستنباط والاستدلال والرد على المخالفين حتى انتقد في ذلك. وقد برر صنيعه هذا في مقدمة تفسيره بأنه أكثر من الأحكام بدلاً من رواية الأخبار وقصص السابقين، ومن ميزات تفسير القرطبي أنه يخرج الأحاديث التي يوردها أثناء التفسير، وذلك بعزوها إلى قائلها من أصحاب كتب الحديث الشهيرة. وهو أيضاً مقلّ من الإسرائيليات والموضوعات وإذا ذكر منها شيئاً فكثيراً ما يكّر عليه بالإنكار والإبطال، وخصوصاً ما كان منها مخلاً بعصمة الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام. هذا، ومن التفاسير السنية التي اهتمت بالأحكام الفقهية أحكام القرآن لابن العربي المالكي، وأحكام القرآن للجصاص الحنفي، وأحكام القرآن للكيا الهراسي من فقهاء الشافعية.

3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل – (للنسفي):

وهو من كتب التفسير المتوسطة، لا هو بالطويل الممل ولا الموجز المخلّ، ومؤلفه الإمام النسفي من علماء الأحناف السنيين المدافعين عن عقائدهم وآرائهم، صاحب التآليف الشهيرة في الأصول والفقه الحنفي حتى عد آخر المجتهدين فيه، هذا إلى جانب براعته في التفسير والحديث وعلم أصول الدين، يدل لهذا ما نراه في تفسيره من تحقيق مسائل الخلاف بين المعتزلة وأهل السنّة.

وصف الكتاب وأهميته العلمية:

ذكر العلماء أن تفسير النسفي هذا مختصر من تفسير الزمخشري المعتزلي، ومن تفسير البيضاوي السني، إلا أنه أسقط ما في كشاف الزمخشري من المسائل الاعتزالية مع مناقشته فيها والرد عليه مدافعاً بذلك عن مذهب أهل السنّة والجماعة، هذا مع الإقلال من ذكر الأحاديث الموضوعة في فضائل السور مخالفاً بذلك أصله الكشاف الذي أكثر منها، ولقد خالفه أيضاً في عدم الإتيان بطريقة السؤال والجواب التي تميز بها الكشاف، فقد أدمج النسفي هذه المسائل في كلامه أثناء التفسير.

وقد ذكر النسفي في مقدمة تفسيره وصف كتابه فقال: (قد سألني من تتعين إجابته كتاباً وسطاً في التأويلات جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات متضمناً لعلمي البديع والإشارات، حالياً بأقاويل أهل السنّة والجماعة خالياً من أباطيل أهل البدع والضلالة[1]، وقد صدق هذا الوصف وأنجز ما وعد، فجاء كتابه شاملاً لما في الكشاف من الفوائد التفسيرية وخصوصاً ما كان منها متعلقاً بعلمي المعاني والبيان، متحاشياً لما فيه من المساوئ الاعتزالية، مع التنبيه على القراءات السبعة والأعاريب الضرورية، يذكر بعض القصص والروايات الإسرائيلية ويتعقبها أحيانا بالنقد والتمحيص. وأخيراً، فإن هذا

---

[1] - جـ1، ص2.

التفسير يعتبر شاملاً لكثير من مسائل التفسير مع الاختصار والتحقيق، لذلك اختير للدراسة في بعض كليات الجامعات الإسلامية، إلا أنه في بعض المواضيع يجد الدارس فيه شيئاً من الغموض، وأغلب الظن أنه ناشئ من اختصاره لعبارات من سبقه كالكشاف والبيضاوي . لهذا، ننصح بالاطلاع على هذين الأصلين عند دراسته.

ومن التفاسير التي تشبه تفسير النسفي تفسير البيضاوي والسراج المنير وتفسير أبي السعود، إلا أن الأخير يفوق التفاسير المذكورة بالمباحث البيانية والنكات البلاغية التي تظهر علو فصاحة الآيات القرآنية، وتبرز سر إعجاز القرآن الكريم في نظمه وأسلوبه.

4- تفسير البحر المحيط - (لأبي حيان):

وهو من التفاسير المعروفة بالنحو وتفريع المسائل الإعرابية، ومؤلفه الشهير بأبي حيان كان إماماً في اللغة العربية نحواً وصرفاً ومفردات وآداباً وفي القراءات جميعها، وله تأليفات في أغلب هذه العلوم، وخير دليل على ما ذكرت ما نراه في تفسيره (البحر المحيط).

وصف الكتاب وطريقته في التفسير:-

يقع هذا التفسير في ثماني مجلدات كبار اعتمد صاحبه في تأليفه على تفسيري ابن عطية والزمخشري، وهو من مراجع التفسير المهمة، وخصوصاً في المباحث اللغوية والعربية عموماً.

وأما طريقته في التفسير، فتتلخص في أنه يأتي:-

أولاً، بمعاني جميع المفردات اللغوية لمجموعة من الآيات ويردفها بالأبحاث الصرفية والنحوية المتعلقة بالتراكيب، وبعد ذلك يشرع في تفسير الآيات تفسيراً لا يتوسع فيه

كثيراً، ويهتمه بالتنبيه على النكات البلاغية والمحسنات البديعية وبعض ما يتعلق بالآيات من الأحكام الشرعية، كذلك نراه كثيراً ما يضرب صفحاً عن ذكر الأخبار والقصص الإسرائيلية، وإذا ذكر من ذلك شيئاً فقلّما يفوته التنبيه إلى بطلانه وزيفه. وأخيراً، فإن تفسير أبي حيان من التفاسير المستفيضة في المباحث العربية حتى طغت على غيرها من التفسير العام، وهو متحفظ إلى حد بعيد في ذكر الإسرائيليات والموضوعات، والله أعلم.

5- روح المعاني – (للألوسي):

وهو من التفاسير الواسعة الشاملة ومؤلفه الإمام الألوسي من علماء القرن الثالث عشر الهجري، كان رحمه الله تعالى نابغة في علوم كثيرة، اشتغل بالتأليف والتدريس وهو صغير السن[1]، وكان يمتاز على أقرانه برصانة الأسلوب وسلامة التعبير، خلّف عدداً من الكتب من بينها وأهمها تفسيره هذا (روح المعاني)، والألوسي شافعي المذهب في أول الأمر، اعتنق مذهب الحنفية أخيراً، وهو سنّي العقيدة مدافعاً عن مذهب أهل السنّة بشدة.

وصف الكتاب وقيمته العلمية:

يعتبر تفسير الألوسي مرجع المراجع في التفسير وأهمها وأجمعها للفوائد المحققة، حشد فيه مؤلفه خلاصة التفاسير المتقدمة عليه جميعها أو أغلبها على الأقل، وهو بعمله هذا أغنى دارسه عن الرجوع إلى حواشي التفاسير الكبيرة كحاشية الشهاب على البيضاوي وغيرها. ولذا، يعتبر بحق موسوعة علمية في التفسير وما يتصل به، وهو، وإن كان كثير النقل عمن تقدّموه، لكن مع النقد والتمحيص والصياغة في الأسلوب المناسب وقد يؤيد ويناصر وقد يرد ويفند، ويهاجم بشدة مواطن الاعتزال والتشيع، وهو إلى جانب ما ذكر يمتاز بنقد الموضوعات والإسرائيليات الدخيلة في التفسير ويردها رداً قوياً،

---

1 – قيل إنه اشتغل بالتدريس وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

وهو من هذه الناحية من المفسرين بالرأي يعتبر كابن كثير من المفسرين بالمأثور، وفي آخر كلامه في الآية أو الآيات المتصلة يأتي بنبذة في التفسير الإشاري فيقول - ومن باب الإشارة في الآية أو الآيات- ثم يتكلم عليها من هذه الناحية حتى عده بعضهم من كتب التفسير الإشاري، ولكن هذا حكم غير مناسب لأن ما فيه من الإشارة قليل بالنسبة لغيره، هذا بالإضافة إلى أنه غير مقصود له بالذات، والحق أنه من التفاسير بالرأي المحمود.

6- تفسير الجلالين- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي:

وهو أخصر كتب التفسير السّنية القديمة فيما أعلم واشترك في تأليفه مفسران: المحلي والسيوطي، أما السيوطي فقد تقدم التعريف به، وأما المحلي فهو شافعي المذهب إمام في الفقه والأصول والمنطق، آية في الفهم والذكاء حتى قيل إن ذهنه يثقب الماس، فرحمه الله وأجزل له الثواب.

وصف الكتاب وقيمته العلمية:-

هذا التفسير يعتبر من أقوم التفاسير وأسهلها وأقربها إلى الفهم، لقد كثر تداوله بين المتعلمين والعلماء حتى اتخذه بعضهم محور الدراسة في التفسير[1]، ووضعت عليه تعليقات وحواشٍ ضافية، منها حاشية الصاوي المالكي في أربعة مجلدات، وحاشية الشيخ سليمان الجمل الشافعي، وهي حاشية قّيمة مفيدة نقل فيها صاحبها فوائد جليلة ومسائل قّيمة في التفسير عن كبار المفسرين ممن تقدموه كأبي السعود والكرخي والسمين وغيرهم، وهي تقع في أربعة مجلدات كبار، تغني الطالب عن مراجعة كثير من كتب التفسير الأخرى.

[1] - مثل الإمام الشيخ محمد عبده المصري عند دراسته للتفسير في الأزهر الشريف.

7- تفسير المعتزلة وأهم كتبه:

هذه النقطة والتي بعدها[1] يدخلان فيما يسمى بالتفسير بالرأي المذموم، أو تفاسير الفرق المبتدعة، وقد علمنا قريباً أن فرقة المعتزلة نشأت على يد واصل بن عطاء[2] تلميذ الحسن البصري في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي، وقد يسمون في بعض التفاسير بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد الاختيارية لقدر الخلق، وإنكارهم وقوعها تحت قدرة الله تعالى، ويعبر عنهم أحياناً بالمعطلة، لتعطيلهم ذات المولى جلّ وعلا عن الصفات وإنكارهم صفات المعاني كالقدرة والعلم، ويقولون الله قادر بذاته عالم بذاته، وهكذا.

هذا وقد بنى المعتزلة آراءهم في العقائد على أصول خمسة وفسروا القرآن الكريم على ضوئها، ومن أصولهم التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، وفرعوا من هذه الأصول مسائل خالفوا فيها أهل السّنة، وهي مثبتة في تفاسيرهم، ومنها:

1- أن صفات الله تعالى عين ذاته وأن القرآن مخلوق.

2- أن الحرام ليس برزق.

3- أن أفعال العباد مخلوقة لهم ولم يخلقها الله تعالى لا خيرها ولا شرها ولم يرد منها إلا ما أمر به شرعاً، وما سوى ذلك فهو واقع بغير مشيئته تعالى.

4- أن الله تعالى يجب عليه أن يثيب المطيع وأن يعاقب العاصي، ولا يجوز في حقه تعالى أن يعفو عن مرتكب الكبيرة ولا يقبل في حقه شفاعة ولا يخرجه من النار ما لم تحصل منه توبة مقبولة في الدنيا. لأنه لو عفا عنه للزم الخلف في وعيده تعالى، وهو محال عندهم كالخلف في الوعد عند أهل السّنة.

---

[1] - وهي تفسير الشيعة وأهم كتبه.

[2] - ولد سنة 80، وتوفي سنة 131هـ.

5- أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فإذا مات وهو مصرّ عليها فهو مخلّد في النار.

والمفسرون من المعتزلة كثيرون[1]، فيهم المجاهر ببدعته في التفسير، المغالي في تأييدها. ومنهم المقتصد المتستر الذي يلبس البدعة في كلامه بحيث لا يفطن إليها إلا القليل، إلا أن أغلب كتبهم لم يكتب لها البقاء، ولولا حديث أصحاب الطبقات عنها لم نسمع بها أصلاً، ومن أشهر ما وصل إلينا وطبع وتداوله الدارسون كتابان، أولهما (الكشاف) للزمخشري، والثاني (تتريه القرآن عن المطاعن) للقاضي عبد الجبار. وفيما يلي عرض مفصل لهما:

1- الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل (للزمخشري)[2]:

التعريف بالمؤلف: هو الإمام أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الحنفي، الملقب بجار الله والمتوفي سنة 538هـ.

---

[1] - ذكر منهم أستاذنا الدكتور محمد حسين الذهبي نقلاً عن أصحاب الطبقات عشرة مفسرين منهم الشيخ عبد السلام القزويني المعتزلي المتوفي سنة 493هـ، الذي ألف تفسيراً ليس في كتب التفسير قاطبة أوسع ولا أجمع للفوائد منه، يقع في ثلاثمائة مجلد منها سبع في الفاتحة وحدها، وفي رواية أخرى أنه بلغ خمسمائة مجلد ورأى الراوي واحداً منها في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ..﴾ الآية، أ.هـ. من ص390، ج1، التفسير والمفسرون.

[2] - نسبة إلى زمخشر كسفرجل قرية من قرى خوارزم، ولقب بجار الله لمجاورته لبيت الله الحرام.

كان إماماً في اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة وأدباً وفي أنساب العرب، إلى جانب نبوغه في تفسير القرآن الكريم والفقه الحنفي، وله تآليف عديدة في هذه العلوم من بينها وأهمها الكشاف.

وصف الكتاب وطريقته في التفسير:

يعتبر هذا التفسير- الكشاف - من أجل التفاسير وأعلاها قدراً، ولولا ما فيه من المسائل الاعتزالية لما توجه إليه نقد، وهو على ما فيه، لا زال مرجعاً للدارسين وخصوصاً في النواحي البلاغية وتجلية وجوه إعجاز القرآن، وما فيه من الصور البيانية والمحسنات البديعية، يدل على هذا ما نقل عن الشيخ حيدر الهروي من التعليق على الكشاف بقوله: وبعد، فإن كتاب الكشاف كتاب علّي القدر رفيع الشأن لم ير مثله في تصانيف الأولين، ولم يرد شبيهه في تآليف الآخرين، اتفقت على متانة تراكيبه الرقيقة كلمة المهرة المتقنين، واجتمعت على محاسن أساليبه الأنيقة كلمة المفلقين، ما قصر في قوانين التفسير وتهذيب براهينه وتمهيد قواعده، وتشييد معاقده[1]... وختم كلامه ببيان المآخذ التي أخذت عليه بسبب اعتزاله. والملخص من هذا ومن غيره من كلام العلماء في الكشاف، أن له محاسن وعليه مآخذ، فمن محاسنه ما يلي:

1. خلوه من الحشو والتطويل مع الشمول والإيضاح وعذوبة الأسلوب.
2. اعتماده في بيان معاني الآيات على لغة العرب السليمة وأساليبهم في الخطاب.
3. عنايته الفائقة بعلمي المعاني والبيان للإفصاح عن الأسرار البلاغية، وإظهار إعجاز القرآن بطريقة فنية قائمة على الذوق الأدبي.

---

[1] - التفسير والمفسرون، ج 1، ص431.

4. اتباع طريقة مثلى في التفسير مشوقة للقارئ إلى الاستزادة ومعينة له على الفهم والتحصيل، وهي طريقة السؤال والجواب بقوله في السؤال فإن قلت - بفتح التاء- وفي الجواب قلت- بضم التاء-.

وأما ما وجه إليه من مآخذ واعتراضات فكلها[1] جاءت من ناحية المسائل الاعتزالية المستقاة من أصول المعتزلة التي تقدم بيان بعضها، فتراه في سبيل ذلك يصرف الآيات القرآنية المصادمة لمبادئهم عن ظاهرها بتكلف ظاهر حتى يجعلها توافق مذهبه وتؤيده، أو على الأقل، لا تتنافى معه ولا تناقضه، ومن أشهر ما انتقده به أهل السنّة ما يلي:

1. إساءته الأدب مع خير خلق الله تعالى سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ووضعه من قدر النبوة والأنبياء عموماً[2].
2. طعنه في أولياء الله تعالى المقربين من عباده. قال الإمام الفخر الرازي في هذا الشأن عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3] ما نصه: (خاض صاحب الكشاف في هذا المقام في الطعن في أولياء الله تعالى وكتب فيها ما لا يليق بعاقل أن يكتب مثله في كتب الفحش).
3. تهجمه على أهل السنّة والجماعة ورميهم بألفاظ غير مناسبة، فتارة يقول عنهم مُـــجْبِرة، وتارة يرميهم على سبيل التعريض بالكفر والإلحاد

---

[1] - هذا، بغض النظر عما فيه من بعض الإسرائيليات والموضوعات، وخصوصاً في فضائل السور، لأن هذا قلما يخلو منه تفسير من التفاسير حتى السنّية منها.

[2] - انظر تفسيره لقوله تعالى من سورة التوبة: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ فقد قال: إنه كناية عن الجناية لأن العفو مرادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت أ.هـــ، ج2، ص34، من الكشاف، وكذلك قوله عند قوله تعالى من سورة التحريم:﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله. أ .هـــ، مج4، ص 198من الكشاف.

[3] - آية 54من سورة المائدة.

هذا، ومما لا شك فيه، أن الكشاف على ما فيه من الاعتزاليات يعتبر مرجعاً من أهم مراجع التفسير، فمن أجل هذا اهتم به العلماء، وكتبوا عليه الشروح والتعليقات. ومن أهم ما كتب عليه:

1- **الانتصاف:** لمؤلفه الإمام احمد بن محمد بن منصور المالكي الشهير بابن المنير المتوفى 683هـ، وهي حاشية على الكشاف رد فيها المؤلف على ما في الكشاف من الاعتزاليات رداً قوياً، وأيد مذهب أهل السّنة بأسلوب أدبي رفع.

2- **تخريج أحاديث الكشاف:** وهو رسالة قيمة للفقيه عبد الله بن يوسف الزيلعي اهتم فيها ببيان ما في الكشاف من الأحاديث والقصص مميزاً الصحيح منها والحسن والضعيف والموضوع والكتابان مع تفسير الكشاف في بعض طبعاته - والله أعلم-.

3- تنزيه القرآن عن المطاعن (للقاضي عبد الجبار):

التعريف بالمؤلف: هو قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي الهمداني الشافعي المتوفى سنة 415هـ، انتهت إليه رئاسة المعتزلة ومشيختها، في وقته رحل إليه الطلاب وأخذوا عنه العلم وخلف عدداً من الكتب في علم الكلام وأصول الفقه والوعظ، وغير ذلك، ومن بينها كتابه هذا.

وصف الكتاب وطريقته في التفسير:

هذا الكتاب يقع في مجلد صغير الحجم لأنه لا يتناول جميع آيات القرآن بالشرح، بل هو مقتصر على آيات معينة من جميع سور القرآن وحسب ترتيب المصحف، وهي التي يستطيع من خلالها تأييد معتقداته، بالإضافة إلى الفصل بين المحكم والمتشابه من الآيات وبيان خطإ فريق من الناس[1]، في تأويلها على حد تعبيره، ويشمل أيضاً فوائد أخرى

1 - يريد بالفريق من الناس أهل السنة.

لغوية ونحوية، ويتبع طريقة في الشرح تتلخص في أنه يلقي بإشكال أو سؤال يتعلق بالآية، تارة من ناحية ظاهر النظم القرآني في الصناعة العربية، وتارة من ناحية أنها لا تتفق مع عقيدته كمعتزلي، ثم يجيب عن الشق الأول بما لا يخرج عما يتعرض له معظم المفسرين، وأما الشق الثاني فيجيب عنه بما يظهر براعته في تأييده مذهب المعتزلة حسب الأصول الخمسة السالف ذكرها، ومن أمثلة تفسيره ما ذكره عند الكلام على قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[1] ما نصه (مسألة) قالوا فقد قال تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ.﴾ الآية. وهذا يدل على أنه قد منعهم من الإيمان ومذهبكم بخلافه.

وكيف تأويل الآية؟ جوابنا أن للعلماء في ذلك جوابين، أحدهما أنه شبه حالهم بحال الممنوع الذي على بصره غشاوة من حيث إنه أزاح كل عللهم فلم يقبلوا، كما قد تعين للواحد الحق فتوضحه فإذا لم يقبل صح أن تقول: إنه حمار قد طبع الله على قلبه وربما تقول إنه ميت، ويقول الله تعالى للرسول: ﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[2] وكانوا أحياء فلما لم يقبلوا شبّههم بالموتى، وهو كقول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ويبين ذلك أنه تعالى ذمّهم، ولو كان هو المانع لهم لما ذمهم وأنه ذكر في جملة ذلك الغشاوة على سمعهم وبصرهم وذلك لو كان ثابتاً لم يؤثر في كونهم عقلاء مكلفين، والجواب الثاني أن الختم علامة يجعلها الله تعالى في قلوبهم لتعرف الملائكة كفرهم وأنهم لا يؤمنون، فتجتمع على ذمّهم، ويكون ذلك لطفاً لمن يعرف ذلك من الكفار أو يظنه،

---

1 – الآية 7.

2 – من الآية 80 من سورة النمل.

فيكون أقرب إلى أن يقلع عن الكفر ولهذا جواب الحسن رحمه الله، ولهذا قال: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾(*).

4- تفسير الشيعة وأهم كتبه:

سبق أن علمنا أن فرقة الشيعة ظهرت عقيب مسألة التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[1] وهم قوم شايعوا الإمام علياً وبالغوا في حبه وحب آل البيت ورفعوه رضي الله عنه عن مرتبته اللائقة به كصحابي جليل، فبعضهم يفضلونه على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويرون أنه أحق بالخلافة منهما بوصية من رسول الله ﷺ.

وفريق آخر منهم يرفعونه إلى درجة النبوة أو الألوهية، ولذلك طاردهم وحاربهم حرباً لا هوادة فيها، وقد نمت هذه الفرقة وانتشرت وتفرعت إلى عدة فروع حسب درجاتهم في الغلو في تشيعهم وانحرافهم عن طريق الإسلام الصحيح، ومن أشهر فروعهم الزيدية[2] والإمامية الاثنى عشرية[3] والإمامية الإسماعيلية[4] -الباطنية- وهذا الفرع الأخير ينقسم إلى عدة أقسام ولكل قسم لقب خاص، والكلام على جميع فروع الشيعة بالتفصيل وشرح مبادئهم والحكم عليها محله كتب الفرق والملل والنحل، والذي يعنينا هنا هو

---

* تنزيه القرآن عن المطاعن، ص14.

1- بل قال بعضهم إن بوادر التشيع ظهرت عند انتخاب الخليفة الأول، انظر (التفسير والمفسرون) للدكتور محمد الذهبي، جـ2، ص3.

2- هم اتباع زيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه، وهم من الشيعة المعتدلين في تشيعهم.

3- والإمامية نسبة إلى الإمام لأنهم أكثروا من الاهتمام به وركزوا كثيراً من تعليمهم حوله، والإمامية بفرقتيها ترى أن النبي ﷺ نص نصاً ظاهراً على إمامة علي من بعده، وهم من الشيعة المتطرفة المتشددة في التشيع.

4- نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق لأنهم يرون أن الإمامة انتقلت إليه بالنص من أبيه، والباطنية لقب لهم وذلك لقولهم بالإمام الباطن أي المستور، أو لقولهم بأن للقرآن ظاهراً وباطناً والمراد منه باطنه دون ظاهره، أ.هـ. من ص 8-9، ج2 من (التفسير والمفسرون)

موقفهم من تفسير القرآن الكريم وما أدخلوا عليه من تحريف معانيه من خلال ما وصل إلينا من تفاسيرهم مع بيان قيمتها العلمية إن كانت لها قيمة.

موقف الشيعة من التفسير:

ليس بمستغرب من الشيعة. وهم يدّعون الإسلام ويعترفون به -ولو بوجه ما- أن يتجهوا إلى القرآن الكريم ويقيموا عقائدهم ومبادئهم على دعائم من نصوصه ويلتمسون فيه ما يؤيدها ويساندها، وإن كان بعضها بعيداً كل البعد عن الإسلام والقرآن.

فلذلك، نجد بعض المفسرين منهم يؤولون ألفاظ القرآن ويحملونها على غير معانيها الظاهرة منها، ويصرفونها إلى معانٍ أخرى اخترعوها من عند أنفسهم تأييداً لباطلهم وترويجاً لمبادئهم. هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيعة منهم المتطرفون الخارجون عن الإسلام كالباطنية والسبئية، لأنهم في الحقيقة ملحدون يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام لإبطاله والكيد لأهله، ومنهم المعتدلون كالزيدية، ومنهم بين ذلك كالإمامية الاثني عشرية، وقد ذكر الدكتور موسى شاهين في اللآلئ من تفاسير هؤلاء الأخيرين عشرة كتب، وصفها بأنها كلها مختصرة وصغيرة، وعلى الرغم من هذا فإنها تمثل أصول عقائد هذه الفرقة وهي ذات قيمة عندهم ومن أهمها وأكثرها انتشاراً: مجمع البيان لعلوم القرآن – لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي[1] المتوفي سنة 538هـ، ومن مبادئ هذه الطائفة من الشيعة المخالفة لأهل السنّة والتي يجدها القارئ مبثوثة في تفاسيرهم ما يلي:

1- قولهم بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وأنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ مباشرة، وأنه أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأحق بالخلافة منهما.

2- يقولون ببقاء جواز نكاح المتعة -وهو النكاح إلى أجل- ولا يعترفون بنسخه.

---

[1] - نسبة إلى طبرستان بلده.

3- يقولون بأن فرض الرجلين في الوضوء هو المسح فقط.

4- طعنهم في بعض صحابة رسول الله ﷺ وخصوصاً أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ومن **تأويلات الشيعة الباطنية**، الباطلة لألفاظ القرآن الكريم وتلاعبهم، أن المراد من الصلاة: الناطق الذي هو الرسول لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ ومن الزكاة: تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين، ومن الوضوء موالاة الإمام، ومن الكعبة النبي، ومن الباب: علي، وغير ذلك من التأويلات البيِّنة البطلان.

وأما الزيدية الذين هم من الشيعة المعتدلين الذين لا يتبرأون من الشيخين أبي بكر وعمرو يقولون بخلافتهما لرسول الله ﷺ ولا يقولون بكفرهما، وإنما يقولون بأفضلية علي عليهما، وأنه أحق بالخلافة منهما، ويجيزون إمامة المفضول مع وجود الفاضل. ومن تفاسيرهم:

1. (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير) للإمام محمد بن علي ابن محمد الشوكاني[1] المتوفي سنة 1250هـ.كان رحمه الله إماماً في الفقه والحديث والتفسير، وله تأليفات عديدة من بينها وأهمها كتابه هذا، وهو تفسير جليل متوسط الحجم يقع في خمسة مجلدات يشمل إلى جانب التفسير بالرأي التفسير بالمأثور عن السلف مع التعرض إلى المذاهب الفقهية، ويناقشها ويرجح بعضها ولا يظهر فيه أثر للتشيع، بل الذي يبدو عليه أنه تفسير سلفي معتدل خال من التعصب للشيعة الذي امتلأت به تفاسير الشيعة لغير الشوكاني.

---

1 - نسبة إلى بلده التي ولد فيها هجرة شوكان.

2. **(الثمرات اليانعة)** في شرح آيات الأحكام لشمس الدين يوسف بن أحمد من علماء الزيدية في القرن التاسع الهجري، وهو يقع في ثلاثة مجلدات كبار.

5- التفسير العلمي والكوني وأهم كتبه:

ظهر امتزاج تفسير القرآن الكريم بالعلوم المختلفة قديماً في صدر الإسلام، عندما انتشر الفتح الإسلامي في ربوع المعمورة شرقاً وغرباً، وترتب عليه أمران:

أولهما: فساد اللغة العربية الفصحى بتسرب اللحن إليها عن طريق اختلاط العرب بغيرهم، فاحتاج المسلمون إلى ضوابط وقواعد تحفظ القرآن من اللحن، فنشأت منذ ذلك الوقت علوم اللغة العربية على اختلاف أنواعها وأهدافها.

ثانيهما: ترجمة العلوم المختلفة من فلسفية وطبيعية وكونية وغيرها إلى اللغة العربية، مع شيء من التهذيب والتنقيح. فكان من الحكمة أن يشتغل العلماء بالتوفيق بين القرآن وبين هذه العلوم التي ترجمت، وأن يفسروه على ضوئها انطلاقاً من الحقيقة المقررة عند المسلمين، وهي أن الإسلام ليس عدواً للعلم وإنما هو صديقه وحليفه، لا كما يزعم بعض الناس اليوم.

ولعل السبب في احتياج المسلمين إلى العلوم المختلفة في تفسير القرآن هو أن هدايته وإعجازه لا يفهمان فهماً صحيحاً كاملاً، إلا بتلك العلوم وهذه المعارف. أما العلوم العربية فلظهور توقف فهم القرآن عليها[1].

وأما العلوم الكونية ونحوها، فلأن المولى عز وجل حث الناس في العديد من الآيات بشدة على أن ينظروا ويفكروا ويتدبروا في مصنوعاته ومخلوقاته الماثلة أمام أبصارهم وبصائرهم، ليصلوا من الكون إلى مكونه ويستدلوا بالموجود على مُوجِده،

---

[1] - وخصوصاً بالنسبة للمسلمين غير العرب.

ولينتفعوا الانتفاع الكامل بتلك المخلوقات التي خلقها الله وسخّرها لهم، فبذلك يتسنى لهم فهم هدايته وإعجازه على أفضل وجه وأكمله. هذا، والجدير بالذكر أن من الباحثين من خص التفسير العلمي بالفرع الأخير من العلوم وهو ما يسمى بالإعجاز العلمي للقرآن عند بعضهم. وعرّفوه بأنه: التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم منها[1]. ويرى القائلون به أن القرآن الكريم يحوي إلى جانب العلوم الدينية، الاعتقادية والعملية، سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها، ما كان منها وما يكون إلى يوم القيامة. ومن القائلين به والداعين إليه قديماً الإمام أبو حامد الغزالي والإمام جلال الدين السيوطي، رحمهما الله تعالى.

وأما في العصر الحديث، فقد لاقت فكرة التفسير العلمي هذه رواجاً كبيراً بين المثقفين، وخصوصاً من كان منهم له إلمام بأحد فروع العلم الكونية وله عناية بالدراسات القرآنية، وقد أجمل بعض العلماء آثار دراسات هؤلاء[2] وأولئك في الآتي:-

1- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن من ناحية ما يحويه أو يرمز إليه من العلوم الكونية.

2- مسايرة معارف الناس وأفكارهم بتفسير القرآن لهم تفسيراً يشبع رغباتهم ويسد حاجتهم من الثقافة العلمية المفيدة.

3- دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين ببيان أن القرآن حث على العلم والبحث والنظر، وأهاب بالناس أن يفعلوا ما ذكر حتى يتمكنوا من الانتفاع بما أودعه الله في الكون لصالحهم، ولم يقف، كغيره من تعاليم الديانات الأخرى، حجر عثرة في سبيل التقدم العلمي والفكري.

---

1 - من (التفسير والمفسرون) جـ ، ص140.

2 - هو الشيخ عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان، ج1، ص568، ونقلتها عنه بتصرف قليل.

4- حث المسلمين على الانتفاع بقوى الكون ومواهبه، وفتح عيونهم على مظاهر قدرة الله في مخلوقاته، الأمر الذي من شأنه أن يملأ النفوس إيماناً بعظمة الخالق عندما يقف المطلع في التفسير على دقائق المخلوقات وخواص الأشياء، حسب ما تصورها علوم الكون المتنوعة.

5- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من خلال هذا المسلك العلمي في تفسير القرآن الكريم، حيث نرى الكثير من هؤلاء الناس لا يخضعون إلا له دون سواه.

6- الإيمان بأن القرآن كتاب غني بكل ما يحتاج إليه البشر من ألوان السعادة، وأنه دستور الناس إلى يوم القيامة صالح لكل زمان ومكان لا يستغني عن كنوزه وذخائره إنسان.

ومن أمثلة هذا اللون من التفسير ما يلي:

1- في قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[1] فقد دلت الآية على ما يسمى بعلم تحقيق الشخصية الذي يعتمد في تمييز الأشخاص على بطون بنان الأصابع، وذلك لتمايز البصمات تمايزاً بيناً بحيث لا يشتبه أي إنسان بغيره، حتى ليستدل بواسطته على المجرمين إذا تركوا بصماتهم على الأشياء الموجودة بمكان الجريمة، وتصور البصمات وتكبر وتقارن على بصمات المشبوهين ويعرف المجرم.

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾[2]، فقد ثبت أن الرياح تقوم بعملية نقل مواد التذكير من ذكور النباتات إلى إناثها، لأن في النخيل والفواكه وجميع النبات ذكورة وأنوثة ولا تبلغ الثمار تمام نضجها إلا بالتذكير، وقد دلت

---

[1] - الآيتان 3-4 من سورة القيامة.

[2] - الآية 22 من سورة الحجر.

الصحراء على أنه إذا كانت ذكور النخيل قريبة من إناثها، فإنه يستغنى بهذا القرب مع عمل الرياح عن قيام الإنسان بعملية التلقيح.

3- وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء﴾[1]، فقد ثبت علمياً أن الصعود في السماء يضيق الصدر لقلة الأوكسجين الذي هو أساس عملية تنفس الإنسان والحيوان، فكلما صعد الإنسان إلى أعلى صعبت عملية التنفس، فمن أجل هذا يأخذ الطيارون الذين يصعدون إلى طبقات عليا في الجو أنابيب الأوكسجين معهم لفتحها واستنشاقها عند اللزوم[2].

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير العلمي والكوني:

كتب العلماء المؤيدون لهذا اللون من التفسير في العصر الحديث تفاسير وبحوثاً تتعلق بالآيات الكونية، أذكر بعضاً منها حتى يتمكن الطالب من الرجوع إليها، ومنها:

1. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، للشيخ طنطاوي جوهري المتوفى سنة 1358هـ، وهو تفسير واسع مطول يقع في 25جزءاً من الحجم الكبير، أكثر فيه المؤلف من شرح النظريات والحقائق العلمية وبجزه بكثير من العلوم الكونية، واعتنى فيه عناية فائقة بالآيات المصرحة أو المشيرة إلى نعم الله على عباده في الكون من شمس وأرض وقمر وأنهار ونجوم وحيوانات ومعادن وغيرها من سائر المخلوقات، ونراه كثيراً ما يهيب بقومه المسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، ويحثهم

[1] – الآية 125 من سورة الأنعام.

[2] – من المنهج القويم في تفسير آيات الذكر الحكيم للدكتور عبد الغني عوض الراجحي. ص9.

على العمل بما فيها ويندد بمن يغفل عن هذه الآيات على كثرتها ويقف عند آيات الأحكام والعقائد على قلتها بالنسبة لتلك[1].

2. إعجاز القرآن، للمرحوم مصطفى صادق الرافعي.
3. الإسلام في عصر العلم، للأستاذ محمد أحمد الغمراوي، طبع بمطبعة دار السعادة 1393هـ.
4. التفسير العلمي للآيات الكونية، للدكتور حنفي أحمد، طبع في مصر بمطبعة دار المعارف.

وهناك كتب أخرى تناولت هذا اللون من التفسير ذكرها أستاذنا الدكتور محمد حسين الذهبي، و لم يتيسر لي الاطلاع عليها، فلذا أعرضت عن ذكرها.

الوضع والإسرائيليات في التفسير:

الوضع لغة: إسقاط الشيء وطرحه، واصطلاحاً هو: اختلاق[2] الحديث وصنعه وكذبه على رسول الله ﷺ أو على من بعده من الصحابة أو التابعين، وهو عند الإطلاق لا ينصرف إلا إلى النوع الأول، وأما إذا أريد منه الثاني فيقيد، فيقال مثلاً: موضوع على ابن عباس أو على مجاهد أو نحو ذلك، وينقسم الموضوع باعتبار مادته إلى قسمين:

أولهما: ما وضعه الواضع من عند نفسه ثم ينسبه إلى من ذكر.

ثانيهما: أن يكون الموضوع من كلام الصحابة أو التابعين أو الحكماء أو من الإسرائيليات ثم ينسبه الواضع إلى النبي ﷺ. ومن أمثلة القسم الأول، ما وضعه نوح بن مريم في فضائل

---

1 – التفسير والمفسرون، جـ3، ص172.

2– الاختلاق أعمّ من أين يكون ابتداعاً من الواضع نفسه، أو أخذاً لكلام الغير ثم نسبته إلى النبي ﷺ، فيكون الاختلاق في النسبة فقط، ويكون عطف الصنع عليه من عطف الخاص على العام.

بعض السور[1]. ومن أمثلة القسم الثاني، ما يروى من حديث: (أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)، يروى هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ. ولكن الصحيح أنه من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوضع بنوعيه حرام من الكبائر المجمع على تحريمها وهو على النبي ﷺ من أكبر الكبائر، بل نص بعض العلماء على أن مرتكبه كافر حلال الدم، والصحيح أن المستحل هو الذي يكفر فقط، ومن الأدلة على تحريمه قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إن كذباً علّي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علّي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وأما الإسرائيليات: فهي جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل لقب لسيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام، ومعناه عبد الله. والإسرائيليون هم أبناؤه ونسلهم حتى عهد سيدنا موسى عليه السلام ويعرفون أيضاً باسم اليهود في هذا العهد، ومن آمن منهم بعيسى ابن مريم عليه السلام خصوا باسم النصارى، ومن آمن بخاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام عرفوا باسم مسلمة أهل الكتاب[2].

ومصادر الإسرائيليات هي كتب اليهود ومعارفهم من التوراة وشروحها وأسفار أنبياء بني إسرائيل والتلمود وحواشيه[3]، وما تناقلوه من الأباطيل والأساطير عن أحبارهم

---

1 – روي أنه قيل لنوح هذا من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن؟ فقال: (رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة) أ.هـ. من الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص8، للذهبي.

2– اسم يطلق على المسلمين من اليهود والنصارى، إلا أنه هنا غالباً ما يراد به اليهود فقط لأنهم المخالطون للمسلمين كثيراً بحكم الجوار الواقع بينهم وبين المسلمين في المدينة المنورة.

3 – التلمود عبارة عن مجموعة شرائع ووصايا وقواعد دينية وأدبية ومدنية ونحو ذلك، كانت تتناقل وتدرس شفهياً من حين إلى آخر أ.هـ. من كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للشيخ محمد أبي شهبة، ص135.

الذين حرفوا وبدلوا. كل هذا ونحوه يمكن اعتباره أساساً ومادة للإسرائيليات التي تروى في كتب التفسير وغيرها.

ونحن إذا نظرنا إلى الإسرائيليات ككل، لوجدنا أن بعضها منسوب كذباً إلى النبي ﷺ وأغلبها مسند إلى الصحابة أو التابعين من أمثال ابن عباس وأبي هريرة وكعب ووهب ومجاهد وعبد الله بن سلام، وغيرهم.

والمروي منها عن الصحابة فمن بعدهم، قد يصح سنده إليهم أو يحسن، ولكن هذا لا ينافي اعتباره من خرافات وأكاذيب بني إسرائيل، لأن هذا الصحابي أو التابعي الذي تحدث بما تلقاها من أهل الكتاب الذين أسلموا فثبتت الرواية عنه، مع أن الخبر في نفسه مكذوب مختلق، وليس معنى هذا أن الصحابي أو التابعي هو الذي اختلقه وإنما معناه أنه هو الذي نقله من أهل الكتاب، أو عن أسلافه قبل أن يتشرف بالإسلام.

هذا، وقد ذكر أستاذنا الدكتور محمد حسين الذهبي مدى خطورة الإسرائيليات على الإسلام والمسلمين والنتائج المترتبة على نقلها وروايتها، أثبت فيما يلي ملخصاً لما ذكر:

1- أنها تفسد على المسلمين عقائدهم بما تنطوي عليه من تجسيم وتشبيه للمولى جلّ وعلا، بخلقه ووصفه بالصفات التي لا تليق بجلاله وكماله.

2- أنها تصور الدين الإسلامي في صورة الدين الخرافي المشتمل على الترهات والأباطيل التي لا تصدق.

3- أنها تكاد تذهب الثقة ببعض علماء السلف من الصحابة والتابعين بسبب نسبتها وإسنادها إليهم.

4- أنها قد تصرف الناس عن الغرض الذي من أجله أنزل القرآن، وتلهيهم عن تدبره والانتفاع بعظاته وعبره، واستخراج حكمه وأحكامه.

الواجب نحو الإسرائيليات والموضوعات: الواجب على علماء الإسلام إزاء هذا الركام من الإسرائيليات والموضوعات التي امتلأت بها كتب التفسير، هو إحصاؤها والتنصيص عليها وبيان أنها من الدخيل على الإسلام والمسلمين، ثم ردها وإبطالها من جهة العقل والنقل، ونشرها في كتب بين المسلمين على نطاق واسع، حتى يتسنى لعامة المسلمين تحاشيها وعدم الاغترار بها، ودرء خطرها على عقائدهم ودينهم.

ولقد قطع علماؤنا قديماً وحديثاً شوطاً كبيراً في هذا المضمار، من أمثال الإمام ابن كثير في تفسيره، والإمام الألوسي في روح المعاني- كما أشرت سابقاً.

ومن المحدثين، الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة والدكتور محمد حسين الذهبي(1)، فجزى الله الجميع عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

الشروط التي لا بدّ منها لمن يتصدى للتفسير

أعتقد أن الذي يطلع على ما قدمت من النقاط في هذا المبحث من الكلام على التفسير والمفسرين ومناهجهم فيما كتبوا يكتسب فكرة لا بأس بها فيما يجب أن يكون عليه المفسر لكتاب الله تعالى، وقد ذكر العلماء للتفسير قواعد وللمفسر شروطاً، ألخص منها ما يلي:

1- أن يكون المفسر متسلحاً بعلوم اللغة العربية عموماً، من استقصاء لمفردات ألفاظها، وإتقان لنحوها وصرفها واشتقاقاتها، وبلاغتها من معان وبيان وبديع؛ إذ بهذا كله، يستطيع إدراك معاني المفردات ومدلولات التراكيب واختلافها، وتتضح لديه خواصها ووجوه فصاحتها ومحسناتها البديعية.

---

1 - فقد كتب الدكتور أبو شهبة كتاباً بعنوان الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، وكتب الذهبي كتاباً بعنوان الإسرائيليات في التفسير والحديث.

2- أن يكون عارفاً بأصول الدين، ملماً بمذاهب الفقهاء في الشريعة الإسلامية، مطلعاً على أسباب نزول الآيات وناسخها ومنسوخها، خاصها وعامها، مفصلها ومجملها، وما إلى ذلك من مباحث علوم القرآن.

3- أن يلتزم في تفسيره صحة القصد وحسن النية مبتعداً عن التأثر بالآراء والمذاهب المتطرفة، فلا يحاول حمل الألفاظ القرآنية على رأي يعتقده، كما يفعل أهل البدع والضلالات.

4- عدم الإغراب في تفسير الألفاظ والإكثار من إيراد العلوم المختلفة، فلا يتوسع في تفريع المسائل النحوية وأوجه الإعراب، ولا يأتي بأدلة المذاهب الفقهية والكلامية، مع عدم الإسهاب في تفاصيل العلوم الحديثة من أسرار الكائنات وعجائب المخلوقات ونحو ذلك، بل يأتي من جميع هذه العلوم بالمختصر المسلم المفيد فقط.

5- أن يتجنب المفسر القول بالتكرار في القرآن ومثله القول بالترادف، وخصوصاً بين التراكيب التي قال علماء الأصول بمنعها فيه.

6- أن يتحرى ما أمكن، المطابقة بين التفسير والمفسر، متجنباً النقص فيما يحتاج إليه في إيضاح المعاني، وكذلك يبتعد عن الزيادة والتطويل الذي لا يليق بالتفسير أو يخلّ بالغرض المقصود. وبالجملة، فإن المفسر ينبغي أن يكون حريصاً على إفادة القارئ لكتاب الله في دينه، إرشاده إلى ما يصلحه في الدارين، ويقصد من عمله في التفسير وجه الله تعالى حتى تعم به الفائدة ويحصل به النفع إن شاء الله تعالى.

7- أن يبتدئ في تفسيره ببيان مناسبة الآية أو الآيات لما قبلها وسبب نزولها إن كان لها سبب خاص، ثم يأتي بشرح المفردات اللغوية فيعقبه بموجز ما يتعلق بالاشتقاق والتراكيب من نحو وصرف وبيان ومعان، وبعد هذا يأتي بالمعنى الإجمالي مشتملاً

على الهدف الذي ترمي إليه الآية، ثم نختم بالاستنباط وما يؤخذ من الآية من أحكام شرعية، عملية أو اعتقادية أو لطائف تفسيرية.

(والله أعلم...)

الأسئلة

س1) ذكر العلماء أن لعلم التفسير أهمية كبرى واستدلوا بآيات من القرآن، تحدث عن هذه الأهمية مستدلاً بالآيات الدالة عليها، ومبيناً موضوع علم التفسير وفضله وغايته وحاجة الدارسين إليه؟

س2) بين معنى التفسير لغة؟ واذكر فعله وما الفرق بينه وبين الفسر الذي هو مصدر الفعل الثلاثي المخفف؟ وأيهما أولى بالتعبير عن بيان معاني كلام الله تعالى؟ ولماذا؟

س3) ما معنى التفسير الاصطلاحي الموجز واشرح التعريف مبيناً أهم ما ينبغي أن يقصده المفسر لكتاب الله تعالى؟

س4) ما معنى التأويل لغة مبيناً مم اشتق واذكر معناه في الاصطلاح، وما الفرق بينه وبين التفسير مبيناً خلاف العلماء في النسبة والعلاقة بينهما مع ترجيح الراجح من الآراء فيها، ودليل ترجيحه؟

س5) اذكر أقسام التفسير مبنياً المعتبر منها وشرط اعتباره والاعتداد به؟ وما معنى المأثور لغة؟ وما المراد من التفسير بالمأثور اصطلاحاً؟ مع ذكر أقسامه والتمثيل لكل قسم منها؟

س6) ما حكم تفسير الصحابة من حيث الترتيب مع بقية أقسام التفسير المأثور ومتى يعتبر تفسيرهم من قبيل التفسير المرفوع؟ مبيناً أشهر المفسرين من الصحابة والمكثرين للتفسير منهم، مبيناً سبب إكثارهم؟

س7) تحدث بالتفصيل عن الأمام علي بن أبي طالب أحد المكثرين من التفسير مبيناً مختصر سيرته وسنة وفاته وموقفه من التفسير وشرط اعتباره مقبولاً؟

س8) من المكثرين للتفسير ابن عباس، بين نسبه وسنة وفاته، وسبب نبوغه في التفسير؟ ولماذا كان المروى عنه أكثر من غيره؟ واذكر الطرق الصحيحة عنه والطرق الواهية؟

س9) من هو ابن مسعود؟ وما مكانه من العلم بالتفسير؟ ومتى توفي؟ وما حكم تفسيره من حيث الصحة والضعف؟ وما الذي ينبغي عمله عند الأخذ بتفسيره؟

س10) من هو أبيّ بن كعب؟ اذكر نسبه باختصار، وسنة وفاته، وموقفه من التفسير ومناقبه، وما روي عنه من تفسير وتم تدوينه؟ وما السبب في قلة ما روى عنه من تفسير بالنسبة لإخوانه المكثرين؟

س11) من التفسير بالمأثور التفسير المروي عن التابعين، اذكر مرتبته مع بقية أقسام المأثور مبيناً مدارس التفسير التي تأسست في عصر التابعين في الأمصار الإسلامية؟ مع ذكر أساتذة وتلاميذ كل مدرسة على سبيل الإجمال؟

س12) اكتب نبذة مختصرة عن المفسرين من التابعين الآتي ذكرهم تشتمل على:-

أ. الاسم والنسب.

ب. الأصل والموطن.

ج. حظه من العلم بالتفسير.

د. على من تتلمذ من الصحابة.

هـ. تاريخ الوفاة.

والتابعون هم: مجاهد وعكرمة - وقتادة - وسعيد بن جبير - ومحمد بن كعب - سعيد بن المسيب - والحسن البصري - والضحاك؟

س13) كتب علماء في التفسير بالمأثور بجميع أنواعه بعد عصر التابعين من اتباع التابعين وتابعيهم بعد نهاية القرن الثاني الهجري، اكتب أسماء عدد من هؤلاء لا يقل عن ستة

مع بيان تاريخ وفاتهم مبيناً ما يمتاز به تفسير ابن جرير الطبري عن غيره من الكتب المؤلفة في عصره؟

س14) اكتب نبذة مختصرة عن عدد من الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثورة وطبعت بحيث لا تقل عن خمسة تحتوي النبذة على اسم الكتاب واسم المؤلف وطريقته في التفسير وقيمة تفسيره العلمية وتاريخ وفاة المؤلف؟

س15) تحدث عن قيمة التفسير بالمأثور العلمية عموماً مبيناً ما ينبغي الاحتراس منه تجاه هذا اللون من التفسير؟

س16) ما المراد من التفسير بالرأي مبيناً حكمه من حيث الجواز وعدمه واذكر أدلة من يقول بكل منهما؟ وناقش أدلة القائلين بالمنع وبين حقيقة الخلاف بينهما وخلاصته؟

س17) اكتب ما تعرفه عن مناهج المفسرين بالرأي مبيناً ما توسع فيه كل فريق منهم؟ وهل هناك فرق بين العبارات التالية:

أ- تفسير أهل السنة.

ب- التفسير بالرأي المحمود.

ج- التفسير بالرأي الجائز، اذكر الفرق إن وجد؟

س18) اذكر بالإجمال تفاسير أهل السنة مبيناً اسم المؤلف لكل تفسير وتاريخ وفاته ثم فصل الكلام عن ستة من بينها، بحيث تمثل الاتجاهات المختلفة من الإيجاز والتطويل والتوسط؟ واذكر خصائصها وطريقة تأليفهم فيها؟

س19) من التفسير بالرأي المذموم تفسير المعتزلة بين متى نشأت هذه الفرقة وعلى يد من تمت نشأتها؟ ولماذا يعبرون عنهم أحياناً بالقدرية؟ وما هي أصولهم التي بنوا عليها آراءهم في العقيدة وفسروا القرآن على ضوئها؟

س20) أذكر أهم تفاسير المعتزلة مبيناً اسماءها كاملة وأسماء مولفيها وتاريخ وفاتهم وطريقة كل واحد منهم في التأليف؟ واذكر الميزات التي يمتاز بها الكشاف من بينها وما وجّه إليه من انتقادات ثم بين التعليقات والحواشي التي كتبت عليه؟

س21) من التفسير بالرأي المذموم تفسير الشيعة فمن هم الشيعة؟ ومتى نشأت هذه الفرقة مبيناً فروعها وموقفهم من التفسير مع ذكر مبادئهم المخالفة لأهل السنة والجماعة؟

س22) هناك فرقة متفرعة عن الشيعة اعتبرت معتدلة، اذكر تفسيرين من تفاسير هذا الفرع المعتدل مبيناً طريقتهما في التفسير؟ ثم بين بعض تأويلات الباطنية من الشيعة التي أدخلوها في التفسير؟

س23) متى ظهر امتزاج التفسير بالعلوم المختلفة مبيناً السبب في احتياج المسلمين إلى العلوم في التفسير؟ وما ترتب على هذا الامتزاج من أمور؟

س24) عرف التفسير العلمي أو الأعجاز العلمي للقرآن كما يسمى عند البعض مبيناً الآثار والمزايا المترتبة على الدراسات العلمية للآيات الكونية، مع ذكر أمثلة من الآيات المفسرة تفسيراً علمياً، وأشهر الكتب المؤلفة في التفسير العلمي والكوني للقرآن الكريم؟

س25) بين معنى الوضع لغة واصطلاحاً؟ واذكر أقسامه باعتبار مادته ومثل لكل قسم منه مبيناً حكمه شرعاً مستدلاً على ما تذكر من الحكم؟

س26) ما المراد من الإسرائيليات؟ وما مصدرها مبيناً خطرها على الإسلام والمسلمين؟ واذكر النتائج المترتبة على نقلها وروايتها ثم بين الشروط التي لا بد منها لمن يتصدى لتفسير كتاب الله سبحانه وتعالى؟

الفهـــرس

فهرس المحتويات

